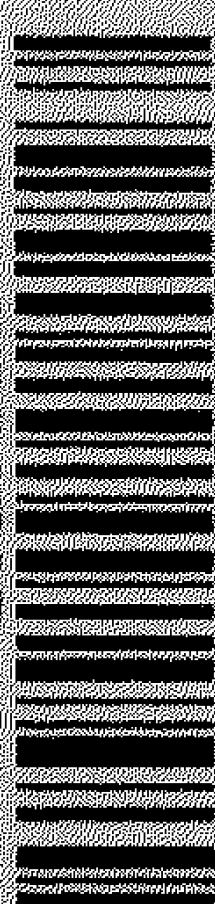








تأريخ
العلاقات العراقية - المصرية

من فجر الحضارة وحتى الحرب العالمية الاولى

٣٠٠٠ ق.م - ١٩١٤م

تأليف

داود سلمان عبد علي العزاوي

الطبعة الأولى ١٩٨٤

طبع بمطبعة الجامعة - بغداد - هاتف ٨٨٨٨٥١٣

المقـــدمة

ان دراسة العلاقات بين القطرين العراقي والمصري لفتت انتباه العديد من المؤرخين والباحثين ، فما من مؤرخ يكتب عن تاريخ العراق القديم الا ويقارن الملامح الحضارية للعراق بتلك لمصر وبالعكس ، وعلى الرغم من كثرة المصادر التي تقارن بين تاريخ العراق ومصر في العصور القديمة والاسلامية والحديثة الا ان المقارنة لم تكن واسعة وفي كتاب خاص بالعلاقات التاريخية بين مصر والعراق ، والمؤرخ المصري الدكتور عبد العزيز سليمان نوار له كتاب يتناول العلاقات بين مصر والعراق منذ العصور القديمة وحتى الحرب العالمية الأولى (●) ، ولما كنت مطلعاً على التاريخ العام لكلا القطرين فقد أثار كتاب الدكتور نوار اهتمامي ولفت نظري الى دراسة تاريخ العلاقات العراقية ـ المصرية ولمختلف العصور ، لأني وجدت في الكتاب المذكور صورة بعيدة عن الواقع لعلاقات القطرين ، فعلاوة على عدم الدقة العلمية في سرد سير العلاقات والأخطاء الكثيرة ، فانه يقتصر في دراسته لتاريخ العلاقات في العصور القديمة والاسلامية على صفحات قليلة لاتتجاوز الأربعين صفحة من ٢٨٧ صفحة ويركز كتاب الدكتور نوار على دراسة الفترة بين الحملة الفرنسية

● ـ الكتاب المذكور هو (مصر والعراق دراسة في تاريخ العلاقات بينهما حتى نشوب الحرب العالمية الأولى) القاهرة ١٩٦٨ .

على مصر عام ١٧٩٨ م والحرب العالمية الأولى ١٩١٤ وهذه الفترة كانت خلالها العلاقات ضعيفة ، بـل وأضعف مما كانت عليه العلاقات خـلال العصور الاسلامية • ويمكن ان توصف العلاقات العراقية المصرية خلال هذه الفترة (١٧٩٨ — ١٩١٤) بانها علاقات الدول الأجنبية من عثمانية وبريطانية مع كل القطرين بينما العلاقات بين مصر والعراق كانت صورتها باهته غير واضحـة • .

لقد بدأت العلاقات في العصور القديمـة ومنذ فجر الحضارة في بداية الألف الثالث قبل الميـلاد وكانت العلاقات ذات طابع حضاري ، حيث انتقلت بعض العناصر الحضارية من العراق الى مصر • وفي القرون الخامس عشر والرابع عشر ق • م بدأت العلاقات السياسية بين دول مصر والعراق وفي القرون السابع والسادس ق • م قامت علاقـات سياسـية اوسع من السابق • ومنذ اواخر القرن السادس ق • م خضع كلا القطرين الى الاحتلال الأجنبي حتى التحرير العربي الاسلامي في النصف الأول من القرن السابع الميلادي وبدأت مرحلة جديـدة في العلاقـات اتصف بالوحدة العربية الاسلامية التي جمعت القطرين حيث ساد في كلاهمـا مجتمع عربي اسلامي لـه تقاليد وعادات واحدة لمختلف نواحي الحيـاة • وصار العراق ومصر من اهم مراكز الحضارة العربية وطليعة العالم المتحضر في العصور الوسطي • وفي العهد العثماني اصبح كلا القطرين خاضـع لدولة واحدة ، وبدلا من تقوية العلاقات المختلفة بين القطرين فقد سارت الأمور على العكس من ذلك ، فقد عمل الحكام العثمانيون على عـزل

الولايات العربية عن بعضها امعاناً في اضعاف الروابط العربية ولكي يسهل على الحكام العثمانيون حكم البلاد العربية • وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر ضعف الحكم العثماني في كلا القطرين وخاصة في مصر ، مما أدي الى اعادة العلاقات السياسية والتجارية ولو بشكل محدود • وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ضعفت العلاقات مرة اخرى وبقيت ضعيفة الى مابعد الحرب العالمية الأولي ، حيث بدأت مرحلة جديدة في العلاقات بين مصر والعراق •

لقد توخيت في دراستي هذه الدقة والأمانة العلمية بعيداً عن الأهواء والميل لأن كتابة التاريخ امانة وخاصة كتابة تاريخ العلاقات بين قطرين شقيقين مثل العراق ومصر حيث الروابط والمصالح المشتركة الكثيرة وليس من الانصاف التطرق الى موضوع العلاقات بينهما بشكل غير أمين وعلى كل حال فان القاريء الكريم هو الذي سيحكم على مدى الحياد والموضوعية في دراستنا هذه •

المؤلف

داود سلمان عبدعلي العزاوي

بغداد ـ اذار ١٩٨٤

الباب الأول

العـــلاقات العراقية ـ المصـــــــرية

خلال العصور القديمة

الفصل الأول

ظهور الحضارة والعناصر الحضارية الرئيسية في البلدين

لفهم التطورات الحضارية والتاريخية والخصائص العامة للمظاهر الحضارية في البلدين لابد من دراسة الحالة الجغرافيه لما لها من اثر كبير على الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي وعلى سير الاحداث التاريخية ولايعني ذلك ان الحالة الجغرافية هي العامل الوحيد المؤثر على التطور الحضاري ، وانما العوامل الأخرى من اقتصادية وثقافية وسياسية وقومية وغيرها لها تأثير مهم في حياة الشعوب والدول .

فبالنسبة للحالة الجغرافية للعراق فانه يقع في جنوب غرب قارة اسيا وشمال شرق البلاد العربية ويشكل موقعه الحدود الشرقية للامة العربية ، والعراق ارضه مفتوحة من الجهات الاربعة وهذا جعله معرضاً للغزو من الاقوام والدول المجاورة اكثر من اي بلد عربي آخر ، وللعراق ساحل ضيق على الخليج العربي يعتبر منفذه البحري الوحيد .

اما مصر فتقع في شمال شرق قارة افريقيا ويحدها البحر الابيض المتوسط من الشمال والبحر الاحمر وشبه جزيرة سيناء من الشرق والصحراء الليبية من الغرب والسودان من الجنوب وهذا الموقع وفر لمصر حماية طبيعية وجعلها بلداً شبه مقفل خاصة في العصور القديمة مما حقق لمصر الأمن الخارجي بعكس العراق الذي عانى على مر العصور من الغزو والهجمات من مختلف الجهات وخاصة الجهة الشرقيه مما جعل

العراق في حالة حرب دائمة وافقد سكانه الأمن والسلام •

ويتكون سطح العراق من المنطقة الجبلية وشبه الجبلية في الشمال وبادية الجزيرة والهضبة الغربية في الغرب والسهل الرسوبي والاهوار في وسط وجنوب البلاد ، ومناخ العراق متطرف في برودته شتاءاً وحرارته صيفاً وامطارة شتوية وربيعية ، اما مصر فأرضها تنحدر من الجنوب الى الشمال وتتكون من سهل الدلتا في الشمال ووادي طويــل وضيق حول نهــر النيل في وسط وجنوب البــلاد والامطار تسقط على الدلتا شتاءاً وبكمية قليلة لاتكفي للزراعة • اما الأنهار فيوجد في العراق النهريــن الكبيرين دجلة والفرات ينبعان من الجهات الشماليــه الشرقيه لاســيا ألصغرى (تركية) وينحدران نحو الجنوب ويدخل دجله الحدود العراقية مباشرة ويكون وادي دجلة ضيق نسبياً في شمال البلاد امــا في الجنوب فيجري في سهل واسع ولكن ضفاف دجلة في جنوب بغــداد الى مصبه عاليه بالاضافة الى شدة فيضانه لذا لم تنشأ الحضارة على ضفافه الجنوبية واقتصرت على ضفافه الشمالية ومياه دجلــة اوفر من مياه الفرات •

امــا نهر الفرات فيدخل الاراضي السورية بعد انحداره من هضبة اسيا الصغرى ويتجه الى الغرب ثــم ينحرف الى الجنوب الشرقي حتى يقترب من دجلة قرب الفلوجة ثــم يبتعد الى الغرب والجنوب الغربي حتى يلتقي مع دجلة في القرنة وضفاف الفرات الجنوبية واطئه والفرات اقــل عنفاً في فيضاناته لذلك نشأت الحضارة العرقيــة القديمة على ضفافــه الجنوبية ، وبالاضافة الى النهرين هناك انهار الــزاب الاعلى والــزاب

الاسفل والعظيم وديالى التي تصب في نهر دجلة •

امـا في مصر فيوجد نهر النيل الذي يجري من الجنوب الى الشمال وينبع من جبال الحبشة وتصب في روافده امطار الصيف الاستوائية وفي شمال السودان وجنوب مصـر يكون وادي النهر ضيق جـداً بحيث لايزيد عرض الوادي من اسوان الى جنوب القاهرة على ١٦ كيلو متـر وتصب فروع النيل في البحر الابيض المتوسط ، والملاحـة في نهر النيل سهلة جـداً فالسفن الاتية من الجنوب تنحدر مع تيار النهر و لسـفن القادمة من الشمال تدفعها الرياح الشمالية ، بينما المـلاحة في نهري دجلة والفرات صعبة لأن السفن القادمة من الشمال الى الجنوب تدفعها الرياح الشمالية القوية والتيار السريع للنهر مما يعرض المراكب الى الدمار والغرق امـا المراكب التي تأتي من الجنوب فيعرقلها التيار والرياح الشماليـة والالتواءات النهرية الكثيرة بالاضافة الى الفيضانات العنيفة وهذه الامور جعلت المـلاحة في دجلة والفرات محدودة جـداً قياساً الى المـلاحـة في النيل ، ويتميز نهر النيل بأن فيضاناته التي تحدث خـلال الفترة من شهر حزيران الى شهر تشرين الاول تكون هادئة ومنتظمة مما يساعـد العمل الزراعي حيث تتفق فيضانات النيل مع الدورة الزراعية ولذلـك صارت الزراعة في مصر سهلة جـداً قياساً الى العراق فالفيضانات في العراق عنيفة جـداً وغير ملائمة للدورة الزراعية لأنها تحدث في وقت الحصاد الشتوي وبداية الموسم الزراعي الصيفي بالاضافة الى مشكلتي الملوحة والرواسب الغرينية التي تهدد الانتاج الزراعي في العـراق •

ان كون الاراضي الزراعية في مصر مساحتها قليله بالنسبه لمساحة البلاد وتقـع على نهر واحد وكذلـك انتظام الانتاج الزراعي والعزلـة الجغرافية لمصر ، جعل قيام السلطة المركزية في مصر اسرع منها في العراق وسيطرتها على المجتمع قوية جداً • ان تعدد الاجناس والقبائل في العراق وكونه مفتوح من الجهات الاربعة للغزو والهجرة بعكس حالة مصر جعل العراق يعاني دائماً من مشكلة الأمن في الداخل والخارج بالاضافة الى الفيضانات المدمرة ولكل ذلك اصبح الانسان العراقي في حالة من القلق والتوتر وتوقـع المفاجئات والتشائـم ومنهمك في شؤون الحياة وتميز بنظرته الواقعية وعدم المبالغة في الامور غير الضرورية •

امـا الانسان المصري فقد تمتع بالأمن والاستقرار في الداخـل والخـارج خاصة في الألف الثالث قبل الميـلاد فترة زدهار الحضارة وبالاضافة الى انتظام الانتاج الزراعي فقد اصبح دائماً يشعر بالأطمئنان والثقة والتفاؤل وصارت المبالغـة ايجاباً وسـلباً صفة مميزة للشخصية المصرية على مر العصور ، كما ان الوضع الجغرافي المنعزل والتجانس العنصري والديني لسكان مصر جعـل شعور المصري بالتميز عن الأجانب قوياً ، في ظل هذه الظروف من الأمن والاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي بنى الانسان المصري القديم حضارته العظيمة التي لا تـزال اثارهـا الشاخصة من الاهرامات والمعابد مبعث الاعجاب •

امـا الانسان العراقي القديم فقد انشأ حضارته الرائعة في ظـل الصراع الدائم مع النهرين دجلة والفرات وفي ظل الحرب الدائمة بـين

دول المدن السومرية من جهة وبينها وبين الدول والاقوام المجاورة من جهة اخرى ، وهكذا فقد كانت عملية بناء حضارة وادي الرافدين اصعب بكثير من عملية بناء حضارة وادي النيل مما جعل الحضارة العراقية تتفوق في اغلب المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والاجتماعية باستثناء مجالات قليلة مثل الاهرامات والمعابد الضخمة التي تميز حضارة وادي النيل وهذا مالاحظه واكدة اغلب المختصين بالحضارات القديمة من الاوربيين وغيرهم (١) •

الكشف عن الحضارتين المصرية والعراقية :

بعد ازدهار لمختلف جوانب الحضارة في القطرين دام اكثر من ثلاثة الاف سنة ق • م اضمحلت الحضارتين في وقت واحد تقريبا واخذت عناصر الحضارة الأساسية تتلاشى تدريجيا" الى القرون الميلادية فانتهى استعمال الخطوط القديمة المسمارية والهير وغليفية والمعرفة بالحضارتين اصبحت غامضة واقتصرت على ماجاء فيالتوراة وكتابات المؤرخين اليونان والرومان حتى منتصف القرن الماضي ، ان الاثار الشاخصة التي خلفتها الحضارتين والكتابات القديمة التي عثر عليها السواح الاوربيين في القرون القليلة التي سبقت القرن التاسع عشر • بدأت تجذب اهتمام العلماء الأوربيين الغربين لدراستها وحل لغزها ولاشك بأن الثورة العلمية والصناعية في اوربا في القرن التاسع عشر ساعدت العلماء الاوربيين على الكشف عن الحضارات القديمة وحل كتاباتها المنقرضة • وقد بدأ الكشف عن حضارة وادي النيل قبل

حضارة وادي الرافدين وذلك لأن الاثار المصرية الضخمه من الاهرامات والمعابد كانت تجذب انظار السواح والعلماء الاوربيين بالاضافه الى قرب مصر من اوربا ، بينما اثار العراق القديم لـم تكن شاخصة حيث كانت على شكل تلول وخرائب وابراج مهدمة ، كذلك تأخر احتكاك العراق بالنهضة العلمية في اوربا • وكانت طريقة حل الكتابتين المسماريه العراقية القديمة والهيروغليفية المصرية القديمة متشابهة • فبالنسبة لحل الكتابة الهيروغليفية فقد عثر عام ١٧٩٨ م على لوح حجري قرب فرع الرشـيد لنهر النيل من قبل احد افراد حملة نابليون التي احتلت مصر وسمي هـذا الحجر بحجر الرشيد حيث كان عبارة عن نص تاريخي يعود الى عهـد البطالمـة اليونانيين (١٩٦ ق • م) ، مكتوب بثـلاث خطوط هـي الهيروغليفية والديموطيقية التي هي تطور عن الخط السابـق واليونانية وقـد عكف العلمـاء الاوربيين الغربيين وخاصـة الفرنسي شامبليون (١٨٢٢ م) على حـل رموز هذة الكتابات وساعدهم على ذلك المعرفة باللغة اليونانية ، ولـم يأتي منتصف القرن التاسـع عشر حتى اصبحت الكتابة المصرية القديمة معروفة لعلماء الاثار والتاريخ القديم في اوربـا الغربية وبذلك تم الكشف عن الحضارة المصرية القديمـة • .

امـا عن حل رموز الخط المسماري العراقي القديم فقد تم عـلى اثـر حل نص تاريخي قديم يسمى بكتابة بهستون وهي كتابة منقوشة على حجر احد الجبال قرب كرمنشاة غرب ايران ، وتذكر هذة الكتابـة حروب الملك الاخميني دارا الأول (٥٢٢ ــ ٤٨٦) ق • م بثلاث لغات

هي الفارسية والعيلامية والبابلية احداها ترجمة للاخرى ، وقـد عكف العلماء الاوربيون على فك رموز هذة الكتابات وخاصه العالم الانكليزي « رولنصن » وبفضل معرفة بعض العلماء باللغة الفارسيه القديمه تم حل كتابات بهستون بلغاتها الثلاثة سنة ١٨٥٧ م ، والكتابـة البابلية كانت ترجمة للنص الفارسي حيث تم حلها والمعرفـة بها في العقد السادس من القرن المـاضي ، امـا الكتابة السومرية فقـد تأخر حلها وقد تمكن العلماء من حل رموزها عن طريـق الكتابات الثنائيه اللغه (سومرية ـ بابلية) في أواخر القرن التاسع عشر وبذلك تـم الكشف عن حضـارة العراق القديـم •

امـا التنقيبات الأثرية في القطرين فقد بدأت في النصف الأول من القرن المـاضي قام بها في البداية القناصل والسفراء الاوربيون في المدن القديمة حيث تم العثور على عشرات الآلاف من الواح الطين (الرقم) ونقلت تماثيل ومسلات واشياء نفيسة كثيرة الى متاحف اوربـا الغربية وامريكا من مصر والعراق •

وتتميز مصادر دراسة حضارة وادي الرافدين بأنها اوفر بكثير من مصادر الحضارة المصرية القديمة وذلك يرجع الى ان العراقيين القدامي دونوا كتاباتهم على الواح الطين التي تفخر وتبقى آلافه السنين وقد عثر في القرنين المـاضي والحالي على اكثر من مئة ألف نـوح طين تتناول باسهاب مختلف جوانب الحضارة العراقية القديمة ، امـا الكتابه المصرية فقد كانت تكتب على اوراق نبات البردي الذي يتلف بعد سنين محدودة

ولذلك الكمية التي عثر عليها من كتابات البردي قليلة ، وجاءت نصوص مصرية أيضاً من جدران المعابد والاهرامات والمقابر والمسلات ومع ذلك فان المعرفة بجوانب عديدة من حضارة وادي النيل لاتزال قليله بالنسبة لحضارة وادي الرافدين خاصة اذا عرفنا ان العراق غني بالاف التلول الأثرية التي تنتظر المنقبين ، لذلك فان آفاق دراسة حضارة وادي الرافدين اوسع من حضارة وادي النيل ، وعلى ذلك فان جوانب كثيرة من التاريخ المصري القديم لاتزال المعرفة بها محدودة وقائمه على شيء كثير من الأفتراضات والتخمينات فمثلاً ان معرفتنا عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والأدبية عن عصر الاهرام وهو عصر ازدهار الحضارة المصرية لاتزال قليلة ، بعكس الحال في العراق حيث ان الحضارة السومرية المعاصرة لحضارة عصر الاهرام جاءتنا عنها معلومات كافية نسبياً لمختلف عناصرها .

نشوء الحضارة :

عاش الانسان القديم أزماناً طويلة وهو يجمع القوت ويصيد الحيوان سماها العلماء بالعصور الحجرية القديمة لأن الانسان استعمل الحجر لصناعة ادواته البسيطة مثل الفؤوس والسكاكين والمقاشط وغيرها ، واستمرت هذة العصور الى حوالي الألف العاشر قبل الميلاد حيث يبدأ العصر الحجري الحديث الذي هو عصر انقلاب مهم في حياه الانسان لأنه تعلم الزراعة وتدجين الحيوان وبناء القرى الزراعية الصغيرة وقد بدأ انقلاب العصر الحجري الحديث في منطقة الشرق

الاوسط قبل غيرها من مناطق العالم ، وقد حدد علماء الاثار المنطقة الأصلية لنشوء الزراعة بأنها مابين مرتفعات الاناضول ومرتفعات فلسطين وأواسط اسيا وشمال العراق ومرتفعات هندكوش الشمالية ، بينما مناطق بوادي الشام ومصر وسهل العراق الرسوبي خارج اطار المنطقة المحتملة لنشوء الزراعة لعدم توفر الامطار الكافية وعدم وجود الظروف البيئية لأصول النباتات والحيوانات البرية فيها •

وفي شمال العراق تتوفر الظروف الملائمة من امطار ونباتات كالقمح والشعير والعدس والحيوانات كالغنم والماعز والبقر والخنازير وكذلك العثور على اثار مستوطنات وقري تدل على نشوء الزراعة في العراق قبل غيره ، اما في مصر فقد تأخرت بداية الزراعه عن العراق فتره طويلة من الزمن ولايستبعد ان تكون اصول الزراعة وتدجين الحيوان قد انتقلت من العراق الى مصر «٢» •

والفترة التي تقع بين ظهور القري الزراعية وظهور الحضارة الناضجة في المدن في حوالي سنة ٣٠٠٠ ق • م تسمى مرحلة فجر الحضارة او عصور ماقبل السلالات (الدول) ومرت هذة الفترة بأطوار لها سميات أثارية مختلفة ، ففي العراق تسمى اطوار حسونة وسامراء وحلف والعبيد والوركاء وجمدة نصر وفي مصر تسمى البداري والاماري والجرزي ونقادة وهذة الفترة الحضارية حوالي (٥٦٠٠ ـ ٣٥٠٠) قبل الميلاد تتشابه فيها العناصر الحضارية لمختلف مناطق الشرق الأدنى في العراق والشام ومصر والاناضول وغيرها ، وقد تميزت هذه الفتره بتحول

القـرى الصغيرة الى مدن صغيرة وفي حوالي ٤٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ ق • م تعلم الانسان التعدين وخاصة النحاس والبرونز والفضة والذهب ، وصنع الدولاب الفخاري لصناعة الاواني الفخاريـة وصنع المراكب الشراعيـة والعربات والمحراث والاسلحة المعدنية والاختام الاسطوانية وبنى المعابـد وتعلم الكتابة وتنظيم الري بايصال مياه الانهر الى الاراضي الزراعيـة مما أدي الى تطور الزراعة ونشوء المـدن الكبيرة وظهور دول المـدن في بداية الألف الثالث قبل الميـلاد •

وهنـاك مسألة مهمة وهي مسألـة الاسبقية في نشوء الحضـارة الناضجة في العالم فحتى نهاية القرن المـاضي وبداية القرن الحـالي كان اعتقاد العلماء والناس بأن مصر هي اقدم بلد متحضر في العالم ، ولكـن الاكتشافات الأثارية المهمة التي جرت في العراق في النصف الاول من القرن العشرين أثبتت بان الحضارة الناضجة بكل عناصرها الأساسـية بدات في العراق قبل غيره من البلدان (٣) ، وقبل مصر بحوالي ٢٠٠ ـ ١٠٠ سنة • والجدير بالذكر ان المصادر الدينية تشير الى ذلـك ايضاً (ادم ونوح جنة عدن) في العراق •

واهم سمات الحضارة الناضجة التي ظهرت في جنوب العراق والتي تسمى بالحضارة السومرية هي ظهور دول مـدن عديدة اشهرهـا دول الوركاء وأور ولجش وأوما واريدو وكيش وغيرها وفي هـذه الدول ازدهرت الحضارة السومرية التي ترجع في اصولها الى حضارات حسونة وسامراء وحلف في شمال العراق كما اثبت ذلك المختصون (٤) بالاثار

والتاريـــخ القديـــم •

وقد امتدت فترة دول المـــدن من حوالي ٣٠٠٠ الى ٢٤٠٠ ق •م حيث وجدت الدولة المدينة وعلى رأســها الامير الكاهن يشاركــه في السلطة مجلس شورى من الشيوخ ومجلس للمحاربين وهـــذا مايسمى بالديمقراطية البدائية التي اختفت بسرعة بسبب تركز السلطة بيد الامير أو المـــلك •

وكان النزاع بين دول المـــدن السومرية عنيفاً يدور حول السيطرة على الأراضي ومياه الري وطرق التجارة مع البلدان المجاورة من اجـــل الحصول على المـــواد الاولية من معادن وخشب واحجار ثمينة وغيرها •

ان ضرورة تنظيم مياه الري والحصول على المـــواد الاولية أدى الى توحيد دول المـــدن السومرية في حوالي سنة ٢٤٠٠ ق • م بقيادة ملك دولة الوركاء ثم بقيادة سرجون الاكدي في سنة ٢٣٧١ ق • م •

أمـــا مصر فيبدوا انـــه لم يظهر بها نظام دول المـــدن بـــل وجـــد فيها الاقاليم وعددها ٤٢ أقليم «٥» ، وقد توحدت هـــذه الاقاليم الى مملكتين واحدة في الجنوب واخري في الشمال وتمت عملية توحيـــد مصر في عهد السلالة الأولى في حوالي ٣٠٠٠ ق • م ، وصارت مدينة منفس في جنوب الدلتا عاصمة لمصر الموحدة ، والمعلومات التاريخيـــة قليلة عـــن الحالة السياســـية في مصر في الفترة المعاصـــرة للحضـــارة السومرية ، وبعد الوحدة السياسية بدات الحضارة المزدهرة في مصر في عصر الاهرام حوالي ٢٧٨٠ ــ ٢٢٧٠ ق • م وهو العصر الذي وصلت

خلاله ذروة ازدهارها ، وقبل عصر الاهـرام اي في الفتره التي سبقت قيام الأسر الحاكمة وبدايتها في حوالي ٣٢٥٠ ـ ٣٠٠٠ ق ٠ م حدثت اتصالات حضارية وتجارية واسعة نسبياً بين العراق ومصر حيث تطرق علماء الاثار الغربيين الى وصول حافز او تأثير الحضارة من العراق الى مصر ، فقد عثر على اثار عراقية الأصل ـ في جبل العرق واحدى المقابر جنوب مصر ـ مثل الاختام والاسطوانية واسلوب الطلعات والدخلات في ابنية الجدران واواني الحجر المزينة بالنحت البارز وطراز قارب على غرار القوارب السومرية وطـراز لباس الابطال المصورين على الاثـار واساليب فنية خاصة في تمثيل الأشخاص والحيوانات وانواع خاصة من اواني الفخار ورؤوس الدبابيس وتخطيط اللحود المتكيه ، كما اخـذ المصريون مبادىء الكتابة (وليس اسلوبها) من سومر ٠ على ان مصر منذ بداية عهد السلالات اخذت طريقها الخاص في التطور واختفت المظاهر الحضاريـة السومرية ٠ اما عن تأثير حضارة مصر على حضارة العراق فلم يعثر على شيء من اصل مصري ، ولانعرف على وجه التأكيد السبل التي عن طريقها وصلت التأثيرات الحضارية السومرية الى مصر «٦» ٠

موجز العناصر الحضاريـة في وادي الرافدين ووادي النيل

الحـالـة السـيـاسـيـة

تبدو الصورة السياسية للقطرين متباينة ، فمصر كانت منقسم الى مملكتين واحدة في الشمال واخرى في الجنوب توحدتا على يد (منا) ملـك المملكة الجنوبية في حوالي ٣٠٠٠ ق ٠ م ومعلوماتنا التاريخيـة

غامضة عن الاوضاع السياسية في اوائل الألف الثالث ق • م ومنا غير مؤكد وجوده تاريخيا • ويبدوا ان الوضع الجغرافي البسيط لمصر من تجمع السكان في منطقة سهلية صغيرة نسبيا وحول نهر النيل ساعد على قيام السلطة المركزية في وقت مبكر بالنسبة لبلدان العالم والعاصمة الموحدة هي منفس في جنوب القاهرة عرب النيل •

امــا الحالة السياسية في العراق في بداية الألف الثالث ق • م فكانت تتسم بانقسام القطر الى دول مدن عديدة في الجنوب والوسط والشمال ، ولاشك ان الوضع المتباين من سهول وجبال واهوار وانهــار عديدة ادى الى قيام دول مستقلة اقتصاديا عن بعضها ، وكانت هــذه الدول في حالة حرب شبة دائمة مع بعضها تدور حول الأراضي وميــاه الــري والتجارة الخارجية ، وجائتنا معلومات وافية عن هــذه الدول وخاصة دولة لجش (في محافظة ذيقار) ونزاعها مع دولة اوما المجاورة ، وقــد ادت الحاجة الى تنظيم الري واستيراد المــواد الاولية من الخارج الى توحيد دول المــدن السومرية على يــد سرجون الاكدي سنة ٢٣٧١ ق • م حيث تأسست مملكة القطر التي تحولت الى امبراطورية وبالنسبة للملك الذي يعتبر راس السلطة في البلدين ، ففي العراق القديم كــان يعتبر كانسان موكل من الالهة لحكم البشر ولذلك فله صفه محترمــة •

امــا الملك المصري (الفرعون) فكان يعتبر كاله يعبد في حياتــه ومماته وكل البلد ملك خاص له ، وسلطته لاحد لها ، بينما سلطة المــلك في العراق القديم تقيدها امور عديدة منها مجالس الشيوخ والعامة في

بداية العصور التاريخية ، ومراعاة الفئات المتنفذة في المجتمع ثم اخذت سلطته بالزيادة حتى وصلت الى اعلى قوتها في العهد الاشوري الحديث ، بينما ضعفت سلطة الملك المصري في العصور المتأخرة للحضارة المصرية واختفت نظرة الملك الالـه .

والملك العراقي كان دائماً على راس جيشه في الحرب وكذلك في بناء المشاريع العامة مثل السدود والمعابد واسوار المدن وغير ذلك . امـا الملك المصري فكان لايقود جيشة قبل عصر الامبراطوريه (القرن السادس عشر ق . م) وقليل المشاركة في الحياة العامـة للمجتمع . وللملك في كل البلدين جهاز اداري يساعدة في الحكم من قادة الجيش والكهنة وكبار الموظفين الاداريين وعلى راس الجهاز الاداري يأتـي الوزيـر .

امـا الجيش فقد كان في العراق منذ العهد السومري جيش دائم مسلح بالاسلحة المعدنية ، وكانت الحرب بين دول المـدن السومرية ادت الى الاهتمام بالناحية العسكرية ، وكان الملك سرجون الاكـدي لـه جيش قوي دائم استطاع بـه القضاء على دول المدن السومريـة وتكويـن مملكة القطر وتوسـيعها الى اول امبراطورية في التاريـخ ٢٣٧١ ــ ٢٢٣٠ ق . م شملت بالاضافة الى العراق الشام واجزاء من اسيا الصغرى وعيلام ويعتبر سرجون الاكدي (٢٣٧١ ــ ٢٣١٦ ق . م) اول زعيم عربي كبير في التاريخ القديم (٧) .

وبلغ الجيش في العهد الاشوري الأخير الأوج في قوته واسلحته

وتنظيمه وانتصاراته الحربية الكبيرة •

امـــا في مصر القديمة فلم يكن هناك جيش دائم في عهد المملكة القديمة حوالي ٣٠٠٠ ــ ٢٢٧٠ ق • م وكذلك في عهد المملكة الوسطى حوالي ٢٠٥٠ ــ ١٨٠٠ ق • م اي من عهد الاســرة الاولى الى زمــن الأسرة الثامنة عشرة ، وفي عهد الامبراطورية ١٥٨٠ ــ ١٠٨٥ ق • م تــم تأسيس جيش دائــم استطاع بواسطته الفرعون طوطمس الثالث حوالي ١٤٩٠ ــ ١٤٣٦ اهم المــلوك المحاربين في مصر القديمة من فتح بــلاد الشام وضمها الى مصر وبعد عهد الامبراطورية ضعف الاهتمام بالجيش لذلك كانت مصر ضعيفة عسكرياً من بعد عهد الامبراطورية • وفي الفترة المتأخرة اخذت مصر تستخدم المرتزقة في جيشها وخاصــة من اليونانيين الذين تواطئوا مع الغزاة الفرس سنة ٥٢٥ ق • م ممــا ادي الى احتلال مصر من قبل الفرس الأخمينيين •

وبالنسبة لحروب التحرير المهمة فقد كانت دول العراق القديــم في حالة حرب شبه دائمة مع الدول والاقوام الواقعة في شرق وشمال القطر وخاصة مع عيلام في جنوب عرب ايران ، واول حرب تحرير وطني في التاريخ قام بها « اوتوحيكال » ملك الوركاء في حوالي ٢١٢٠ ق • م ضد المحتلين الكوتيين الذين جاءوا من الجهات الشمالية الشرقية واحتلوا البلاد ونجحت حرب التحرير (٨) •

امــا في مصر القديمة فلم تحدث حرب تذكر طيلة الألف الثالث ق • م واول حرب تحرير وطني كانت ضد الهكوس « الرعاة » الذيــن

قدموا من الشام وقاد الحرب « احمسس الاول ملك مدينة طيبة في جنوب مصر في حوالي ١٥٨٠ ق • م وبعد طرد الهكوس تأسست الامبراطورية المصرية •

الاداب والفنون والعلوم في القطريين

بالنسبة للادب فقد ظهر في العراق منذ الألف الثالث ق • م وبكل فروعه ، من شعر واساطير وملاحم وقصص ومناظرات وحكم وامثال وقصص الحيوان ورثاء المدن التراتيل الدينية ومن اهم النصوص الأدبية ملحمة كلكامش وقصة الطوفان واسطورة الخليقة واساطير آدابا وايتانا وغيرها ويتميز الأدب العراقي بأنه اقدم ادب وصل الى العصر الحديث •

اما في مصر القديمة فقد وصلتنا نصوص ادبيه عديدة وخاصة من عصرالملكة الوسطى مثل قصة سنوهي والفلاح البليغ وغيرها ، ووصلتنا نماذج من الشعر وخاصة الغزل والامثال والحكم واساطير وقصص عن الالها والادب المصري انقديم لايضاهي نظيره الادب العراقي الأكثر حيوية وجاذبية •

اما فنون العمارة والنحت والرسم والصياغة ، فقد تميز الفن العمراني لحضارة وادي النيل بالضخامة مثل المعابد والقبور الملكية « الاهرامات » وخاصة الاهرام الثلاثة في الجيزة واكبرها هرم الملك « خوفو » حوالي ٢٦٠٠ ــ ٢٥٦٠ ق • م والذي يصل ارتفاعه الى .. قدم ، والمسلات والتماثيل الكبيرة والتي تعتبر اضخم ماشيده الانسان

القديم ولـم تصل اي حضارة قديمة الى ماوصلت الية الحضارة المصرية في هذا المضمار ومما ساعد على ذلك ايمان المصريين بالحياة الأخـرى وتوفر الحجارة الجيدة للبناء وكذلـك الأمن والاستقرار والازدهـار الاقتصادي الذي تمتعت بـه مصر في الألف الثالث ق • م بالاضافـة الى شدة سيطرة الدولة على السكان الذين سخرتهم للقيام بتلك الابنيـة الضخمة والتي لافائدة اقتصادية منها (٩) •

امـا في العراق القديم فلم تكن الظروف تساعد على انشاء الابنية الضخمة مثـل الحضارة المصرية القديمة وذلـك لعدم ايمان السومريين بالحياة الثانية ، وعدم توفر الحجر في سومر وعوامل اخرى • لذلـك نلاحظ بأن الحضارة المصرية اهتمت ببناء الاهرام والمعابد وتحنيط الموتى وما يتصل بالعالم الآخر • امـا الحضارة العراقية السومرية فقد كان اهتمامها مكرساً للحياة الدنيا لذلك اهتم العراقيين القدامى ببناء المعابد على شكل ابراج مدرجة « الزقورات » التي تتكون من عدة طبقات قـد تصل الى سبعة طبقات وللزقورة فوائد عديدة فهي معابد للالهه ومراصد عسكرية واماكن للدراسات الفلكية واشهر هـذه الزقورات زقـورة اور وبورسبا وبرج بابل الذي يصل ارتفاعة الى ٣٠٠ قدم (١٠) •

والنحت المصري تميز بالضخامة ، امـا النحت العراقي فقد كان يتصف بالحجم الطبيعي باستثناء النحت الاشوري الذي اتصف بالضخامة ولكن اقل من ضخامة النحت المصري ، ومن الناحية الجماليه فان النحت والرسم في العراق كان اكثر جمالاً وتعبيراً مما في مصر وفي فن رسم

الحيوانات على الجدران تفوق الاشوريين على كافة الامم القديمه (١١) •

اما فن صياغة الحلي الذهبية والفضية والاحجار الكريمة فقد كان متقدماً في كلا البلدين فقد وصلتنا نماذج رائعة من المقبرة الملكية في اور في جنوب العراق من منتصف الألف الثالث ق • م ، ومن مقبرة الفرعون توت عنخ امون في مصر من منتصف القرن الرابع عشر ق • م •

اما بالنسبة للقانون فقد وصلتنا من العراق شرائع عديدة اهمها شريعة « حمورابي » ملك بابل ١٧٩٢ ــ ١٧٥٠ ق • م وهي اوسع واهم شريعة في العالم القديم تطرقت لمختلف نواحي الحياة واكدت على النظام والعدالة • اما من مصر فلم تصلنا اية شريعة قبل القرن الثامن ق • م ولكن جاءت نصوص قضائية من عصور قديمة •

وفي العراق القديم ظهرت اقدم الحركات الاصلاحية الاجتماعية الأقتصادية في التاريخ «١٢» ، وهي الاصلاحات التي قام بها « اوركاجينا » ملك لجش حوالي ٢٤٠٠ ق • م وظهرت في لجش كلمة « الحرية » لتعني المعنى المعروف حالياً •

اما العلوم والمعارف فقد ظهرت في كلا البلدين قبل غيرهما مثل علوم الطب والرياضيات والكيمياء والفلك والتاريخ والجغرافية والصيدلة والمعاجم اللغوية وغير ذلك •

وكان العراق اكثر تقدماً في اغلب العلوم والمعارف فعلى سبيل فان الرياضيات البابلية كانت اكثر تقدماً من الرياضيات اليونانية والرومانيةالتي تلتها بزمن طويل «١٣» • وعلى علم الفلك البابلي اعتمد علم الفلك

الحديث ومن ذلك اسماء الأبراج والنجوم وايام الاسبوع والأشهر والتقويم وتقسيم اليوم الى ساعات والساعة الى ٦٠ دقيقة والدقيقة الى ٦٠ ثانية وغير ذلك «١٤» .

اما الديانة في البلدين فهناك خصائص مشتركة منها عبادة الأجرام السماوية وخاصة الشمس والماء والهواء ومظاهر الطبيعة والحياة المختلفة لذلك تميزت الديانة بظاهرة تعدد الالهة ، وبالنسبة للفوارق فان سكان العراق السومريين اعتقدوا بانفصال روح الانسان عن جسده بعد الموت حيث تذهب الروح الى العالم الاخر وترتاح اذا دفن الجسد حسب التقاليد الدينية ولكن لم تتولد عند السومريين فكرة العقاب والثواب (أي الجنة والنار) اذ اعتقدوا ان هذه الفكرة تكون في هذه الحياة بعكس المصريين الذين كرسوا الكثير من جهودهم للحياة الثانية فبنوا القبور الضخمة (الاهرامات) والمعابد الكبيره واهتموا بتحنيط الموتي لاعتقادهم ان التحنيط يساعد على اعادة الحياة بعد الموت . وحاول الفرعون اخناتون ١٣٧٩ — ١٣٦٢ ق . م فرض عبادة اله الشمس وحده ولكنه فشل ، وعبد المصريون او قدسوا بعض الحيوانات الأليفة والخطرة ، اما العراقيين فلم يعبدوا الحيوانات وكانت نظرتهم اليها اعتيادية . واهتمت كلا الديانتين بالأخلاق والسلوك الصالح وتجنب اعمال الشر .

الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية

ان النشاط الاقتصادي الذي قامت عليه الحضارتين المصرية والعراقية

يتمثل في الزراعة والصناعة اليدوية والتجارة ، فبالنسبة للزراعة فقــد كانت عماد حياة السكان والحضارة ، والزراعة في العراق القديم تكون مرتين في السنة لأنها تعتمد على الري الدائم ، أمــا في مصر القديمــة فقــد كانت شتوية فقط لأنها تعتمد على الــري الحوضي من الفيضان السنوي لنهر النيل ، لذلك كان الانتاج الزراعي العراقي اوسع واكثــر تنوعاً والعمل الزراعي في مصر اسهل مما في العراق «١٥» .

أمــا الحرف والمهن فقد تقدمت في كلا القطرين وشملت صناعات يدوية عديدة مثل الاسلحة والفخاريات والجلود ومواد البناء والحدادة والنجارة وصناعة العربات والزوارق والسفن والسباكة ووصلتنا نماذج جيدة لتلك الصناعات من كلا البلدين وكانت بعضــ هذه المصنوعــات تصدر الى الخارج . أمــا التجارة الداخلية والخارجية فقد اهتم بهــا كلا القطرين لحاجتهما الى المــواد الأولية من معادن وخشب واحجــار كريمة وخاصة بالنسبة للعراق الذي كانت تجارته الداخلية والخارجيــة أوســـع من مصر «١٦» .

أمــا وسائــل المواصــلات فكانت تعتمد على المراكب والسـفن الشراعيــة في الأنهــار والبحار وخاصة بالنسبة لمصر لسعة سواحلهــا البحرية ، وأمــا وسائل المواصلات البرية فكانت الحيوانات والعربات ذات العجلتين وذات الأربع عجلات التي تجرها الحيوانات وقــد تأخــر استعمال العربة في مصر زمناً طويلاً بالنسبة للعراق «١٧» .

أمـا فئات وطبقات المجتمـع في البلديـن ، فتوجد الفئة العليـا الحاكمة من ملاكي الأراضي والعبيد وكبار الكهنة والقادة العسكرييـن وكبار الموظفين من وزراء وحكام أقاليم وجباة الضرائب وغيرهم . وهناك الفئة الوسطى من حرفيين وتجار وفلاحين احرار والفئة الثالثة هم العبيد من اسـرى الحروب ومن العاجزيـن عن دفـع الديون ، وهنـاك اللصوص وقطاع الطرق ، ولـم تكن هناك فكرة الصراع الطبقي لأن حالة الانسان المـاديـة والاجتماعية تقررها ارادة الالهة حسب اعتقاد القدماء ، وكانت فئة العبيد والاحرار الفقراء وخاصة الفلاحين معرضين للقيام باعمال السخرة المرهقة التي تجبرهـم عليها الدولـة ففي مصر القديمة بنى هؤلاء الاهرامات والمعابد الضخمة وفي العراق منشئات الري واسوار المـدن والمعابد وغير ذلك . وكان الحرفيين والتجار والفلاحين يعانون الضرائب الباهضة وتتميز الادارة المصريـة بشدة قبضتها عـلى السكان اكثر من الادارة العراقية وثوارت فئات المجتمع على المـلك في العراق كانت اكثر مما في مصر وكثيراً مااغتصب افراد أقوياء من الطبقة الحاكمة السلطة من الملك العراقي ، أمـا في مصر فنادراً مايحدث ذلك بـل كانت هناك مؤامرات بين افراد العائلة الحاكمة حول منصب الفرعون في بعض الأزمان . والمرأة في مصر القديمة تسلمت العرش عـدة مرات أمـا في العراق فان الاوضـاع السياسية المعقدة لاتمكن المـرأة من الوصول الى العرش .

والحياة العائليـة تنظمها الاعراف والقوانين في كلا القطريـن ،

والجدير بالذكر ان الزواج من الأخت وبنت الأخت كان سائعاً في مصر القديمة وقد تزوج الفرعون رمسيس الثاني حوالي ١٢٩٠ — ١٢٢٤ ق • م من ثلاثة من بناته «١٨» •

ولم يكن يوجد مثل هذا الزواج في العراق القديم وانما نفس اعراف الزواج الحالية تقريباً •

وبالنسبة لأصول السكان في البلدين فان سكان مصر الأصليين كانوا من العناصر الأفريقية وقد هاجرت الى مصر جماعات سامية كثيرة في الألف الرابع ق • م «١٩» ، كما هاجرت الى مصر جماعات يونانية في العصور المتأخرة •

أما اصول سكان العراق القديم فهو أيضاً خليط من عناصر سامية عربية (اكدية) وعناصر (هندية — أوربية) والعنصر السومري في جنوب العراق لايزال انتمائه العرقي غامضاً ولغته السومرية لاتنتمي الى اية مجموعة لغوية حالية • وقد ادعى بعض العلماء ان اصلة من خارج العراق ولكن الدراسات الأخيرة اثبتت ان السومريين ينحدرون من سكان شمال العراق وهاجروا الى الجنوب في حوالي ٥٥٠٠ — ٤٠٠٠ ق • م «٢٠» • ويلاحظ بأن التجانس السكاني في مصر أقوى مما في العراق الذي يتكون من ملل وجماعات عرقية ودينية وقبلية كثيرة لذلك كانت الوحدة السياسية في مصر أمتن مما في العراق •

وقد اشتهر العراق بمدنه الكبيرة مثل أور ولجش والوركاء

وبابل واشور ونينوى والتي نالت انبهار واعجاب حتى خصومها كما جاء في التوراة .

أمـــا في مصر فلم تظهر مدن عظيمة مشهورة بل كانت مصر مشهورة كبلد واحد وأهم المـــدن المصرية القديمة منفس وطيبة والاسكندرية . ومن العراق ومصر انتقلت عناصر الحضارة والمدنية الى العالم القديـــم وخاصة الفرس واليونان والرومان وغيرهم .



الفصل الثاني

العلاقات السياسيـــــية بين العراق ومصـــر خلال الفتـــرة ١٤٠٠ق٠م الى سنة ٦٤٠م ٠

١ ـ العلاقات خلال الفترة ١٤٠٠ق٠م ـ ١٢٠٠ق٠م

لقد مرت قرون طويلة امتدت من بداية العصور التاريخية حوالي ٣٠٠٠ ق ٠ م وحتى بداية القرن الرابع عشر ق ٠ م لم تظهر خلالها علاقات او اتصالات سياسية او حضارية بين مصر والعراق ويبدو ان كلاً منهمـا كان خلال الفترة المذكورة اعلاه منشغلاً باموره الداخليـة واقتصـرت علاقات كل منهما مع جيرانه المباشريـن ٠

فبالنسبة للعصور التاريخية التي مرت على العراق بعد عصر دول المدن السومرية حوالي ٣٠٠٠ ـ ٢٤٠٠ ق ٠ م ، جاء عصر الامبراطورية الاكدية (٢٣٧١ ـ ٢٢٣٠ ق ٠ م) التي شملت العراق والشام واجزاء من اسيا الصغرى (تركيا) وعيـلام (جنوب غرب ايران) وانتشـرت مظاهر الحضارة العراقية الى مناطق مختلفة في العصر الاكدي ، ثـم تعرض العراق الى الغزو من اقوام جائت من الحدود الشماليه الشرقية وهم (الكوتيون) وكانوا متخلفين حضارياً واستمرت سيطرتهـم الى حوالي ٢١٢٠ ق ٠ م عندما استطاعت دولـة الوركاء من طردهم ، ثـم جائت دولة سلالة اور الثالثة ٢١١٢ ـ ٢٠٠٤ ق ٠ م وبعد ذلـك حلت

مرحلة فوض سياسية وعودة نظام دول المـدن المتناحره الى ان تمكـن الملك السادس لسلالة بابل الأولى حمورابي العظيم (١٧٩٢ ــ ١٧٥٠) من توحيد البلاد وضم اجزاء واسعة من الشام وعيلام الى دولة بابـل الأولى ١٨٩٤ ــ ١٥٩٥ ق • م ثـم اصاب الامبراطوريه البابلية الضعف والتفكك حتى تمكن الحيثيين من اسقاطها ولكنهم انسحبوا وجاء بعدهم الكاشيون وهـم مثل الحيثيون من الأقوام الهنـدو ــ اوربيه كانـوا متخلفين حضارياً ولذلك طغت عليهم حضارة بابل حتى انهم لم يتركوا كتابة مدونة بلغتهم الكاشية وشملت الدولـة الكاشيه ١٥٩٥ ــ ١١٥٧ ق • م مناطق وسـط وجنوب العـراق ، واتخذوا من بابل اولاً ثـم منطقة (عكركوف) شمال غرب بغداد عاصمة لهم • ولم يتمكن الكاشيون من ضم بلاد اشور لذلك كان هناك صراع سياسي وحربي بين الدولتين الكاشية والاشوريـة حول السيادة على العراق ، وكانت اليـد العليـا للكاشيين في البداية حيث فرضوا نفوذهم على اشور ولكن الموقف بدأ يتغير لصالح الاشوريين منذ عهد الملك الاشوري القوي اشور او بلط الأول ١٣٦٥ ــ ١٣٣٠ ق • م ــ الـذي فرض نفوذه على الكاشيين ، وهكذا نلاحظ بأن العراق في الفترة بين القرنين الخامس عشر والثالث عشر ق • م كان مجزئاً بين الدولة الاشوريه في الشمال والدولة الكاشية في الوسط والجنوب وهذه الفترة هي التي ظهرت في خلالها علاقـات سياسية ودبلوماسية مع مصر ودول الشرق الادني •

امـا العصور التاريخية التي مرت على مصر بعد عهد المملكة القديمة حوالي ٣٠٠٠ ـ ٢٢٧٠ ق ٠ م وعصـر الاهرام زمن ازدهار الحضـارة المصرية حوالي ٢٧٨٠ ـ ٢٢٧٠ ق ٠ م ، جائت فترة فوضى وتفكـك سياسي (٢٢٧٠ ـ ٢٠٥٠) ق ٠ م صار خلالها حكام الاقاليم مستقلين ثـم عـادت الوحـدة السياسية في عهد المملكة الوسـطى حوالـي ٢٠٥٠ ـ ١٨٠٠ ق ٠ م ٠ وتعرضت مصر الي غزو الهكسوس وهم اقوام اختلف المؤرخون في اصلهم «١» العرقي ، جائوا من الشام واحتلوا مصر لفترة طويلـة حوالي ١٧٨٠ ـ ١٥٨٠ ق ٠ م وكانوا متخلفـين حضارياً وغلبتهم الحضارة المصرية ، وتم طردهم من مصر بقيادة ملوك مدينة طيبة في جنوب مصر وخاصة الملك « احمس الاول » وتكونت الامبراطورية المصرية ١٥٨٠ ـ ١٠٨٥ ق ٠ م وعاصمتها طيبة وبلغت مصر في عهـد الامبراطورية اوج توسعها حيث امتدت من شمال سوريا الى الشـلال الرابـع لنهر النيل جنوباً وبلغت قمة مجدها الحربي في هـذا العهـد وخاصة عهد الملك طوطمس الثالث حوالي ١٤٩٠ ـ ١٤٣٦ ق ٠ م وكان هذا الملك انشط ملوك مصر القديمة في حقل الحروب والتوسع حيث تمكن من تحقيق النصر على تحالف دول المـدن السوريه ـ الفلسطينية بزعامة امير دولة قادش على نهر العاصي في معركة مجدو حوالي سـنة ١٤٧٩ ق ٠ م وتمكن من ضـم سوريا وفلسطين ، وكان الدافـع وراء تكوين الامبراطورية الحصول على الجزية والغنائم والمـوارد التجارية ٠ التي تحتاجها مصر بالأضافة الى الرغبة بالقضاء على بقايا الهكسوس الذين

هربوا الى سوريا • وفي عهد الامبراطورية المصرية نشأت لأول مرة علاقات دولية واسعة بين دول الشرق الأدنى تمثلت بالاتصالات الدبلوماسية وتبادل الهدايا والمصاهرات والتحالفات السياسية والحربية •

لقد شملت العلاقات الدولية فترة زادت على القرنين حوالي ١٤٥٠ ــ ١٢٥٠ ق • م والدول التي قامت بينها العلاقات هي الدولة الحيثية في اسيا الصغرى والدولة الميتانية في منطقه مابين النهرين الخابور والفرات والدولة الاشورية في شمال العراق والدولة الكاشية في بابل وكان محور الصراع السياسي والحربي يدور بين مصر والدولة الحيثية حول السيطرة على منطقة شمال سوريا ذات الاهمية التجارية والأستراتيجية •

فبالنسبة للصراع بين المصريين والحيثيين فقد انتهى حوالي عام ١٢٨٠ ق • م على اثر معركة قادش غير الحاسمة ولكن كفه الحيثيين كانت ارجح «٢» • وتم عقد معاهدة السلام والصلح بين الدولتين عام ١٢٧٠ ق • م حيث اصبحت فلسطين وفينيقيا (لبنان) ضمن الامبراطورية المصرية وباقي سوريا ضمن الامبراطورية الحيثية وكان لتزايد قوة الدولة الاشورية دافع مهم لقيام علاقات ودية بين الدولتين المصرية والحيثية ولمجابهة الخطر الاشوري المشترك •

اما علاقات مصر مع الميتانيين (الحوريون) وهم من الاقوام الهندو ــ اوربية فكانت في البداية عدائية بسبب التنافس حول السيطرة على شمال سوريا ، ثم لما ظهر الخطر الحيثي ضد الدولتين المصرية

والميتانية حدث تحول في العلاقات فأصبحت العلاقة ودية وتبادل الطرفين الهدايا وتزوج الفرعون امنحوتب الرابع (اخناتون) حوالي ١٣٧٩ ــ ١٣٦٢ من ابنة (شوترنا) ملك الدولة الميتانية • والعلاقات بين الدولتين الميتانية والاشورية كانت عدائية وتدور حول النزاع على الحدود وكانت كفة القوةفي البداية بجانب الميتانيين حتى انهم فرضوا سيطرتهم على بلاد اشور فترة طويلة من الزمن الى ان جاء الملك الاشوري اشور اوبلط الأول ١٣٦٥ ــ ١٣٣٠ ق • م الذي أعاد لأشور استقلالها ووسعها وحارب الميتانيين الى ان تم القضاء على دولتهم في عهد الملك الاشوري شلمنصر الأول ١٢٧٤ ــ ١٢٤٥ ق • م «٣» •

والعلاقات الاشورية مع الحيثيين كانت ايضا سيئة خاصة بعد القضاء على الدولة الميتانية وقد حدث احتكاك مباشر بينهما حول التوسع في شمال سوريا ، كما حدثت عدة حروب بين الطرفين حقق بها الاشوريون انتصارات عديدة وضموا اجزاء واسعة من منطقة شمال سوريا الى دولتهم •

اما علاقات الكاشيين مع الميتانيين والحيثيين فقد اتصفت بالتعاون ضد الدولة الاشورية • اما بالنسبة للعلاقات بين مصر والعراق خلال الفترة ١٤٥٠ ــ ١٢٥٠ ق • م فقد حدثت اتصالات سياسية وتجارية ومصاهرات بين الدولتين العراقيتين الاشورية والكاشية من جهة والامبراطورية المصرية من جهة اخري ولم يحدث اي اصطدام حربي بين دول العراق ومصر لأن الكاشيين والاشوريين كانوا منشغلين بالصراع

فيما بينهم من جهة ومع الدول المجاورة من جهة أخرى ، كما ان الامبراطورية المصرية لم تتجاوز نهر الفرات في شمال سوريا لذلك كانت العلاقات ذات طابع ودي وتجاري متكافيء حيث كان التخاطب بين ملوك القطرين بكلمة اخ بينما امراء سوريا وفلسطين الخاضعين لمصر كانوا يخاطبون الفرعون بكلمات عبدك ـ خادمك •

والعلاقات الاشورية المصرية اتصفت بالود وتبادل الهدايا والرسل خاصة في عهد الملك الاشوري اشور اوبلط الاول الذي أرسل هدايا من حجر اللازورد والخيل والعربات الى الفرعون اخناتون ١٣٧٩ ـ ١٣٦٢ ق • م وطلب منه تزويده بالذهب ولكن الملك المصري ارسل كميه قليلة من الذهب «٤» ، وكان للعداء بين اشور من جهة والميتانيين والحيثيين والكاشيين من جهة اخري اثر في دفع الاشوريين الى التقارب مع مصر بالاضافة الى التجارة ، ولكن التوسع الاشوري في شمال مابين نهري الخابور والفرات بعد القضاء على الدولة الميتانيه ادى الى تدهور علاقات اشور مع مصر التي رأت في التوسع الاشوري خطراً يهدد مصالحها التجارية في شمال سوريا ، لذلك انهي المصريين والحيثيين العداء بينهما (١٢٧٠ ق • م) وتعاون الطرفان ضد اشور التي اصبحت القوة الكبرى في المنطقة • وقد اصاب الضعف كلا الدولتين الحيثيه والمصرية منذ منتصف القرن الثالث عشر ق • م ، فالحيثيون زالت دولتهم نهائياً في حوالي ١٢٠٠ ق • م على ايدي الاقوام الاوربية (الفريجيون) التي استولت على آسيا الصغرى • ومصر تدهورت اوضاعها الداخلية وفقدت

سيطرتها على فلسطين ولبنان واصبحت ضعيفة عسكرياً ولذلك صارت الدولة الاشورية اقوى الدول خلال القرن الثالث عشر الا انها بدورها تفككت في حوالي سنة ١٢٠٨ ق ٠ م بسبب الصراعات الداخلية ٠

والعلاقات بين الدولة الكاشية في بابل والامبراطورية المصرية اتصفت بالود والتعاون وتبادل الهدايا والمصاهرة ، ولاشك ان العلاقات السيئة بين الكاشيين واشور دفع الكاشيين الى اقامة علاقات تعاون مع كل من الميتانيين والحيثيين والمصريين كما كان للتبادل التجاري ورغبة الكاشيين الحصول على الذهب المصري عامل مهم في علاقات جيدة بين الطرفين بالأضافة الى التوازن الدولي بين دول المنطقة ، وقد كانت العلاقات الكاشية المصرية قوية بصفة خاصة في النصف الأول من القرن الرابع عشر ق ٠ م حيث تم تبادل الهدايا والوفود وتزوج امنحوتب الثالث (١٤١٧ ــ ١٣٧٩ ق ٠ م) من ابنة الملك الكاشي ، وكان ملوك الكاشيين يلحون على طلب الذهب المصري مقابل العربات والخيل والاحجار الكريمة والعبيد ، وقد كان لأقامة علاقات بين مصر واشور وعدم ارسال الفراعنة كميات كبيرة من الذهب الى الكاشيين وكذلك عدم تمكن الدولة المصرية من حماية التجار البابليين في فلسطين اثر في تدهور العلاقات بين الكاشيين والمصريين ، ولذلك تحالفت الدولة الكاشية مع الحيثيين ضد مصر في اوائل القرن الثالث عشر ق ٠ م ، وهكذا اصبحت العلاقات عدائية «٥» الى ان زالت الدولة الكاشية في منتصف القرن الثاني عشر ق ٠ م على ايدي العيلاميين ٠ ومنذ اواخر

القرن الثالث عشر ق • م انتهت مرحلة العلاقات بين دول الشرق الأدنى لأن بعض هذه الدول زالت من الوجود مثـل دول الميتانيين والحثيين والكاشيين بينما كل من مصر واشور اصابها التفكك والانكماش والجدير بالذكر ان اللغة البابلية كانت لغة المراسلات الدولية مما يشير الى النفوذ الثقافي لبابل وقـد عثر على بعض تلك المراسلات في منطقة العمرانـة بمصر الوسطى في اواخر القرن المـاضي وكذلك في العاصمة الحيثيـة (حاتوشاش) في وسط الاناضول في اوائل القرن الحالي •

٢ ـ العلاقات بين مصر والعراق خلال الفترة ٧٤٠ ـ ٥٤٠ق•م

مضت قرون عديدة على انشاء علاقات سياسية بين دول الشـرق الأدني والتي انتهت في اواخر القرن الثالث عشر ولـم تحدث بعد ذلك اتصالات بين القطريـن حتى اواسط القرن الثامن ق • م حيث بدات مرحلة جديـدة اتسمت بالتنافس السياسي والصراع المسلح بـين دول العراق ـ الاشورية ثم الكلدانية ـ والمملكة المصريـة في عهد الأسـرة الثالثـة والعشرون وحتى الأسـرة السادسة والعشـرون اي الفتـرة ٧٤٥ ـ ٥٢٥ ق • م • لقد كان محور الصراع يدور حول السيطرة على بـلاد الشـام والحصول على المـواد التجاريـة من فينيقيا وغـرب الأناضول وكذلك الحصول على الجزية والغنائم • ولابـد من القـاء نظرة موجزة على الاوضاع السياسية لبلاد الشام ، فيلاحظ انـه لـم تنشأ بها دولة واحدة كبيرة وذلك يرجع الى الضغط الحربي على الشام من دول مصر والعراق والدولـة الحيثية في اسيا الصغرى بالاضافـة

الى الوضع الجغرافي المعقد لبلاد الشام حيث تفصل الجبال والوديان والأنهار بين اقسامها المهمة فالجبال تفصل لبنان عن سوريا وفلسطين كما تفصل فلسطين عن سوريا ونهر الأردن يفصل فلسطين عن الاردن كما ان المدن السورية ـ الفلسطينية كانت في حالة صراع وتنافس ضد بعضها مما يعرقل قيام دولة واحدة في الشام • ويسكن بلاد الشام العرب القدامى من اموريين وكنعانيين وآراميين وغيرهم منذ اقدم العصور التاريخية •

وقد استفادت دول المدن السورية الفلسطينية من موقعها الجغرافي المتوسط بين عدة دول وحضارات ، للقيام بالنشاط التجاري الواسع وكذلك الأستفادة من حضارات العراق ومصر ونقل عناصرها الى مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط • وقد خضعت بلاد الشام الى الدول العراقية القديمة مثل الدولة الأكدية ودولة سلالة اور الثالثة ودولة حمورابي خلال الفترة ٢٣٧٠ ـ ١٧٥٠ ق • م وكانت التبعية ضعيفة على وجه العموم •

ثم بدأت بلاد الشام تتعرض للضغط الحربي من جانب مصر منذ عهد الامبراطورية وقد خضعت دول المدن الفلسطينية السورية الى مصر في عهد الفرعون طوطمس الثالث حوالي سنة ١٤٧٩ ق • م على أثر معركة مجدو التي خسرتها دول الشام ودفعت الجزية الى مصر بالأضافة الى الغنائم التي اخذها الملك المصري وقد بدات السيطرة المصرية على بلاد الشام بالتراخي منذ عهد الفرعون اخناتون ١٣٧٩ ـ ١٣٦٢ ق • م الذي انشغل بحركته الدينية ولم يلبي اخناتون

طلبات الاستغاثة التي ارسلها حكام المدن وخاصة « عبدو خيبا » حاكم مدينة القدس الذي طلب من الفرعون ارسال «٥٠» جندياً فقط من اجل القضاء على عصابات الخابيرو التي عكرت الأمن في القدس «٦» .

وقد انتهت السيادة المصرية على فلسطين وفينيقيا في منتصف القرن الثاني عشر على اثر تدهور الأحوال الداخلية في مصر . وكانت دول العراق واسيا الصغرى ضعيفة ايضاً ، لذلك تمتعت المدن السورية الفلسطينية وخاصة مدن صور وصيدا ودمشق وغيرها بالاستقلال واهتمت بالتجارة خاصة المدن الفينيقيه في لبنان التي سيطرت على تجارة حوض البحر الابيض المتوسط واسس الفينيقيون مدن تجارية مشهورة مثل قرطاجنة في تونس واخترع الفينيقيين الحروف الهجائية وانتقلت منهم الى العالم .

وقد استمرت دول الشام مستقلة من منتصف القرن الثاني عشر الى بداية القرن التاسع ق . م حيث بدات تتعرض للضغط العسكري من جانب الدولة الاشورية التي اخذت تتعاظم في القوة .

وقد بدات المرحلة الجديدة في العلاقات العراقية المصرية في اواسط القرن الثامن قبل الميلاد ، عندما استطاعت الدولة الاشورية من فرض سيادتها على كافة انحاء العراق واخذت تتطلع لفتح بلاد الشام . ولابد من القاء نظرة خاطفة على التاريخ الاشوري . ان الاشوريون من الاقوام العربية القديمة (الاكدية) اسسوا دولة في شمال العراق في منطقة محافظة نينوى الحالية حوالي سنة ٢٠٠٠ ق . م وبمرور الزمن

شملت بلاد اشور كل شمال العراق وفي اوائل القرن التاسع ق • م اصبح العراق الاوسط والجنوبي تابعاً للدولة الاشورية التي اعتبرت نفسها وريثة الدولة الاكدية من الناحية الحضارية والسياسية • وتكونت الامبراطورية الاشورية الاولى ٩١١ ـ ٨٢٤ ق • م التي ضمت الشام واجزاء واسعة من اسيا الصغرى وغرب ايران بالاضافة الى العراق ، واشتهر من ملوكها اشورنا صربال الثاني وشلمنصر الثالث •

لقد كان للموقع الجغرافي لبلاد اشور وتعرضها الى الضغط الحربي من كافة الجهات حافز كبير في اهتمام الاشوريون بالناحية العسكرية واصبح الجيش الاشوري اعظم جيش في العالم القديم خلال الفترة ٩١١ ـ ٦١٢ ق • م وقد انتهت الامبراطورية في حوالي ٨٢٨ ق • م على اثر حرب اهلية ادت الى انفصال الولايات وانكمشت دولة اشور في شمال العراق واستمرت هذه الحالة حتي مجيء الملك العظيم « تجلاثبليزر الثالث » ٧٤٤ ـ ٧٢٧ ق • م الذي اعاد للدولة الاشورية قوتها بفضل اصلاحاته الداخلية وتمكن من اعادة السيطرة الاشورية على الولايات في جنوب العراق وبلاد الشام واسيا الصغرى وغرب ايران وتأسست الامبراطورية الاشورية الثانية ٧٤٤ ـ ٦١٢ ق • م والتي حققت قمة الانتصارات العسكرية والازدهار الحضاري •

اما بالنسبة لمصر فقد بلغت اوج قوتها العسكرية في عهد الفرعون طوطمس الثالث ١٤٩٠ ـ ١٤٣٦ ق • م حيث امتدت الامبراطورية المصرية من شمال نهر الفرات في سوريا الى الشلال الرابع في منطقة

النوبة جنوباً وبدات بوادر الضعف تظهر ايام الفرعون اخناتون الـذي الشغل بحركته الدينية التي ترمي الى جعل اله الشمس (اتون) الالـه الوحيد ولكنه فشل على اثـر المقاومة ابداها الناس وخاصة الكهنة ٠ وقـد ادي ذلك الى اضعاف السلطة المصرية في في الشام وانفصـال بعض المناطق ، وقـد حاول الفرعون (رمسيس الثاني) ١٣٠٤ ــ ١٢٣٧ ق ٠ م تثبيت النفوذ المصري في بـلاد الشام ومقاومه توسع الدولـة الحيثية وقـد تم الصلح بين الدولتين المصرية والحيثية في حوالي ١٢٧٠ ق ٠ م وبموجب الصلح اصبحت سوريا خاضعة للحيثيين وفلسطين وفينيقيا (لبنان) تابعة للدولة المصرية حتي منتصف القـرن الثاني عشـر ق ٠ م حيث دول الشام مستقلة بعد ان تدهورت الاوضاع الداخلية في مصـر وزوال الممبراطورية المصرية حوالي ١٠٨٥ ق ٠ م وحلت بمصر فتـرة ضعف وجمود حضاري بسبب مجيء فراعنة ضعفاء واستمرت هذه الحالة الى ان جائت الاسرة الخامسة والعشرين الى الحكم في عام ٧٢٠ ق ٠ م وهذه الاسـرة اختلف المؤرخون في اصلهـا من اثيوبيا ام من منطقة النوبة في شمال السودان وعادت لمصر بعض مظاهر الاستقرار والانتعاش واخـذت تتدخل في شؤون مدن الشام وتحرضها على مقاومه السيادة الاشوريـة واشتهرت الاسرة الخامسة والعشرين بملكهـا « لهرافـه » ٦٨٨ ــ ٦٦٣ ق ٠ م الذي قاوم الفتح الاشوري لمصر ٠

اما عن مسيرة العلاقات بين مصر والدولة الاشورية فقد بـدات عـام ٨٥٣ ق ٠ م على اثـر انتصار المـلك الاشوري شلمنصر الثالث

على تحالف دول المدن السورية الفلسطينية في معركه القرقار التي ذكر بها اسم العرب لأول مرة في التاريخ «٧» فقد ارسلت مصر هدايا تتضمن جمال وفرس النهر وحيوانات غريبة اخرى واظهرت صداقتها لآشور «٨» • ولكن السياسة المصرية هذه سوف لاتستمر لأن السيطرة الاشورية على بلاد الشام ادت الى انقطاع التجارة المصرية مع بلاد الشام بسبب حظر الاشوريين تصدير الخشب من فينيقيا الى مصر ، بالأضافة الى رغبة مصر في التوسع وضم بلاد الشام ، لذلك بدات مرحلة جديدة في العلاقات بين العراق ومصر تميزت بالصراع السياسي والحربي

لقد كانت الامبراطورية الاشورية الثانية على جانب كبير من الأزدهار الحضاري والقوة العسكرية وملوكها كانوا على درجة عالية من المقدرة والطموح والنشاط الحربي وكذلك الاهتمام بالاداب والفنون وخاصة الملك اشور بانيبال الذي انشأ مكتبة كبيرة في عاصمته نينوى

اما الدولة المصرية فقد كانت ضعيفة عسكرياً بالنسبة للاشوريين لذلك انتهجت سياسة عدم المجابهة المباشرة للقوة الاشورية وانما اخذت تحرض الدويلات السورية الفلسطينية على الثورة ضد السيادة الاشورية وبدون ان تكون قادرة على تقديم أية مساعدة فعالة • فقد حرضت المملكة المصرية دول الشام على العصيان بزعامة امير حماة عام ٧٢٠ ق • م ولكن الجيش الاشوري بقيادة الملك سرجون الثاني (٧٢١ ــ ٧٠٤) ق • م قض على التمرد وانسحبت القوة المصرية التي جاءت لمساعدة الثائرين دون ان تشترك في القتال • وفي سنة ٧٠١ ق • م

حدثت ثورة اخرى واستطاع جيش الملك الاشوري سنحاريب (٧٠٤ ــ ٦٨١) من التضاء عليها وعلى القوة المصرية التي جائت لمساعدة الدويلات السورية ولكن دولة يهوذا وعاصمتها القدس استمرت متمردة وتحصن سكانها وراء الاسوار العالية للمدينة وقد صاح قائد الجيش الاشوري بالمحاصرين بأن(فرعون مصر ــ الذي اعتمدت عليه دولة يهوذا ــ مجرد قصبة مرضوضة تثقب كف اليد التي تتكأ عليها) اي بمعني ان الاعتماد على ملك مصر ورطة تهلك صاحبها «٩» ، وقد رفع الجيش الاشوري الحصار بعد دفع الجزية ٠ وبدأت الدولة الاشورية منذ عهد سنحاريب تتهيأ لفتح مصر ووضع حد لتدخل الدولة المصرية في بلاد الشام وتحريضها السكان على الثورة ٠

وبعد وفاة سنحاريب جاء الى العرش الاشوري ابنه الملك اسرحدون ٦٨١ ــ ٦٦٩ ق ٠ م الذي استطاع بالحرب والسياسة ان يوطد الاستقرار في مختلف ارجاء الامبراطورية الاشورية وبعد ذلك قاد جيشاً كبيراً وتوجه لفتح مصر عام ٦٧١ ق ٠ م واستطاع من الحاق الهزيمة بالقوات المصرية على الرغم من المقاومة الشديدة بقيادة الملك طهراقة وقد احتل الجيش الاشوري العاصمة منفس وهرب طهراقة الى الجنوب ، وعين اسر حدون حكاماً محليين لأداره مصر ويدفعون الجزية الى اشور ، وترك حامية اشورية صغيرة في مصر وعاد الى نينوى محملاً بالغنائم ، واستمر طهراقة في مقاومة الحكم الاشوري حتى تمكن من استعادة عرشه بعد سنتين وعاد الملك اسر حدون الى

مصر على رأس جيش كبير للقضاء على الثائرين ولكنه توفي في الطريق فتولى ابنه الملك اشور بانيبال ٦٦٩ ــ ٦٢٧ ق • م مهمة استعادة الحكم الاشوري وطرد طهراقه عام ٦٦٧ ق • م ووصل الجيش الاشوري هذه المرة الى مدينة طيبة عاصمة الجنوب المصري وعين اشوربا نيبال ولاة مصريين معادين لطهراقه وفرض عليهم الجزية ، ومات طهراقه عام عام ٦٦٣ ق • م ولكن المقاومة تجددت وتمكن الثائرين من طرد الحاميه الاشورية ، وهذا مما جعل الجيش الاشوري يعود الى مصر ويقضي على المقامة ويصل الى مدينة طيبة مرة اخرى ويدمرها عام ٦٥٥ ق • م • لقد استمرت السيطرة الاشورية على مصر حوالي خمسه عشرة عاماً ٦٧٠ ــ ٦٥٥ ق • م وانسحب بعدها الاشوريون من مصر بعد ان عينوا على حكم مصر ملكاً حليفاً هو بسماتيك الاول ٦٦٣ ــ ٦١٠ ق • م الذي ايد في سنة ٦٤٨ ق • م شمشوموكين حاكم بابل في تمرده على اخيه اشور بانيبال ولكن التمرد فشل • ولاشك ان كثرة حالات العصيان في مختلف انحاء الامبراطورية اجبر الاشوريون على الانسحاب من مصر •

وفي السنوات الأخيرة من عهد اشور باينبال تدهورت الاوضاع العامة في بلاد اشور وانفصلت الولايات بسبب الاستنزاف الشديد الذي اصاب الجيش الاشوري في حروبه الكثيرة المتواصلة في مختلف مناطق الشرق الاوسط كما ظهرت قوى دولية جديدة ناهضة تمثلت بالدولة الميدية في ايران والدولة الكلدانية في بابل وقد تشكل حلف

من هاتين الدولتين ضد اشور وتمكنت الجيوش الميدية والبابلية وقـوة من الأسكيثيين وهم اقوام همجية في شرق اسيا الصغرى ، من احتلال العاصمة الاشورية نينوى عام ٦١٢ ق • م وتدميرها وقتل اهلها ، امـا العون العسكري المصري الذي طلبته اشور فلم يصل في الوقت المناسب ، وانسحبت بقايا الجيش الاشوري الى شمال سوريا حيث قضي عليها مع القوة المصرية التي انضمت اليها حوالى عام ٦١٠ ق • م من قبل القوات البابلية والميديـة •

لقد كانت الدولة الاشورية اوسع واقوى دولة عربية في العصور القديمة حيث امتدت حدودها من نهر النيل غرباً الى بحر قزوين وعيلام شرقاً بالأضافة الى اغلب اراضي اسيا الصغري • وقد استطاع الجيش الاشوري على الرغم من قلة عـدده ان ينتصر على دول واقوام كثيرة وقوية كانت في حالة نهوض وتقدم حضاري لذلك قاومت الاشوريـين بشكل عنيف ، بينما نلاحظ ان الجيوشـ القديمة الفارسية واليونانية والرومانية امتازت بكثرة العـدد وجابهت دول واقوام كانت في حالـة تدهور وانحطاط حضاري شامل لذلك لم تجابه تلك الجيوش مقاومـة تذكر من قبل الشعوب المحتلة ، ومن هنا ندرك عظمة اشور •

والجدير بالذكر ان المؤرخين والكتاب المحدثين وخاصة الغربيين وصفوا الاشوريون بالقـوة والشراسـة في معاملة الشعوب متأثريـن بالتوراة التي تتحامـل على الاشوريين نتيجة الضـربات التي تلقتهـا الدويلات اليهودية التي احتلت فلسـطين من العرب الكنعانيين • وفي

الواقع كان الاشوريون اكثر الشعوب تقدماً وتحضراً واقلهم قوة وخاصة اذا قارنا بين الاشوريون ودول قديمة وحديثة في مجال معاملة الشعوب الخاضعة «١٠» • وفي السنوات الأخيرة من الحكم الاشوري استقلت مدن الشام ولكنها تعرضت الى غزو مصري في عهد الفرعون « بيخو الثاني » ٦١٠ ـ ٥٩٢ ق • م الذي تمكن من فرض سيطرت مصر على مدن الشام بعد ما هزم دولة يهوذا في القدس عام ٦٠٨ ق • م واحتل كركميش في اعالي نهر الفرات وبذلك سيطرت القوات المصرية على نقطة استراتيجية تتحكم بالطريق التجاري بين غرب اسيا الصغرى وسوريا والعراق مما شكل تهديداً للمصالح التجارية البابلية وكانت الدولة الكلدانية في بابل ٦٢٦ ـ ٥٣٩ ق • م قد حلت مكان الدولة الاشورية في حكم العراق واعتبرت نفسها وريثة اشور في السيادة على الشام بالأضافة الى رغبتها بتأمين التجارة مع اسيا الصغري وبلاد الشام ، لذلك جاء جيش بابلي كبير بقيادة ينوخذ نصر ولي العهد البابلي الى منطقة كركميش واشتبك في معركة عنيفة مع القوات المصرية وهزمها واجبرها على الانسحاب من الشام مما ادى الى خوف دول المدن السورية الفلسطينية وخاصة دويلة يهوذا التي سارعت الى اعلان الولاء ودفع الجزية الى بابل بعد ماشعرت بأن الفرعون ملك مصر (مجرد ضوضاء) كما تذكر التوراة «١١» • وعاد نبوخذ نصر الى بابل لتسلم العرش على اثر وفاة ابيه •

لقد استمرت السياسة المصرية تعتمد على تحريض مدن الشام

ضد الدولة البابلية لذلك اعلنت دولة يهوذا في القدس تمرداً واسعاً سنة ٥٨٧ ق ٠ م واسرع الملك نبوخذ نصر الثاني على راس جيش كبير للقضاء على التمرد وفرض حصاراً شديداً على مدينة القدس (اورشليم) لمدة ثمانية عشرة شهراً حتى تمكن من فتح المدينة وقتل زعماء التمرد وبضمنهم « صدقيا » آخر ملوك دولة يهوذا وجلب الى بابل اربعين الف اسير وثبت نبوخذ نصر سلطته على بلاد الشام ٠

لقد كان الملك نبوخذنصر الثاني ٦٠٤ ــ ٥٦٢ ق ٠ م آخر ملك عظيم في العراق القديم وامتاز عهده بالأزدهار الحضاري والبناء العمراني الواسع واصبحت مدينة بابل في عهده اعظم مدينة في العالم القديم ٠ حيث اشتهرت ببرجها الكبير (الزقورة) والجنائن المعلقة التي اعتبرت احدى عجائب الدنيا السبع ٠ وبعد وفاة نبوخذنصر جاء الى الحكم ملوك ضعفاء مما ادي الى تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية وقيام المنازعات الدينية ، وانفصلت الولايات عن بابل وانقطعت طرفا التجارة الخارجية مما ادى الى حدوث ازمة اقتصادية لذلك ضعفت الدولة البابلية واصبحت عاجزة عن الدفاع عن نفسها ٠ اما الملك البابلي الاخير نبونائيد ٥٥٥ ــ ٥٣٩ ق ٠ م فقد التهى بالمسائل الدينيه وجمع الاثار القديمة كما غاب عن بابل سنوات عديدة ٠

العراق ومصر في ظل الاحتلال الإجنبي ٥٣٥ق٠م ٦٤٠ م :

في منتصف القرن السادس ق ٠ م ظهرت في ايران الدولة الفارسية كورش الأخميني ٥٥٩ ــ ٥٣٠ ق ٠ م ٠ والفرس من الأقوام

الهندواوربية هاجروا الى ايران من اسيا الوسطى في بداية الألف الأول ق ٠ م وظهر اسم فارس (بارس) وكذلك اسم ميديا لأول مرة في التاريخ حوالي ٨٤٣ ـ ٨٣٥ ق ٠ م في الحوليات الاشورية وسكن الميديين في شمال غرب ايران اما الفرس فقد اسنوطنوا في اقليم بارس الذي يقع شرق اقليم الاحواز ، في منطقه جبلية تتخلها الوديان وكانت عاصمتهم في منطقة اصطخر ، وانصف الفرس منذ البداية بالروح العنصرية المتطرفة واتخاذهم من الأديان غطاءاً للتوسع والأحتلال٠

لقد كان كورش الأخميني مندفعاً في حقل الاحتلال وانشاء امبراطورية واسعة ٠ وقد شعرت دول الشرق الاوسط مثل ميديا وبابل ومصر وليديا في اسيا الصغرى بعطر الدولة الفارسية الناشئة ، وحاولت هذه الدول التعاون والتنسيق لمجابهة العدو المشترك ولكن كورش اسرع باحتلال هذه الدول الواحدة بعد الأخرى فقد قضى على دولة ميديا سنة ٥٥٣ ق ٠ م ثم احتل دواة ليديا سنة ٥٤٨ ق ٠ م وبعد ذلك توجه الى بابل واحتلها سنة ٥٣٩ ق ٠ م بسهولة نتيجة الفوضى والتدهور العام وتواطيء اليهود وجماعات اخرى مع الغزاة الفرس «١٢» ، وبذلك زال آخر حكم وطني في العراق وفقد استقلاله حتى التحرير العربي الاسلامي سنة ٦٣٧ ميلادية ٠

اما مصر فقد كانت ضعيفة ايضاً لذلك تمكن الملك الفارسي قمبيز من احتلالها بسهولة سنة ٥٢٥ ق ٠ م وساعده على ذلك اليهود والمرتزقة اليونانيين الذين تركوا الجيش المصري وانضموا الى جانب قمبيز ٠

واستمرت مصـر خاضعة للاحتـلال الأجنبي من فارسي ويوناني وروماني الى زمن التحرير العربي الاسلامي سنة ٦٤٠ م • لقد اصبحت الامبراطوريـة الفارسية الأخمينية تمتد من نهر النيل غرباً الى الهنـد شرقاً ، ويرجع سبب الانشاء السريع لهذه الأمبراطوريـة الى التدهور والانحطاط الحضاري الشامـل في منطقة الشـرق الأوسط بحيث لـم يجابـه الغزاة الفرس ايـة مقاومة تذكر في كل مكان احتلوه باستثناء بلاد اليونان التي كانت في حالة نهوض حضـاري نذلك لاقى الجيش الفارسي الهزيمة وانسحب من بـلاد اليونان •

لقـد اصبح القطريـن العراقي والمصري وكذلك الشام في ظـل الاحتلال الفارسي لفترة طويلة وقـد حافظ الفرس على سيطرتهـم الطويلة للشـرق الأدنى بوسائـل عديدة منها تدمير المـدن والتنكيـل الشديد بالثائرين كمـا حدث في بابل وفينيقيا ومصر وكذلك تجويـع السكان بفراض الضرائب الباهضة واعتبار غير الفرسـ مجرد عبيد ، امـا الفرس فقـد اعتبرتهـم الدولـة الاخمينية احرار واعفتهـم من الضرائب «١٣» ، وهـذا ماجعل الفرس شديدي الألتصاق بحكومتهـم واسنادهـا ، وذلـك يفسر لنا سبب استمرار السيطره الفارسية لمـدة طويلة من سنة ٥٣٩ ق • م الى سنة ٣٣١ ق • م •

لقـد كانت فترة الاحتلال الفارسي شديدة الوطأة على العـراق والشام ومصر مما جعل هذه البلدان في حالة ركود وانحطاط حضـاري وتدهور اقتصادي وتعاني من الضرائب الفادحة وخاصة العراق «١٤» •

وعلى الرغم من الثورات العنيفة التي اندلعت في بابل وفينيقيا ومصر ضد الأحتلال الفارسي الا انها فشلت نتيجة عدم التنسيق فيما بينها لذلك تقضي عليها الواحدة بعد الأخرى ، والجدير بالذكر ان احدى الثورات في مصر نجحت في طرد الفرس واصبحت مصر مستقلة سنة ٤٠٤ ق • م ولما تمكنت الدولة الفارسية من انهاء مشاكلها الداخليه اعادت احتلالها لمصر سنة ٣٤٠ ق • م وكانت نهاية الأمبراطورية الفارسية على يد القائد الشهير الاسكندر المقدوني ملك اليونان الذي توجه على رأس جيش قوي الى الشام لمحاربة الفرس والانتقام منهم لعدوانهم السابق على بلاد اليونان وكذلك الرغبة بتكوين امبراطورية يونانية تضم الشرق الاوسط ، وعلى الرغم من تفوق الفرس بالعدد والعدة الا انهم انهزموا في عدة معارك اهمها معركة ايسوس سنة ٣٣٣ ق • م في شمال غرب سوريا وانسحبوا من الشام وتقدم الاسكندر بجيشه واحتل مدن الشام وابدت مدينة صور مقاومة عنيدة الا انها فتحت ودمرت ثم توجه الاسكندر الى مصر ودخلها بدون مقاومة وعامل المصريين معاملة جيدة لذلك اعتبروه محرراً لهم من جور الفرس وبنى مدينة الاسكندريه على ساحل البحر الابيض المتوسط شمال غرب الدلتا • وبعد ذلك توجه الاسكندر الى العراق والتقى بالجيش الفارسي الذي يتفوق عليه كثيراً من ناحية العدد والعدة بقيادة الملك دارا الثالث ووقعت المعركة الفاصلة قرب اربيل في شمال العراق سنة ٣٣١ ق • م واندحر الفرس ولم تبقى أية مقاومة فارسية ضد الاسكندر وبذلك

زالت الدولة الفارسية الأخمينية ودخل الاسكندر مدينه بابل وسط ترحيب اهلها لأنه انقذهم من ظلم الفرس ، وبعد ذلك توجه الى ايران ودخل العاصمة الفارسية « بارسي بوليس » واحرقها واحتل كل ايران واجزاء من الهند ثم عاد الى بابل وقرر جعلها عاصمة لامبراطوريته الواسعة . وتوفي الاسكندر في بابل سنة ٣٢٣ ق . م وعمر لايتجاوز الثلاث والثلاثين عاماً .

وبعد وفاة الاسكندر الذي لم يكن له وريث ولم يوصي بالعرش لأحد من بعده حدثت منازعات وحروب بين قادة الجيش اليوناني حول اقتسام الأمبراطورية وتمكن القائد سلوقس من الاستحواذ على حكم العراق وايران وسوريا واسس الامبراطورية السلوقية سنة ٣١١ ق . م وانقسمت هذه الامبراطورية الى قسمين شرقي يشمل العراق وايران وعاصمته مدينة سلوقية قرب المدائن وقسم عربي يشمل سوريا وعاصمتة مدينة انطاكية . وقد تمكن البارثيون في شمال شرق ايران من سلخ ايران من الامبراطورية السلوقية في حوالي سنة ٢٤٧ ق . م واستطاع البارثيون ايضاً من احتلال العراق حوالي سنة ١٢٦ ق . م وبذلك اقتصرت الدولة السلوقية اليونانية على سوريا حتى سنة ٦٤ ق . م عندما احتل الرومان سورية وقضوا على الحكم السلوقي . ومن اشهر الملوك السلوقيين بعد الملك سلوقس ٣١١ — ٢٨١ ق . م الذي اسس الدولة الملك انتيوخس الثالث الكبير ٢٢٣ — ١٨٧ ق . م الذي تمكن من انتزع فلسطين من دولة البطالسة اليونانية في مصر .

اما مصر وفلسطين فقد صارتا من حصة القائد بطليموس منذ سنة ٣٢١ ق ٠ م وتوج ملكاً ٣٠٥ ـ ٢٨٣ ق ٠ م واتخذ من مدينة الاسكندرية عاصمة له وجعل من ابناء جنسه اليونانيين طبقة حاكمة وكان عهد البطالسة عهد فساد وانحطاط اخلاقي ، وقد حدثت حروب بين البطالسة والسلوقيين حول السيطرة على بلاد الشام وتبادل الطرفان الهزيمة والنصر وكاد السلوقيين ان ينجحوا في احتلال مصر لولا تصدي الرومان لهم ٠

واستمر عهد البطالسة حتى سنة ٣٠ ق ٠ م عندما احتل الرومان مصر وانتحرت الملكة كليوباترة آخر ملوك البطالسة ٠

لقد كان العهد اليوناني « السلوقي والبطلمي » زمن امتزج وتفاعل بين حضارة اليونان الناهضة وحضارات الشرق الادنى القديم ، فنشأت حضارة خليطة سميت بالحضارة « الهلينستية » وازدهرت مدن يونانية مثل سلوقيا وانطاكية والاسكندرية وكانت مراكز علمية وثقافية ٠

وفي عام ١٢٦ ق ٠ م اصبح العراق خاضعاً للدولة الفرثية (البارثية) التي اصلها من شمال شرق ايران واختلف المؤرخون في الاصول العرقية للبارثيين «١٥» ٠ واصبحت مدينة طيسفون (المدائن) عاصمة لهم وشملت الامبراطورية الفرثية العراق وايران ودخل الفرثيين في حروب طويلة مع السلوقيين في سورية وثم مع الرومان الذين حكموا سورية منذ سنة ٦٤ ق ٠ م وتبادلوا الغزو

والانتصارات والهزائم وكان العهد الفرثي خاصة في العراق مظلماً والمصادر عنه قليلة . واما مصر فقد وقعت تحت الاحتلال الروماني في سنة ٣٠ ق . م واصبحت الدولة الرومانية اوسع امبراطورية في العالم حيث شملت كل سواحل البحر الابيض المتوسط وعاصمه الامبراطورية هي مدينة روما ثم انقسمت هذه الامبراطورية الواسعة سنه ٣٩٥ م الى قسمين شرقي وعاصمته القسطنطينية ويشمل اسيا الصغري واليونان والشام ومصر وسمي القسم الشرقي بالامبراطورية البيزنطية ، اما القسم الغربي وعاصمته روما فقد شمل باقي الولايات في شمال افريقيا واوربا ، وقد دخل الرومان في حروب طويلة مع الفرثيين وثم مع الفرس الساسانيين الذين قضوا على الدولة الفرثية ، وشكل الساسانيون امبراطورية امتدت من نهر الفرات الى الهند واحتلوا العراق منذ سنة ٢٤٤ م وكان العراق والشام مسرحاً للحرب الطويلة والمدمرة بين الفرس والرومان التي ادت الى تدمير مدن كثيرة وابادة وتشريد آلاف السكان.

وكان العهد الساساني يمتاز بالنظام الاقطاعي واستعباد السكان غير الفرس وفرض الضرائب الباهضة عليهم ، واتخذ الفرس الساسانيين من مدينة طيسفون « المدائن » في وسط العراق عاصمة لهم واستمر العهد الفارسي حتى التحرير العربي الاسلامي سنة ٦٣٧ م . وبالنسبة للعهد الروماني في مصر الذي استمر من سنة ٣٠ ق . م الى سنة ٦٤١ م فقد كان عهد ظلم واستعباد اقطاعي وجباية الضرائب الفادحة من المصريين ، وكانت مصر مصدراً مهماً للقمح الذي يعيش عليه سكان

القسطنطينية العاصمة البيزنطية ويوزع عليهم مجاناً وفي العهد الروماني انتشرت الديانة المسيحية التي قاومها الرومان في البداية ولكنهم منـذ اوائل القرن الرابع الميلادي اعتنقوها واصبحت الديانة الرسمية للدولة •

لقد كانت فترة الأحتلال الأجنبي للعراق والشام ومصر التي امتدت من اواخـر القرن السادس ق • م الى منتصف القرن السابع الميـلادي فترة انحطاط حضاري وعبوديـة وخضوع للأجانب من فرس ويونان ورومان وقـد حافظ المحتلون على سيطرتهم الطويلة بأساليب شتى منها الضـرب الشديـد للقوي الوطنية وتجويـع السكان وتجريدهـم من السلاح «١٦» ، واتباع اساليب التفرقة الدينية والعنصرية ولكن مـع كل ذلك فشل المحتلون في القضاء على الهوية العربية للبلاد العربية التي احتلوهـا ، حيث حافظ العرب على شخصيتهم القوميه ولـم يندمجوا بالمحتلين ، ونشأت دول عربية صغيرة مثل الحضر والمنادرة في العـراق والأنباط وتدمر والغساسنة في الشام • ولقد كان واضحاً ان العـرب في تلك المناطق المحتلة كانوا غير قادرين على تحرير انفسهم من الأحتلال الفارسي والرومي نظراً لأمكانياتهـم القليلة وتشتتهـم • لذلك كانوا يتطلعون الى اخوانهم في شبه الجزيرة العربية الذين كانوا الرافد الذي يضخ الـدم العربي الى منطقة الهلال الخصيب • وعندما تمكن الرسول الكريم محمد (ص) والخلفاء الراشديـن من بعده من توحيد الجزيرة العربية بواسطة العقيدة الاسلامية وتكونت الدولة العربية الاسلامية اصبح العرب قوة عسكرية عظيمة ، واخـذ الخلفاء الراشدين ابو بكر

الصديق وعمر بن الخطاب (رض) على عاتقهم قيادة عملية تحرير البلاد العربية والقضاء حكم المحتلين الفرس والروم • وقد تمكن الجيش العربي الاسلامي من الانتصار على الروم في معركة اليرموك سنة ٦٣٦ م بقيادة خالد بن الوليد وانسحب الروم من الشام الى اسيا الصغرى بعد هزيمتهم ، كما استطاع الجيش العربي بقيادة سعد بن ابي وقاص من الحاق الهزيمة بالفرس في معركة القادسية سنة ٦٣٧ م وتحرير العراق وثم مطاردة الملك الفارسي يزدجرد الثالث الى داخل ايران والحاق الهزيمة النهائية به في معركة نهاوند وبذلك انهارت الدولة الفارسية الساسانية فتم فتح ايران وضمها الى الدولة العربية الاسلامية • اما مصر فقد تم تحريرها سنة ٦٤١ م على يد القائد عمرو بن العاص بعد انتصاره على الروم في معركة حصن بابلون وانسحب الرومان من مصر ، واصبحت الدولة العربية في عهد الخلفاء الراشدين تشمل العراق والشام ومصر وايران وطرابلس الغرب بالاضافة الى شبه الجزيره العربية ، وعاصمة الدولة العربية هي المدينة المنورة (يثرب) • وقد هاجرت اعداد كبيرة من عرب الجزيرة الى الشام والعراق ومصر مما ادي الى تعميق الطابع العربي لهذه المناطق ، وتمتع السكان بالمعاملة الجيدة من العرب المحررين واعتنقوا الدين الاسلامي واصبحوا احراراً بعد ان كانوا عبيداً في عهد الفرس والروم ، وحل عهد جديد يتميز بازدهار الحضارة العربية الاسلامية واصبحت الامة العربية مركز الحضارة في العالم خلال العصور الوسطى •

هوامش الفصل الأول

١ ـ انظر د . احمد سوسة : حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور ص ص ١٧٧ ـ ١٧٨ .

٢ ـ طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة الجزء الاول ١٩٧٣ ص ١٩١ .

وانظر د . حسين قاسم العزيز : عوامل التفاعل الحضاري في المجتمع العبودي القسم الثاني ، مجلة الثقافة البغدادية عدد شباط ٩٨٣ ص ٨٦ .

٣ ـ انظر س . ن . كريمر : هنا بدأ التاريخ ترجمة ناجية المراني ص ٦ وجون ويلسن الحضارة المصرية ، ترجمة د . احمد فخري ص ٨٤ ـ ٩١ .

٤ ـ د . فوزي رشيد ، من هم السومريون ، مجلة افاق عربية بغداد عدد آب ١٩٨١ ص ص ٨١ ـ ٨٩ .

٥ ـ طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج ٢ طبعة ١٩٥٦ ص ٢٩ .

٦ ـ انظر جون ويلسن : الحضارة المصرية ص ٨٧ ص وهاري ساكز عظمة بابل ، ترجمة عامر سليمان ص ٤٧ ـ ٤٨ وطه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات ج ١ طبعة ٩٥٥ ص ٥٤ وج ٢ طبعة ٩٥٦ ص ٢٦ ـ ٢٧ واحمد فخري ـ مصر الفرعونية ص ٥٣ .

٧ ـ د . احمد سوسة : حضارة العرب ومراحل تطورها ص ١٣٥ .

٨ ــ د . فاضل عبد الواحد علي ' اقدم حرب تحرير في التاريـخ (من
٩ ــ ابحاث المؤتمر الدولي للتاريخ والاثار) بغـداد ٩٧٣ .

١٠ ــ اندريه بارو : برج بابل : ترجمه جبرا ابراهيم جبرا ص ٥٠ .
١١ ــ جيمس هنري رستد : انتصار الحضارة ، تاريـــخ الشرق القديم ، ترجمة د . احمد فخري ص ٢٣٣ .

١٢ ــ س . ن كريمر : هنا بـدا التاريخ ص ٢٩ .

١٣ ــ عرض اقتصادي تاريخي (جامعة باتريس لومومبا للصداقه بـين الشعوب) مكتبة التحرير بغداد الجزء الأول ص ٨٦ .

١٤ ــ جيمس هنري برستد : انتصار الحضارة ص ٢٣٣ ــ ٢٣٧ .

١٥ ــ د . احمد سوسة : حضارة العرب ومراحل تطورها ص١٧٧ ــ ١٧٨

١٦ ــ احمد صادق سعد : في ضوء النمط الاسيوي للانتاج ، نشاة التكوين المصري وتطوره القســم الأول ، مجلة دراســات عربية ، بيروت عدد تشرين الثاني ٩٨١ ص ٦٩ .

١٧ ــ خزعل الماجدي : رسالات العرب الى العالم عبر التاريـخ ، افاق عربية عدد تشرين الثاني ١٩٧٩ ص ١٤ ــ ١٥ .

١٨ ــ د . عبد الرحمن الرافعي : الحركة القومية في مصر القديمه ص١٣٥

١٩ ــ د . احمد سوسة : مفصل العرب واليهود في التاريخ ص ١٨٨ .

٢٠ ــ د . فوزي رشيد : من هـم السومريون ، افـاق عربية ا ب ٩٨١ صـــس ٨١ ــ ٨٩ .

هوامش الفصل الثاني

١ ــ عبد الكريم عبدالله : الأصول العربية في حضارة الهكسرس ، مجلة مجلة الاداب جامعة بغداد عدد شباط ٩٧٩ ص ٧١ ــ ١٠١ واحمد فخري : مصر الفرعونية ص ٢٤٥ .

٢ ــ د . ادم فالكنشتاين : سوريا في الألف الثاني ق . م ، ترجمة ترجمة د . خالد اسماعيل . مجلة كلية الاداب ــ جامعة بغداد ــ قسم البحوث المترجمة عدد «١١» ص ١١٢ .

٣ ــ وليد صالح الفرحان : الصراع الدولي في الشرق الأدنى بين القرنين الخامس عشر والثالث عشر ق . م مجلة اداب الرافدين جامعة الموصل ــ عدد كانون الأول ١٩٧٩ ص ٢٣٥ .

٤ ــ اكرم الزيباري : العلاقات بين اقطار الشرق الأدنى في القرن الرابع عشر ق . م ، مجلة كلية الأداب ــ جامعة بغداد ــ عدد مايس ١٩٨٠ ص١٤٠

٥ ــ وليد صالح الفرحان ، مصدر سابق ص ٢٣٣ .

٦ ــ د . سامي سعيد الاحمد : تاريخ فلسطين القديم ص ٢٧ .

٧ ــ رضا الهاشمي : العرب في ضوء المصادر المسمارية ، مجلة كلية الأداب جامعة بغداد عدد شباط ١٩٧٨ ص ٦٣٩ .

٨ ــ هاري ساكز : عظمة بابل ص ١١٥ .

٩ ــ انظر جون ويلسن : الحضارة المصرية ص ٤٦٠ وساكز ، عظمة بابل ص ١٤٤ واحمد فخري ، مصر الفرعونية ص ٤١٥ ــ ٤١٦ .

١٠ ـ من الملاحظ ان القوة الاشورية لاتعد شيأ مذكوراً قياساً الى وحشية الفرس الذين دمروا مدن بابل وفينقيا ومصر وكذلك الرومان الذين احرقوا مدينة قرطاجنة والقوا الأسرى الى الوحوش ، وهناك الجرائم الصليبية في فلسطين وغيرها في العصور القديمة والوسطي ، وبالنسبة للعصر الحديث هناك الجرائم الكبرى للدول الفاشية والامبريالية والعصابات الصهيونية في فلسطين وبيروت ، كما ان دول عديدة ابادت الآلاف من ابناء شعوبها في انحاء كثيرة من العالم .

١١ ـ انظر هاري ساكز : عظمة بابل ص ١٧١ و ن . ي ، تاريخ توت عنخ امون ص ١٢٥ .

١٢ ـ انظر المصدر السابق وطه باقر مقدمة في تاريخ الحضارات ج ١ طبعة ٩٧٣ ص ٥٥٥ .

١٣ ـ طه باقر : مقدمة ج ٢ طبعة ١٩٥٦ ص ٤١٩ .

١٤ ـ المصدر السابق ص ٤٣٦ .

١٥ ـ انظر مالك احمد الفتيان : موجز التاريخ السياسي للامبراطورية البارثية ، مجلة كلية الآداب ـ جامعة بغداد عدد شباط ٩٧٨ ص ٤١٩ .

١٦ ـ د . عبد الرحمن الرافعي : الحركة القومية في مصر القديمه ص ٢٣٧ .

الباب الثاني

العلاقات العراقية ـ المصرية خلال العصور الوسطى الاســـلامية

مصر والعراق في العهد العربي الاسلامي حتى منتصف القرن الرابع الهجري :

١ ــ الحالة العامة للقطرين في عهد الخلافة الراشدية / ١١ــ٤١هـ/

٦٣٢ ــ ٦٦١م بعد أن تم تحرير العراق وطرد المحتلين الفرس على أثر معارك القادسية وجلولاء ، قرر المقاتلون العرب بناء مدن جديدة تكون مقرات لسكن المقاتلين وعوائلهم ، وبناءاً على تعليمات الخليفه عمر بن الخطاب (رض) تم اختيار أماكن قريبة من الصحراء ولايفصلها عن سبه الجزيرة العربية أنهار وبعيدة عن مساكن العجم ؛ فبنيت مدينة البصرة عام ١٥ هجرية من قبل القائد عتبة بن غزوان الذي حرر مناطق شط العرب من الفرس ، واستقر بالبصرة اعداد كبيرة من القوات العربية وكان السكن على أساس قبلي حيث تسكن كل قبيلة في محلة خاصة بها ويكون شيخ القبيلة مسؤولا عنها تجاه الوالي وبالنظر لموقع البصرة على شط العرب فقد اخذ بعض سكانها بالتجارة البحرية مع مناطق الخليج العربي والهند • أما الكوفة فقد بنيت من قبل القائد سعد بن ابي وقاص عام ١٧ هـ قرب الحيرة وسكنها المقاتلون العرب وهاجر اليها وكذلك الى البصرة اعداد كبيرة من عرب الجزيرة وكثير من

الأعاجم واصبح اهل البصرة مسئولين عن الفتوحات في جنوب ايـــران وخراسان بينما اهل الكوفــة مسئولين عن الفتوحات فى شمال ايـران واذربيجان وتــم فتح هذه المناطــق في اوائل خلافــة عثمان بن عفــان (رض) «١» .

لقد قــرر الخليفة عمر بن الخطاب (رض) (١٣ ـــ ٢٣ هـ) اعتبار كافة الأراضي المفتوحة ملكاً للدولة ، ولذلك ابقى الأرضي بيد المزارعين ومقابل ذلك يدفعون ضريبة الخــراج السنوية الى الدولــة الاسلامية : واصبح المقاتلين العرب متفرغين للجهاد لأنهم يمنحون الرواتب السنويــة « العطاء » توزع حسب سابقتهم ني الاسلام واشتراكهــم ني المعــارك الكبيرة . ان العرب حرروا الفلاحــين من العبودية واستغلال الملاكــين الفرس واعتنق الفلاحين الدين الاسلامي ، لقد كان سكان العراق قبــل التحرير يتألفون مــن الأنباط الكلدانيين والقبــائل العربيــة والأكــراد والمستوطنين الفرس وغيرهـــم «٢» .

امــا بالنسبة لمصر فقد تم تحريرها على اثر انتصار الجيش العربي بقيادة عمرو بن العاص على الروم البيزنطيين في معركة حصن بابلون سنة ٢٠ هـ / ٦٤١ حيث تــم فرض السيادة العربية على كافــة انحاء مصر ، واسس عمرو بن العاص مدينة الفسطاط في جنوب شرق الدلتا على حافة الصحراء وسكنها المقاتلون وعوائلهم وهاجرت قبائــل عربية عديدة الى مصر بعد فتحها وعامل المسلمين السكان الاقباط المسيحيين معاملة جيدة

وخففوا الضرائب عنهم مما جعل هؤلاء يرحبون بالفاتحين العرب «٣» •

وقـد اصبح عمرو وبن العاص والياً على مصر حتى عزلـه سـنة ٢٤ / هـ من قبل الخليفه عثمان الذي عين بدله عبدالله بن ابي سـرح الذي كان من معارضي النبي (رض) والاسلام • وكان عبداللة بن ابي ابي سـرح متعسفاً في معاملـة السكان واكتنز امـوال كثيرة «٤» • ولذلك ظهرت جماعة من المتذمرين على عثمان وكان قائدهم محمد بـن ابي حذيفة الـذي حرض الساخطين على الثورة وارسل جماعة منهـم تقدر بخمسمائـة شخص الى المدينة في اواخر عام ٣٤ هـ «٥» وهـؤلاء هم الذين شاركوا بمحاصرة عثمان في داره وقتله وكانوا من مؤيـدي الامام علي (رض) ولكن العثمانية اي انصار عثمان كانوا اكثر عـدداً لذلك كانت قوة انصار عـلي في مصر محدودة «٦» ، خاصة اذا عرفنا بأن عـدد العرب في مصر كان أقل بكثير من عرب الشام والعراق •

أدى الفتح العربي الاسلامي الى تثبيت الطابع العربي للعراق ومصر والشـام ، واصبح العرب يشكلون الأغلبية القائدة • وعامـل العـرب غيرهم معاملة انسانية لائقة لم يسبق لها مثيل في التاريخ لذلـك رحب السكان المحليين بالفاتحين العرب • واصبحت مدينتي الكوفة والبصـرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب اكبر مدن البلاد العربيه من ناحية عدد المقاتلين والثروة الأقتصاديـة وبدأتا تلعبان دورا مهمـا في الأحـداث السياسيـة ، وصـار العراق أكبر الأقاليم العربية سكانا وثروة وأخـذ

دوره السياسي والحربي والأقتصادي والحضاري يتصاعد ويتفوق على كافة الأقطار العربية وصار محط انظار الطامحين من السياسيين والتجار وغيرهـــــم «٧» •

لقد اطلق العرب على العراق الأوسط والجنوبي اسم أرض السـواد بسبب كثرة خيراته الزراعية • ان عهـد الخليفة عمر بن الخطاب رضـ (١٣ ــ ٢٣ هـ) يمتاز بالالتزام بتطبيق مبـاديء الاسـلام على نواحي المختلفة • وكان الخليفة يراقب عماله (الولاة) ويحاسبهم لذلك التزم هؤلاء بنهج الخليفة الذي كـان لايتردد في عـزل الولاة الذين لايرغب بهم اهل الامصار (الولايات) • وقد منع الخليفة عمر كبار الصحابة من الهجرة الى الامصار وامتلاك الأراضي الواسعة «٨» •

بعد استشهاد الخليفة عمر على يد الفارسي ابو لؤلؤة الفيروز سنة ٢٣ هـ جاء الى الخلافة عثمان بن عفـان (رضى) ٢٣ ــ ٣٥ هـ وعثمان مـن كبار الصحابة ومن بني امية ولم يلتزم بنهج الرسول محمد (ص) وأبو بكر وعمر بن الخطاب في الحرص على تطبيق الشريعة الاسلامية ، فقد كـان عثمان شخصاً ليناً ووقع تحت تأثير اقاربه من بني أمية وخاصـة تأثير ابن عمه مروان بن الحكم ، وقـد منح عثمان اقاربه أموالاً كثيرة وعين بعضهم ولاة على الامصار الاسلامية منهـم الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص على الكوفة وعبدالله بن عامر على البصرة وعبدالله بن أبي سرح على مصر ومعاوية بن ابي سفيان على بـلاد الشام ، وكان هـؤلاء الولاة صغار السن ومستهترين وجشعين وكانوا سابقاً اعداء الداء للنبي

(ص) والاسلام قبل فتح مكة «٩» ، ولم يهتم عثمان لمصالح غالبية المسلمين •

وقد غضب كبار الصحابة على عثمان وحاولو في البداية اقناعه بالتزام سياسة سلفه عمر ولكنهم فشلوا في مسعاهم «١٠» •

اما سكان الولايات في الكوفة والبصرة ومصر فقد سائت حالتهم المعاشية لتوقف الفتوحات وانقطاع الغنائم بينما كانت واردات الفيء من جزية وخراج وغيرها تتدفق على بيت المال الذي يتصرف به الخليفة وأقاربه وعماله • ونشأ تفاوت معاشي بين قريش وخاصة بني امية من جهة وغالبية المسلمين من جهة أخرى «١١» ، لذلك أخذ أهل الولايات يعلنون تذمرهم وسخطهم ويجاهرون بانتقاد الخليفة عثمان وولاته ويطالبون الخليفة بعزل الولاة السيئين وزيادة العطاء ، وكان اهل الكوفة اشد الثائرين قوة وعنفاً فقد طردوا الوالي سعيد بن العاص واجبروا الخليفة على تعيين والي يرضون عنه كما استمر سخطهم لسوء حالتهم المعاشية «١٢» •

لقد ازداد التذمر في السنة الأخيرة من عهد عثمان بسبب سوء سيرة ولاته وتدهور الحالة المعاسية للسكان ، وسيطرت بنى أمية السلطة والثروة ورفض الخليفة تغيير نهجه او التنازل عن الخلافة ، وقد شمل السخط اغلب سكان العاصمة (المدينة المنورة) واخذ كبار الصحابة يحرضون أهل الأمصار في العراق ومصر على الثورة لذلك، تشجع الثوار على المجيء الى المدينة في اواخر سنة ٣٥ هـ فارسلت

الكوفة والبصرة ومصر وفود عنها وكل وفد يتكون من حوالي ٦٠٠ شخص «١٣» ، واجتمع هؤلاء بالخليفة عثمان ووعدهم بازالة اسباب التذمر وتلبية مطالبهم واخذت الوفود بالرجوع ولكن مروان بن الحكم مستشار الخليفة وغيره من بني امية حرضوا الخليفة على عدم تلبية مطالب اهل الامصار واخذهم بالشدة وقد وقعت بأيدي الوفد المصري اثناء عودته رسالة من عثمان الى واليه على مصر بتعذيب هؤلاء مما اثارهم لذلك رجعوا الى المدينة وعرضوا الرسالة على عثمان الذي انكر علاقته بالرسالة وادعى انها مزورة ولكن المصريين لم يقتنعوا وطالبوا عثمان بالتنازل عن الخلافة ولكنه رفض التنازل لذلك حاصروه في داره وفي اثناء ذلك عادت وفود البصرة والكوفة الى المدينة على اثر سماعهم ما حصل للوفد المصري واشترك هؤلاء جميعاً وكذلك اهل المدينة في محاصرة عثمان واستمر الحصار اربعين يوماً «١٤» . واخيراً اقتحم الثوار دار عثمان وقتلوه في اواخر سنة ٣٥ هـ ، وبمقتل عثمان بدأت الفتنة بين المسلمين حول منصب الخلافة ولم تتوحد قلوب المسلمين بعد ذلك ابداً . لقد طلب الثوار من كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار انتخاب خليفة من بين ثلاثة من الصحابة وهم علي بن ابي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله . وقد بايع أغلب الصحابة الامام علي (رض) بالخلافة ووافق الثوار على اختيار علي لأنه كان ألمع من غيره لماضيه في الاسلام وعدله واستقامته وهو ابن عم النبي (ص) وقد وافق علي على قبول الخلافة بعد تردد نظراً لظروف الوضع التي

اعقبت مقتل عثمان ، وكان هناك اقلية من بين اهل المدينة لم يبايعوا علياً واعتزلوا ورفض مبايعته بنو امية وعدد من اهل مكة • كما ان الزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله نقضا بيعتهما لعلي لأنه رفض توليتهما على بعض الأمصار ، فقد اراد الزبير الكوفه وطلحة البصرة وانضمت اليهما عائشة زوجة الرسول (ص) حيث ذهب هؤلاء الى مكة وهناك انضم اليهم بنوامية والرافضون لخلافة علي وقد اتهم الرافضون علياً بأنه مسؤول عن مقتل عثمان ولذلك اعلنوا العصيان بحجة اخذ ثأر عثمان وقرروا الذهاب الى البصرة حيث يوجد انصار لعثمان وبالفعل ذهبوا الى البصرة وسيطروا عليها «١٥» •

أما الخليفة علي فقد بايعته جميع الأمصار الاسلامية ماعدا الشام لأن الوالي وهو معاوية بن أبي سفيان لم يعترف ببيعةعلي ورفض امر العزل الذي ارسله الخليفة علي واتخذ معاوية من حجة اخذ ثأر عثمان مبرراً للتمرد على الخليفة الشرعي وبذلك رجع معاوية الى الاسلوب العشائري الجاهلي في اخذ الثأر • ولما رأى الخليفة علي تمرد اهل البصرة بقيادة طلحة والزبير وعصيان اهل الشام بقيادة معاوية وعدم وجود قوات كافية في الحجاز للقضاء على حركات العصيان ، قرر الخليفة الذهاب الى الكوفة اكبر المدن الاسلامية حيث يوجد فيها انصاره والأعداد الكثيرة من المقاتلين والأموال الوفيرة «١٦» ، وبواسطة أهل الكوفة يستطيع الخليفة من القضاء على تمرد البصرة وبعد ذلك يجمع اهل العراق لمحاربة اهل الشام الذين ايدوا معاوية في تمرده •

اما طلحة والزبير وعائشة (رض) فقد وصلوا الى البصرة وجمعوا جيشاً من اهلها واعلنوا العصيان على الامام علي الذي جمع جيشاً كبيراً من اهل الكوفة وخاض معركة عنيفة ضد جيش خصومه وسميت المعركة بمعركة الجمل لأن السيدة عائشة (رض) كانت راكبة على جمل تزاحم اهل البصرة في الدفاع عنه ، وانتصر جيش الخليفة بعد مقتل عدة آلاف من الطرفين من بينهم طلحة والزبير(رض)وعادت عائشة الى المدينة معززةومكرمة من قبل الخليفة • وبعد انتصار الامام علي في معركة الجمل استقرت لـه طاعة اهل الأمصار ماعدا الشام التي قرر اهلها العصيان وتأييد معاويـة في مطالبته بدم عثمان ، بالأضافة الى رغبة اهل الشام بأن تكون بلادهم مركز الدولة الاسلامية •

وبعـد مراسلات غير مجديـة قـرر الطرفان المواجهة ، فقاد الخليفة علي جيشه من اهل العراق وعدده تسعون الف رجل وتوجه الى الشام والتقي بجيش معاوية وعدده خمس وثمانون الف رجل في سهل صفين قرب الرقة على نهر الفرات «١٧» • وبدأت الحرب على نطاق واسع في بداية سنة ٣٧ هـ وكاد النصر يتحقق للخليفة علي ولمـا تأكـد اهل الشام من الهزيمة رفعوا القرآن على رؤوس الرماح بتدبير عمرو بن العاص ونادوا بأن القرآن هو الحكم بين الطرفـين ولمـا شاهد اهل العـراق القرآن مرفوعاً توقف قسم كبير منهم من مواصلة الحرب وخاصة قـراء القرآن وبعض شيوخ العشائـر وطلب هؤلاء من الامام علي ان يوقف الحرب ويحتكم الى القرآن بدلاً من السيف ، وقد حاول الخليفة وبعض

قادته ان يقنعوا المطالبين بايقاف الحرب بأن اهل الشام مارفعوا القرآن الا بسبب هزيمتهم وليس ايماناً بالقرآن ولكن الذين قبلوا الاحتكام الى القرآن اصروا على ايقاف الحرب وهددوا الخليفة بالقتل اذا استمر بالحرب لذلك اضطر الى ايقاف القتال «١٨» • وبذلك ضاع النصر في آخر المعركة حيث انطلت الخدعة على جزء كبير من جيش علي • وقد اتفق الطرفان على التحكيم الذي عقد في دومة الجندل عام ٣٨ هـ ومثل الخليفة في التحكيم ابو موسى الأشعرى ومثل معاوية الداهية عمرو بن العاص الذي خدع ابو موسى بأن أقنعه على خلع علي ومعاوية من الخلافة فوافق ابو موسى واعلن خلعهما بينما أعلن عمرو بن العاص بأنه يخلع علياً ويثبت معاوية وكان التحكيم لصالح معاوية لأنه شكك بحق علي الخليفة الشرعي بينما معاوية كان مجرد والي متمرد «١٩» من حق الخليفة علي خلعه من الولاية •

ولم يقبل الامام علي وانصاره بنتيجة التحكيم وصمموا على محاربة معاوية واهل الشام ، وكانت جماعة من جيش الامام علي انشقت عنه وخرجوا من الكوفة واعلنوا العصيان على الخليفة بحجة ان علياً اخطأ بقبول التحكيم وايقاف حرب صفين وبذلك ادعوا ان حق علي بالخلافة أصبح مشروع وطلبوا من علي أن يعترف بأنه على خطأ وقد رفض الخليفة اتهامات هؤلاء (الذين سموا بالخوارج لخروجهم على خليفتهم) لأنه كان مجبراً على ايقاف الحرب والقبول بالتحكيم «٢٠» ، لذلك اخذ الخوارج يعيثون في الارض فساداً

واضطر علي الى محاربتهم في معركـة النهروان في أواخـر سنة ٣٨ هـ وانتصر عليهم ولكن بقاياهم استمرت بالوجود ، كما ان حركات العصيان اخـذت تزداد في العراق وفي مختلف الولايات وازدادت قوة معاويـة وانصاره واستولى معاوية على مصر سنة ٣٨ هـ ، ومع ذلك صمم الأمام علي على محاربـة أهل الشام وتمكن مـن جمـع جيش من أهل الكوفة يقدر بحوالى أربعين ألف رجل «٢١» وقرر الخروج بهـذا الجيش الى حـرب معاوية بعـد انتهاء شهر رمضان سنة ٤٠ هـ ولكنه تعرض الـى الاغتيال اثناء توجهـه لصـلاة الفجر في نفس الشهر على يد المجـرم عبد الرحمن بن ملجم من الخوارج واستشهد الخليفة وبذلك فقد المسلمون قائداً عظيماً في اخلاقه ومبدئيته . وبايع اهل الكوفة ابنه الاكبر الحسن بالخلافة ولكن الحسن لم يكن راغباً في الحرب ولم يكن رجل الساعة المطلوب في تلك الظروف الحرجة «٢٢» . لذلك غضب عليه اهل الكوفة وحاول قسم منهم اغتياله ، واسرع الحسن في مصالحة معاوية والتنازل له عن الخلافة لقاء مقدار من الخراج والعفو عن انصار ابيه ووافق معاويـة على طلبات الحسن وتم الصلح سنة ٤١ هـ / ٦٦١ م حيث اعلن معاوية خلافته وبذلك انتهى عهـد الخلفاء الراشدين وفقد العراق مركزه كمقر للدولـة العربية .

وامـا اوضاع مصر بعد مقتل عثمان (رض) فقد طرد الوالي ابـن ابي سرح من قبل انصار الأمام علي بقيادة محمد بن ابي حذيفه الـذي عين والياً على مصر ولكن سلطته لم تكن قوية لأن انصار عثمان الذيـن امتنعوا عن بيعة الامـام علي كانوا كثيري العـدد وقـد تجمع هـؤلاء

العثمانية في منطقة خربتا بالدلتا ولكنهم لم يعلنوا عصياناً مسلحاً بل اخذوا يراقبون تطور الاوضاع وينتظرون الفرصة للانقضاض على أنصار علي «٢٣» ، وقد حاول معاوية وعمر بن العاص غزو مصر سنة ٣٦ هـ وتمكنا من استدراج محمد بن ابي حذيفة الى منطقة العريش والقاء القبض عليه وقتله . وعين بدله قيس بن سعد بن عبادة الانصاري وكان قيس مخلصاً للامام علي وعلى درجة من الشجاعة والكفاءة واتبع سياسة المسالمة تجاه انصار عثمان الكثيرين وحاول معاوية كسبه الى جانبه ولكنه فشل .

وقد اذاع معاوية خبراً كاذباً مفاده بأن قيس من انصاره لأنه لا يقاتل العثمانية بمصر وقد وصلت الاشاعه الى الخليفة وانطلت عليه لذلك عزل قيس «٢٤» وعين بدله محمد بن ابي بكر الصديق الذي حاول القضاء على انصار عثمان لكنه فشل ، واضطربت اوضاع مصر مما أدى الى عزل محمد وتعيين مالك الأشتر وهو أهم أنصار الخليفة وابرز ابطال معركة صفين ، لكن مالك مات مسموماً قبل وصوله الى مصر بتدبير معاوية ، واعاد الخليفة محمد بن ابي بكر الى ولاية مصر فحاول ان يسالم العثمانية وسير بعضهم الى الشام . هذا ولايعرف على وجه التأكيد هل اشترك أهل مصر في معركة صفين أم لا والمصادر لاتتحدث عن ذلك وهذا يعني أنهم لم يشتركوا في حرب صفين . ولما انتهت حرب صفين بشكل غير حاسم وجاء التحكيم لصالح معاوية نشط اتباع معاوية في مصر وجاء جيش من اهل الشام بقيادة عمرو بن

العاص وعدته ستة الاف رجل وانضم اليه العثمانية بينما لم ينضم الى محمد بن ابي بكر من اهل مصر سوى الفي رجل ابرزهم كنانه بن بشر قاتل عثمان وقد حاول محمد ان يطلب من الامام علي ان ينجده بجيش من اهل الكوفة لكن اوضاع الخليفة بعد معركة صفين تدهورت ولم يستطع ان ينجد واليه على مصر في الوقت المناسب ، وكانت المعركة بين جيش عمرو بن العاص وقوات محمد بن أبي بكر غير متكافئة لذلك انتصر جيش الشام بسهولة وقتل محمد حرقا «٢٥» ٠ وهكذا خرجت مصر من حكم الامام علي واصبحت ولاية تابعة لمعاوية سنة ٣٨ هـ وعين عمرو بن العاص واليا مطلقاً مدى الحياة على مصر لقاء مساعدته لمعاوية في معركة صفين ولم يظهر في مصر بعد ذلك اي ثورة او حركة مؤيدة لعلي وابنائه طلية العهد الاموي «٢٦» ٠ اما في العراق فان الثورات والحركات المعادية للامويين والمؤيدة للعلويين لم تنقطع وأنصار العلويين ازدادوا وأصبح العراق مركز التشيع لآل علي ٠

لقد انتصر معاوية في حربه مع علي واصبح خليفة سنة ٤١ هـ وحتى موته سنة ٦٠ هـ واتخذ مدينة دمشق عاصمة له ٠ وقد اتبع معاوية سياسة الدهاء وبذل الأموال والمناصب والدعاية لكسب الأتباع واتبع كل وسيلة تؤدي الى غاياته بعكس الامام علي وابنه الحسن اللذان تمسكا بمباديء الاسلام ولم يبذلا الأموال والمناصب للطامحين ولم يعملا على الدعاية لأنفسهما لذلك انفض عنهما اعداد كبيرة من الناس وانضم بعض هؤلاء الناس الى معاوية «٢٧» ٠ كما ان بعض جماعة الامام علي لم

يكونوا اساساً مخلصين لـه مثل الاشعث بن قيس الكندي شيخ قبيلة كندة الكبيرة والـذي هو وبعض شيوخ القبائل اجبروا الامـام علي على ايقاف الحرب في صفين والقبول بالتحكيم بعد ان صار النصر وشيكاً وخسر اهل العراق في نزاعهم مع اهل الشام وصار العراق ولاية تابعـة بعد ان كان مركز الدولة الاسلامية لذلك استمر اهل العراق ساخطين على بني امية «٢٨» .

العراق ومصر في العهد الاموي ٤١ ـ ١٣٢هـ/٦٦١ ـ ٧٥٠م :

في سنة ٤١ هـ بايع اهـل العراق مرغمين معاوية بن ابي سـفيان بالخلافة واستقرت الامور للأمويين وبدأ عهد الدولة الاموية في الشـام التي اتخذت مدينة دمشق عاصمة لها . واصبح العراق ولايـة بعـد ان كان مقر الخلافة لذا حقد اهل العراق على الحكـم الأموي . وقد عـين معاوية عدداً من الولاة المعروفين بالدهاء والمقـدرة في العمل السياسي منهم المغيرة بن شعبة والياً على الكوفـة وعبدالله بن عامر والياً عـلى البصرة وكل من هذين الوالـين اتبع سياسة اللين والتساهل في حكـم ولايته «٢٩» ، ثـم عين زياد بـن ابيه واليا على العراق والمشرق وقـد مارس زياد سياسة الشدة والعنف تجاه المعارضين خاصه انصار العلويين مثل حجر بن عدي الـذي قتل بامر من معاوية كمـا طارد زياد الخوارج مطاردة عنيفة وحقق الأمن والاستقرار وسار على نهج زياد ابنه عبيدالله الذي خلفه على ولايته .

ولما مات معاوية سنة ٦٠ هـ وخلفه ابنه يزيد ، دعا اهل الكوفة الحسين بن علي بن ابي طالب (رض) الى المجيء اليهم من اجل مبايعته بالخلافة الا ان الحسين لما قدم الى الكوفة لم يلاقي احداً من انصاره بل واجه جيش الوالي عبيدالله بن زياد الذي سيطر على الأوضاع في الكوفة وقد استشهد الحسين واصحابه في كربلاء في محرم ٦١ هـ ، ولما مات يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ ثار اهل الكوفة والبصرة وطردوا الولاة الأمويين •واعلن عبدالله بن الزبير نفسه خليفة في مكة وسيطر اتباعه على البصرة ، اما الكوفة فقد سيطر عليها المختار بن ابي عبيدة الثقفي الذي ثار باسم اخذ ثأر الحسين (ع) «٣٠» وقد تمكن مصعب بن الزبير من السيطرة على البصرة وحارب المختار في الكوفة وقتله وحكم العراق باسم اخيه عبدالله الا ان قوة مصعب ضعفت وتمكن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان من القضاء عليه واعادة الحكم الاموي على العراق سنة ٧٣ هـ • وعين الحجاج بن يوسف الثقفي والياً على العراق والمشرق وظل الحجاج في منصبه عشرين عاماً واشتهر الحجاج بالشدة والعنف في مواجهة المعارضين من خوارج وشيعة غيرهم حتى تمكن من تحقيق الاستقرار في العراق ومن أشهر الولاة الآخرين خالد القسري الذي تولى ولاية العراق والمشرق في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك وكان عهده زمن هدوء واستقرار «٣١» •

وفي اواخر العهد الاموي ساءت الأوضاع وكثرت الثورات والحركات المعادية للامويين حتى نهاية عهدهم سنة ١٣٢ هـ

لقد كـان العهد الأموي في العراق زمن ثورات وانتفاضات كثيرة لأن اغلب سكان العراق يكرهون الأمويين لأستبداد الولاة وقسوتهم ونقص عطاء اهل العراق • ومن اهم الجماعات التي ثارت على الحكم الأموي هم الخوارج الذين رفضوا خلافة عثمان وعلي والامويين ، وكانوا يؤمنون بأن الخلافة حق لكل مسلم كفء وليس حكراً على عائلة او قبيلة معينة وكان الخوارج قساة على من لايؤيدهم ولكن عددهم كان محدود وغاراتهم أشبة بغارات البدو على الرغم من ان الرابطة الدينية هي التي تربطهم وليس رابطة الدم كما هي الحال في القبائل • وكانت ثورات الخوارج لا تنقطع طيلة العهد الأموي وقد حاربهم الولاة الامويين بلا هوادة «٣٢» •

امـا ثورات شيعة علي (رض) فكانت ايضاً عديده اهمها ثورة الحسين (ع) وحركة التوابين التي تهدف الى الانتقام من قتلة الحسين وثورة زيد بن علي في عهد هشام «٣٣» ، كما حدثت ثورات ذات طابع اقليمي وشخصي تستهدف التخلص من الحكم الأموي واعاده الخلافة الى العراق أهمها ثورة عبد الرحمن بن الأشعث التي كانت أوسع الثورات في زمن الحجاج ولكنها فشلت «٣٤» وثورة يزيد بن المهلب وثورة عبدالله حفيد جعفر ابن ابي طالب وغيرها • وكان العراق مركزاً لمعارضة الدولة الاموية وميداناً للتاريخ الاسلامي «٣٥» ، فقد ظهرت في العراق أحزاب دينية ـ سياسية عديدة مثل الخوارج والشيعة والغلاة والمرجئة والمعتزلة وغيرها • كما ظهر علماء اللغة والنحو وكبار الشعراء

والفقهاء مثل الحسن البصري وعامر الشعبي والامام ابو حنيفة صاحب مذهب الراي في تفسير العقيدة الاسلامية • وكان اهل العراق في العهد الاموي قد قاموا بفتوحات واسعة في جهات السند وتركستان واصبح والي العراق مسؤولا عن المشرق الاسلامي • وقد بنى الحجاج بن يوسف مدينة واسط سنة ٨٦ هـ واتخذها مقراً له بعد ان لمس كراهية اهل البصرة والكوفة له وجلب جيشاً من الشام لحمايته •

وقد استمر اهل العراق ساخطين ينتظرون الفرصة للثوره ولما ظهرت الدعوة العباسيه انضم بعضهم اليها وشاركوا في محاربة الخليفه الاموي الأخير مروان بن محمد الذي خسر المعركة الحاسمة مع العباسيين سنة ١٣٢ هـ مما ادي الى سقوط الدولة الأموية «٣٦» •

اما اوضاع مصر في العصر الأموي فقد عين معاوية مستشاره عمرو بن العاص والياً مطلقاً منذ سنة ٣٨ هـ وحتى وفاته سنة ٤٣ هـ وخلفه ابنه عبدالله ولكنه عزل بعد فترة قصيرة •

ومن ولاة مصر في عهد معاوية مسلمة بن مخلد الانصاري ٤٧ ــ ٦٢ هـ الذي كان من العثمانية ، وكانت حالة مصر تتميز بالاستقرار وقوة مركز الولاة وبعد موت يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ حلت الفوضى في ارجاء الدولة الأموية وانفصلت الولايات ، واصبحت مصر تابعة لحكم عبدالله بن الزبير الا ان الخليفة الأموي مروان بن الحكم تمكن عام ٦٥ هـ من فتح مصر واعادتها الى الدولة الأمويه «٣٧» . وعين مروان ابنه عبد العزيز واليا عليها واستمر حكم عبد العزيز الى عام

٨٥ هـ وكان عهده زمن استقرار سياسي واقتصادي وعامل عبد العزيز السكان معاملة جيدة نسبياً «٣٨» ، امـا الولاة الذين جائوا بعد عبد العزيز فقد كانوا يعزلون بعد سنوات قليلة وعموماً كانوا مستبدين ومشتطين في فرض الضرائب من خراج وجزية لذلك سائت احوال الأقباط مما دفعهم الى الثورة مرتين في عهد هشام بن عبد الملك ١٠٥ ــ ١٢٥ هـ وقد قضي على ثوراتهم بسهولة «٣٩» . واستمرت مصر خاضعة للحكم الاموي حتى مجيء العباسيين سنة ١٣٢ هـ وهم يطاردون الخليفة الاموي الأخير مروان بن محمد الذي هرب الى مصر وقبض عليه في قرية بوصير في الصعيد حيث قتل «٤٠» . واصبحت مصر ولاية تابعة للدولة العباسية في العراق .

لقد كان العصر الأموي في مصر على العموم عهد جمود سياسي وثقافي ولم يظهر بها اي نشاط فعال ضد الدولة «٤١» ، وربما يفسر ذلك بقلة عدد العرب في مصر آنذاك بالنسبة للعراق والشام . وكان ولاة مصر مسئولين عن الفتوحات في شمال افريقية وبالنسبه للعلاقات بين مصر والعراق في العهد الأموي ، فقد كان كلا البلدين تابعين الى الدولة الأموية في الشام . وعلى الرغم من ان العرب افراداً وقبائل كان لهم الحق في التنقل بين البلاد العربية . وكانت التجارة مفتوحة بين الولايات الا انه لم تظهر علاقات سياسية او ثقافية واضحه بين القطرين ، ماعدا هجرة جماعة صغيرة من قبيلة الأزد في البصره الى

مصر بأمر من الوالي زياد بن ابيه لأن هـذه الجماعة كانت من الخوارج المعادين للحكم الأموي «٤٢» •

مصر والعراق في العصر العباسي الأول ١٣٢–٢٣٢هـ/٧٥٠–٨٤٧م

جابه الأمويون معارضة جماعات واسعة من العرب والموالي وتمثلت المعارضة بصورة خاصة بالخوارج وبني هاشم من علويين وعباسيين كما جابـه الامويون مشكلة النزاعات العشائرية وكذلك الموالي من الفرس الديـن يسعون الى اعادة دولتهم البائدة «٤٣» • وقـد فشلت ثورات عديدة لقوى المعارضة ، لذلك اتتهج العباسيون بقيادة محمد بن علي بن عبدالله بن العباس عم النبي محمد (ص) اسلوباً جديداً يتمثل بتشكيل حزب سري يجمع انصارهم في الكوفة وخراسان ويدعوا هذا الحـزب الى تأييد آل البيت ظاهـراً وبني العباس سراً وقـد رفـع العباسيين شعارات مختلفة جذبت المعارضة خاصة بين عرب خراسان الساخطين على الحكم الأموي وهم من العرب الذين هجرهم زياد بـن ابيه من العراق الى خراسان «٤٤» •

وخـلال الفترة ١٠٠ ــ ١٢٥ هـ نجح محمد بن علي في توسيع حزبـه السري وبعد وفاته تولي ابنه ابراهيم الامام قيادة الدعوة العباسيه وزاد اتباع العباسيين وتحولت الـدعوة العباسية الى الدور العلني فـي سنة ١٢٩ هـ وشملت مناطق خراسان في شمال شرق ايران وكان المسؤل عن ادارة الدعوة العباسية في خراسان يقيم في الكوفة واسمه ابو سلمة الخـلال وقـد تمكـن انصار العباسيين بقيادة ابو مسلم الخراسانـي

من القضاء على اتباع الأمويين في خراسان والسيطرة على مناطق واسعه من ايران وزاد نشاط الحزب العباسي في الكوفة أيضا ولم يستطع الأمويون الذين اضطربت اوضاعهم نتيجة نزاعاتهم الداخلية من السيطرة على الموقف على ارغم من الجهود التي بذلها الخليفة الأموي الأخير مروان بن محمد الذي تمكن من القاء القبض على ابراهيم الامام وقتله «٤٥» . وهرب اخوة ابراهيم الى الكوفة في سنة ١٣٢ هـ حيث اعلنت بيعة ابو العباس عبدالله بن محمد بالخلافه ، وفي هذه الأثناء جاء جيش العباسيين من خراسان الى العراق وانضم اليه اتباع العباسيين ، وعين ابو العباس السفاح عمه عبدالله بن علي قائد على الجيش الذي وجهه لمحاربة الجيش الأموي الذي يقوده الخليفة مروان الثاني وقعت المعركة الفاصلة في منطقة الزاب الأعلى في شمال العراق وقد انهزم الجيش الأموي «٤٦» ، وهرب مروان الى الشام ومنها الى مصر وطارده العباسيون حتى قتلوه في قرية بوصير المصرية ، وبذلك انتهت الدولة الاموية في الشام وحلت محلها الدولة العباسيه في حكم البلدان الاسلامية من الهند الى المغرب باستثناء الاندلس . واختار العباسيون عاصمتهم في العراق وذلك لكثرة سكانه وامكاناته الاقتصادية ولتأييد عدد كبير من اهله للعباسيين ، بينما كانت الأقاليم الاسلامية الأخري غير مستقرة سياسيا «٤٧» . وانشأ الخليفة العباسي الثاني ابو جعفر المنصور ١٣٦ — ١٥٨ هـ مدينة بغداد كرمز للعهد الجديد وبمرور الزمن اصبحت بغداد اعظم مدن العالم لكثرة اعلامها من اهل الادب

والعلم والفكر واصحاب الصناعات حتى صارت مركز الحضارة العربية الاسلامية منذ تأسيسها عام ١٤٥ هـ والى الأحتلال المغولي عام ٦٥٦ هـ ٠

لقد تمكن الخليفة الكبير ابو جعفر المنصور اذ يقضي على قـوى المعارضة من خوارج وفرس وعلويين وغيرهم كما تخلص من الشخصيات الخطرة التى هددت سلطته مثل عمه عبدالله بن علي وأبو مسلم الخراساني وغيرهم وقام باصلاحات ادارية وعمرانيةواسعة حتى اعتبر المؤسس الحقيقي الدولة العباسية لأنه وضع الأسس التى جعلتها باقية لأكثر مـن خمسمائة سنه «٤٨» ولقد ازدهرت الحضارة العربية الاسلامية في عهد الخليفـه هارون الرشيد ١٧٠ ــ ١٩٣ هـ الذى اعتبر زمنـه العصر الذهبى للدولـة العباسية وعنوان مجد بغداد «٤٩» وازدهرت الحركة الفكرية والثقافية في عهد المأمون ١٩٨ ــ ٢١٨ هـ ، ولما جاء المعتصم الى الخلافة ٢١٨ ــ ٢٢٧ هـ استغنى عن خدمة العرب والفرس فى الجيش وجند الأتراك الذين جلبهـم رفيقا وأصبحوا القوة العسكرية للدولة العباسية وصـار قـادة الأتـراك يتحكمون فى امور الدولة منذ عهد المتوكل الذى حاول التخلص من استبداد قاده الأتراك لكنهم قتلوه سنه ٢٤٧ هـ وصـاروا ينصبون الخلفـاء حسـب مصلحتهم لقد كان العصر العباسى الأول عصر قوة الخلفاء وسطوة الدولـة العباسية وازدهار الحضارة واستقرار الأحوال باستثناء فترة الحرب بين الأخوين الأمين والمأمون فى سنوات ١٩٥ ــ ١٩٨ هـ وكان للفرس نفوذ فى هذا العهد تمثل بالوزراء وخاصة البرامكة فى عهد الرشيد والفضل بن سهل في عهد المأمون ولكن اغلب الوزراء نكل بهم من قبل الخلفاء ٠وفى هذا العصر

ظهرت فى العراق مذاهب عديدة مثل المذهب الجعفري والاسماعيلي والحنفي ومذاهب المعتزلة والحنابلة والخوارج وكـان الصراع الفكـري والسياسى عنيفا بين تلك المذاهب ، كما ظهرت فى هذا العصر حركات شعوبية مسلحة خاصة حركة بابك الخرمي التي قضى عليها المعتصم ، وامتاز هـذا العصر ببروز أعلام كثيرة منهم سيبوية والكسائي والأصمعي فى اللغة والنحو وابن الكلبى والمدائني فى الأنساب والأخبار وابن اسحـاق وابن هشـام فى السيرة النبوية وابراهيم النظام وأبـو هذيـل العلاف فـى علـم الكلام والخوارزمي فى الرياضيات والقاضي أبو يوسف في الفقه وأبو نؤاس وابو العتاهية فى الشعر وغيرهم «٥٠» •

أما أوضاع مصرفى العهد العباسى ١٣٢ ــ ٢٥٤ هـ / ٧٥٠ ــ ٨٦٨ م فقد تم للدولة العباسية فرض سلطاتها على مصر عندما هرب مروان الثانى الى مصر وقتل هناك سنة ١٣٢ هـ ، وعين أبو العباس عمه صالح بن علي واليا عليها واهتم صالح بن علي باصلاح أحوال البلاد وعامل السكان معاملة جيدة وخفف الضرائب وبنى مدينة عسكر كعاصمـه للعباسيين فى مصر وتقـع شمال الفسطاط «٥١» ، وقد عـاد الولاة العباسيين يفرضـون الضرائب العالية علىالسكان وخاصة القبط مماأدى الى تذمر هؤلاء وقيامهم بحركات عصيان معادية للعباسيين فى عهد الوالى موسى بن مصعب والذى قتله الثائرين سنة ١٦٧ هـ ولكن العباسيين أخمدوا الثورات «٥٢» ، وحاول بعض الولاة العباسيين مثـل موسى بن عيسى العباسى أن يحقق العـدل والاستقرار فعامل الأقباط معاملة حسنة « ٥٣ » • ولكن الولاة الذين جاءوا

من بعده اتبعوا سياسة الشدة والتعسف فى جباية الخراج وأساءوا معاملة أهل الذمة مما أدى الى تكرار الثورات وخاصة فى عهد الخليفة المأمون ١٩٨ ــ ٢١٨ هـ الذى جاء بنفسه الى مصر سنة ٢١٧ هـ وقضى على الثائرين ووطد السلطة العباسية «٥٤» هـ ومن ولاة مصر المشهورين عنبسة بن اسحاق ٢٣٨ــ ٢٤٢ هـ الذي اهتم بالدفاع عن مصر ضد الغارات البحرية البيزنطية ، وسار سيرة حسنة ولكنه عزل من قبل الخليفة المتوكل بعد أن اتهم بأنه على مذهب الخوارج وكان عنبسة آخر الولاة العرب «٥٥» فقد جاء بعده ولاة أتراك كانوا يحكمون مصر بشكل اقطاع اي يتولون الحكم مقابل مقدار المال يدفع الى الخلافة فى بغداد . وقد تمكن أحد هؤلاء الولاة وهو أحمد بن طولون فى سنة ٢٥٤ هـ من تأسيس دولة مستقلة فى امورها الداخلية وتدين بالولاء الديني والسياسي للخلافة العباسية التى سيطر عليها قادة الجيش ، لقد كان العهد العباسي بالنسبة لمصر عهد ولاء للدولة العباسية وعاش السكان فى أكثر سنوات العهد العباسي وهم مثقلين بالضرائب مما ادى الى نشوب ثورات عديدة .

وفى هذا العهد ظهر فى مصر المذهب الشافعي للامام محمد بن ادريس الشافعي الذى توفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ ومذهب الشافعي يعتمد على الحديث النبوي والرأي فى تفسير العقيدة الاسلامية « ٥٦ » وفى هذا العهد زادت أهمية مصر الاقتصادية والحضارية والسياسية عما كانت عليه فى العهد الأموي وذلك يعود الى التطور الحضاري للمجتمع العربي في مصر وتوسع صلات مصر مع البلاد العربية الاخرى وخاصة العراق مركز الحضارة الاسلامية حيث أخذت مصر والبلاد الاسلامية الأخرى من بغداد الشيىء الكثير من عناصر النهضة العلمية والأدبية والفكرية .

العراق في العصر العباسي الثاني ٢٣٢-٣٣٤هـ/٨٤٧-٩٤٦م

يتميز هذا العصر فى العراق مركز الدولة العباسية مـن الناحية السياسيه بتدهور سلطة الخليفة وذلك راجع الى تدخل قادة الجيش من الأتراك فى شئون الدولة المختلفة ومحاولتهم فرض سيطرتهم التامة على الخلفاء الذين بدورهم يحاولون استعادة سلطتهم على أمور الدولة .لقد أدرك الخليفـة العباسي المتوكل ٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ خطأ سياسة والده المعتصم فى الاعتماد على الجند الأتراك ، وحاول المتوكل التخلص من نفوذ قادتهم كما نقل العاصمة من مدينة سامراء التى بناها المعتصم الى مدينة دمشق فى الشام لكي يتخلص من الأتراك لكنهم أجبروه على العودة الى سامراء ولقد أدرك قـادة الجيش خطة المتوكل بالتخلص منهم لذلك قتلوه بالاتفاق مع ابنه المنتصر الذي عزله والده من ولاية العهد « ٥٧ » وهكذا أخذ قـادة الجيش يخلعون الخلفـا، ويقتلونهم ويسملون عيونهم ، وحـاول بعض الخلفـاء مثـل المهتدي بالله ٢٥٥ ـ ٢٥٦ هـ التخلص من تسلط قادة الجيش الا انهم قتلـوه ، ولكن المنافسات بين قادة الجند مكنت بعض الخلفاء من استعادة سلطتهم وهيبتهم منذ عهد الخليفة المعتمد ٢٥٦ ـ ٢٧٩ هـ والذي أعاد العاصمة الى بغـداد . وقد سيطر أخو المعتمد الأمير أحمد الموفق ولي العهد امور الدولة وقيادة الجيش « ٥٨ » وقد استطاع الموفق بكفائته وهمته من استعادة بعض من هيبة الدولة وفرض سلطتها على بعض الولايات وقمع حركات التمرد وخاصة ثورة الزنج وبعـد المعتمد تولى الخلافة المعتضد وهـو ابن الموفق وكان المعتضد ٢٧٩ ـ ٢٨٩ هـ من أكفأ الخلفاء فى العصر العباسي [illegible] وأعـاد



للخلافة سمعتها واهتم باصلاح الأحوال الاقتصادية والادارية ولكن الخلفاء الذين جائوا بعده كانوا ضعفاء وسيطر عليهم قادة الجيش والحاشية والحرم ورجعت حالة الفوضى العسكرية وتدهورت الأوضاع وزادت حركات الثورة والانفصال عن الخلافة « ٥٩ » وفى الفترة ٣٢٤ ــ ٣٣٤ ظهر منصب أمير الأمراء حيث يجمع صاحب هذا المنصب السلطتين المدنيه والعسكرية وهذا المنصب كان محاولة لانقاذ أوضاع الدولة العباسية وايقاف التدهور السياسى والاقتصادي والاداري الا أن هذه المحاولة لم تنجح وزادت الأحوال سوءا حتى تمكن البويهيون من احتلال بغداد عام ٣٣٤ ﻫ بدعوة من الخليفة المستكفي لانقاذه من تسلط القادة .

وفى هذا العصر انفصلت الكثير من الولايات عن الدولة العباسية ونشأت عدة دول بعضها مستقلة تماما مثل الأدارسة والفاطمية فى المغرب وبعضها تعترف بسيادة الخليفة العباسي مثل الدولة الطاهرية فى خراسان والدولتين الاخشيدية والطولونية فى مصر . وقد زادت حركات العصيان والثورات فى مختلف أنحاء الدولة العباسية ، فكان هناك الحمدانيون فى شمال العراق وسوريا والصفاريون والسامانيون فى ايران والبريدي فى الأحواز والبصرة ، وقامت ثورت الزنج ٢٥٥ــ٢٧٠ﻫ فى الأهوار الجنوبية من العراق وحركة القرامطة فى جنوب العراق والبحرين وعمان وتدهورت الأوضاع الأمنية وتعطلت التجارة وسائت الحالة المعاشية بسبب زيادة الضرائب واهمال شؤون الري . وفى هذا العهد ومنذ زمن المتوكل اتبع الخلفاء سياسة الشدة تجاه العلويين مما اضطر هؤلاء الى العمل السري ، وانقلب

الخلفاء على المعتزلة الذين اعتمـــدوا على العقل والعلم في تفسير امـــور الدين والحياة وأيد الخلفاء مذهب أهل الحديث والسنة •

لقد كان العصر العباسي الثاني عهد ضعف الخلافة العباسية وانحسار سلطتها وتسلط الأجانب ونشوء فرق وأحزاب دينية وسياسيه متطرفة ولا شك أن الحروب الأهلية وخاصة بين الأمين والمأمون وحركات التمرد الواسعة مثل حركة بابك الخرمي ٢٠١ ــ ٢٢٢ هـ وثورة الزنج وحـــركات القرامطـــة والخوارج ومقاومة العلويين وضعف شخصية بعض الخلفاء وتحكم قادة الجند والحاشية في امور الدولة ، كل ذلك ســاهم في ضعف الخلافـــه وانفصال الولايات وظهور دول مستقلة بعضها معادي للعباسيين •

أما الحركة الفكرية والثقافية فقد استمرت بالازدهار ومن أعلام هذه الفترة الجاحظ وابن قتيبة في الفكر والأدب وأبو يوسف الكندي في الفلسفـــة والبلاذري واليعقوبي والطبري في التاريخ وحنين بن اسحاق في الترجمة وأبو تمام والبحتري في الشعر وغيرهم •

مصر في الفترة ٢٥٤ــ٣٥٨هـ/٨٦٨ــ٩٦٩م :

لقد تمكن الوالي أحمد بن طولون وأصله مملوك تركي مـــن انشاء دولـــة تحكمها عائلته تسمى بالدولة الطولونية ٢٥٤ ــ ٢٩٢ هـ وهي تعترف بسيادة الخليفة العباسي في بغداد وتدفع الضريبة السنوية للخلافة •

لقد كان أحمد بن طولون شخصية قديرة حيث استطاع من ترسيخ حكمه في في مصر ومد سلطته الى الشام « ٦٠ » وقام باصلاحات ادارية وعمرانيـــة كثيرة وبنى مدينة القطائع كعاصمة لدولته وتقع شمـــال مدينـــة العسكر (قرب القاهرة) واهتم ابن طولون بشؤون الري والزراعة وعامل السكان

معاملة جيدة وخفف الضرائب ونعمت مصر فى زمنه بالاستقرار وجاء بعده ابنه خمارويه ٢٧٠ ــ ٢٨٢ هـ الذى سار على نهج أبيه فى الولاء المخليفـة العباسي والسيرة الحسنة • ولما توفى خمارويه جاء من بعده أبنائه وكانوا صغار السن حلت فى عهدهم الفوضى السياسية «٦١» وتمكن الخليفةالعباسي المكتفى ٢٨٩ ــ ٢٩٥ هـ من ارسال جيش الى مصر بقيادة محمد بن سليمان الكاتب الذى قضى على الدولة الطولو نية سنة ٢٩٢ هـ وأعاد مصر الى الحكم العباسى المباشر واستمرت مصر ولاية عباسية لمدة ثلاثين عاما كانت الأحوال العامة خلالها غير مستقرة بسبب المنافسة والتنــازع بين الولاه ومسئولي الخراج وقادة الجند وبدأت مصر تتعرض الى الغارات الفاطمية من تونس « ٦٢ » وفى سنة ٣٢٣ هـ تولى ولاية مصر محمد بن طفج الأخشيد وأصله مملوك تركى استغل ضعف الخلافة العباسية وأنشأ الدولـة الأخشيديـة ٣٢٣ ــ ٣٥٨ هـ • وكان الأخشيد يعترف بالسيادة العباسية وقد سلطته الى الشام والحجاز وقام الأخشيد بالكثير مــن الاصلاحات المالية والعمرانيـه وانعشت أحوال مصر فى عهده وبعد وفاته تولى الحكم أولاده وكانــوا صغار السن تولى الوصاية عليهم وادارة شئون الدولة كافور خلال الفترة ٣٣٤ ــ ٣٥٧ هـ وأصبحت السلطة الفعلية بيده ، وكافور مملوك أســود اللون تمكن بذكائه ودهائه من اكتساب ثقة وتقدير محمد الأخشيد الذى عينه وصياً على أولاده وفى عام ٣٥٥ هـ أصبح كافور حاكما على مصر بشكل رسمى حيث حصل على تفويض بالحكم من الخليفة العباسى ولقب بالاستاذ ، وفي عهد كافور حدثت مجاعة ونكبات عديدة من زلازل وحرائق وغارات أهل النوبة فى شمال السوادن • وبعد وفاة كافور سنة ٣٥٧ هـ حلت الفوضى العامة ولم تتمكن الدولة العباسية لضعفها من ضبط أحــوال مصر لذلك

تمكن الفاطميون من احتلالها سنة ٣٥٨ هـ «٦٣» .

علاقات الدولة العباسية مع الدولتين الطولونية والاخشيدية :

لقد أصبحت مصر دولة مستقلةتقريبا فى زمنالدولةالطولونيةلأولمرةبعدأن كانت ولاية تابعة للدولة الاسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين . وكان أحمد بن طولون يعترف بالسيادة العباسية ويدفع ضريبة سنوابة للخليفة ويذكراسم الخليفةفي الخطبةوالسكة ولكنة كان من الناحية الواقعية مستقلا فى كل الامور الداخلية لمصر ، وعندما تحكم الأمير أحمد الموفق ولي العهد العباسي بالسلطة وحجز أخيه المعتمد بالله ٢٥٦ ــ ٢٧٩ هـ ــ أراد الموفق اعادة السلطة العباسية كاملة على مصر بذلك توترت العلاقات بينه وبين أحمد بن طولون خاصة وان ابن طولون لم يرسل الكميـة التى طلبها الموفق منالأموال التيتحتاجها الدولة لمحاربة حركات العصيان مثل ثورة الزنج الواسعة «٦٤» وقد انضم الخليفة المعتمد الى ابن طولون فى هـذا النزاع وحاول نقل مركز الخلافة الى مصر لكن الموفق منعه وحجزه . وقد استطـاع الموفق انتزاع بلاد الشام من حكم ابن طولون ولكن انشغالـه بمحاربـة التمرد فى العـراق والمشرق مكـن ابن طولون من اعـادة ضم الشام الى حكمه « ٦٥ » وقد استمرت العلاقة الحسنة بين المعتمـد وابن طولون وسيئة بين الأخير والأمير الموفق واستمرت هذه الحالة فى العلاقة عندما خلف خمارويه ابيه أحمد بن طولون . وعندما توفي الموفق عام ٧٨ هـ رجعت العلاقة الجيدة بين الخلافة العباسية والطولونيين وقد زوج خمارويه ابنته قطر الندى الى الخليفة المعتضد بالله ٢٧٩ ــ ٢٨٩ هـ وأسرف خمارويه كثيرا فى جهاز العرس حتى أضعف مالية مصر « ٦٦ » . وبعد وفاة خمارويه

اضطربت أوضاع مصر فاستغل ذلك الخليفة العباسي المكتفي فأرسل جيشا بقيادة محمد بن سليمان الكاتب وأعاد مصر الى الحكم العباسي المباشر سنة ٢٩٢ هـ ، ولكن أحوال مصر العامة ظلت غير مستقرة وكان هم العباسيين وولاتهم هو صد الغارات الفاطمية التى بدأت مصر تتعرض لها فى هذا العهد . وفى سنة ٣٢٣ هـ تولى ولاية مصر محمد بن طفج الأخشيد الذى استقل بحكم مصر وأنشأ الدولة الأخشيدية ، وكان الأخشيديون يعترفون بالسيادة للخليفة العباسى فى الخطبة والسكة وارسال الضرائب ، ولكن سائت العلاقات بين الدولة الأخشيديه والخلافة العباسيه عندما حاول محمد بن رائق أمير الأمراء فى بغداد انتزاع الشام من سلطة الأخشيد وحدثت عدة معارك بين الطرفين لم تكن حاسمة تماما ولكن كفة ابن رائق كانت أرجح لهذا أعقد الصلح سنة ٣٢٨ هـ وتزوج ابن محمد بن رائق من بنت الأخشيد وصارت العلاقة جيدة بين الطرفين ، وعندما قتل محمد بن رائق سنة ٣٢٠ هـ على يد الحمدانيين عادت بلاد الشام الى حكم محمد الأخشيد ، وكانت العلاقة جيدة بين الخليفة العباسي المتقي لله ٣٢٩ ـــ ٣٢٣ والأخشيد الى درجة أن الأخير عرض على الخليفة النزوح الى مصر من أجل التخلص من تسلط قادة الجيش ولكن الخليفة لم يقبل ذلك «٦٧» واستمرت العلاقة جيدة بين الخلافة العباسية والدولة الأخشيدية فى عهد كافور الذى أقره الخليفة فى الوصاية على أولاد الأخشيد وثم فوضه حكم مصر بشكل رسمي ، وعندما توفى كافور سنة ٣٥٧ هـ سائت أوضاع مصر ، وفى عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م تعرضت مصر الى الغزو الفاطمى القادم من تونس فانسلخت بذلك عن الدولة العباسية لتصبح مركز الدولة الفاطمية المعادية للعباسيين

بعض مظاهر العلاقات خلال الفترة ٢٥٤ - ٣٥٨ هـ / ٨٦٨ - ٩٦٩ م

قضية المتنبي وكافور الاخشيدي

بعد أن سائت العلاقة بين الأمير الحمدانى سيف الدولة فى حلب والشاعر الكبير أحمد أبو الطيب المتنبى ابن الكوفـة والشـاعر الذى شغل الناس والدنيا ، جـاء المتنبى الى مصر فى أيـام كافور الأخشيدى ، وفي البدايه نشأت علاقة جيدة بين المتنبي وكافور ولكن هذه العلاقة سائت لأن كافور حجز المتنبى ومنعه من مغادرة مصر ومنعه من مدح غيره من الامراء ولأن كافور كان يطلب من المتنبى قصائد المدح في وقت لم يكن المتنبى مستعدا لذلك ، وقيل ان سبب تدهور العلاقة بين الطرفين يرجع الى عدم استجابة كافور لطلب المتنبي بمنحه بعض المناصب المهمة وقـد ذم المتنبى كافـور بشكل حاد بحيث جعل منه موضوع السخرية فى كل زمان . « ٦٨ » وقد حجز كافور المتنبى ولكن الأخير تمكن من الهرب من مصر سنة ٣٥٠ هـ ، والمتنبي هو ابن الامـام الثاني عشر محمد المهدى العلوى ، ولكـن المتنبى كتم نسبه فى حياته ويرجع ذلك الى اضطهاد العباسيين للعلويين الطموحين الأمر الذى جعلهم يستترون عن الأنظار «٦٩ »

كتب الفضائل

فى هذا العصر ظهر عدد مهم من الأدباء والفقهاء والعلماء فى مصر منهم ابن حداد وسيبويه المصرى ومحمد الكندى وابنه عمر وابن زولاق وغيرهم . وقد ألف عمر بن محمد الكندى وابن زولاق مؤلفات فى تبيان فضائـل مصر ومحاسنها التى تتمثل فى ذكر اسم مصر فى القرآن الكريم مرات عديـدة ،

ومصاهرة بعض الأنبياء للأقباط «٧٠» وأشار الكتاب المصريين الى من كان بمصر من الحكماء والعلماء والفقهاء وجمال مناظرها الطبيعية ومزايا نهر النيل وكثرة المعادن وخاصة الذهب والزمرد «٧١» . وأشاروا الى الأثار القديمه والعمران وما تنتجه أرض مصر من مزروعات ومابها من صناعات وخاصـــه الثياب «٧٢» . كما تطرق الكتاب المصريين الى مساوىء البلدان الأخرى ومنها العراق . ولقد دفعت مبالغات الكتاب المصريين فى ذكر فضائل مصر الى اثارة الكتاب فى الأقطار الاسلامية الأخرى والذين بدورهم وضعوا كتبا عن فضائل بلدانهم . ومن الكتاب الذين ألفوا فى فضائل بغداد والعراق ابن طيفور وابن الفقيه الهمدانى وغيرهم وقد أوضح هـؤلاء الكتـاب فى مؤلفاتهم محاسن العراق من اعتدال المناخ وتنوعه على مدار السنة وكثرة خيراته الزراعية وأنهاره ومابه من العلمـاء والأدباء وما يتصف به أهـل العراق من نظرة معتدلة وواقعية للامور ، كما أشاروا الى سعة مدينة بغداد ومالها من تجارة واسعة وذكروا ان العراق مركز الدول الكبيرة منذ القدم ومقر الخلفاء والفقهاء «٧٣» . وتطرق الكتاب البغداديين الى مسـاوىء مصر من قلة الأمطار وكراهية المصريين لها واختلاف الهواء فى اليوم الواحد مما يضطر السكان الى تغيير ملابسهم عدة مرات فى اليوم ، وكذلك قلـه المنتجات الزراعية والحيوانية فى مصر وما يعانيه أهل مصر فى حالة انخفاض مياه النيل وما بالنيل مـن تماسيح خطرة وأشارو الى الريح الجنوبية التى تهب على مصر مما يجعل الناس يحضرون أكفانهم « ٧٤ » وضيق شـوارع المدن والقرى المصرية ، وانتقدوا اعتقاد المصريين بالطلسمات (السحـر)

واعتبار الفراعنة انفسهم اربابا وقالوا اذا كانت هذه حالة الملك فما هى حال الرعية «٧٥» ؟ . وقال الكتاب البغداديين ان الذين ذموا بغداد والعراق لم يقدموا الدليل والبرهان على مايدعونه « ٧٦ » والجدير بالذكر ان كتاب أغلب الأقطار الاسلامية وضعوا كتبا توضح فضائل ومحاسن بلدانهم وتذم بعض البلدان .

الفصل الثاني

العلاقات بين الدولتين العباسية والفاطمية :

١ ـ احوال العراق والخلافة العباسية في عهـــد التسلط البويهي ٣٣٤ ـ ٤٤٧هـ / ٩٤٦ ـ ١٠٥٥م :

ينتسب البويهون الى عنصر الديلم من الفرس وكانوا يقطنون فى منطقة جنوب بحر قزوين الجبلية ، والديالمة البدو دخلـوا الاسلام حديثا واعتنقوا المذهب الشيعى الزيدي فى منتصف القرن الثالث الهجري ولذلك لم يكن الديالمة يؤمنون بأحقية العباسيين بالخلافة وانما اعتبروهم مغتصبين للخلافة من العلويين •

وقد تأسست الدولة البويهية على يد الأخوة الثلاثة علي وأحمد وحسن أولاد بويه • وكان هؤلاء الأخوة جنود مرتزقون ينتقلون من خدمه قائد الى الآخر الذى يدفع لهم أكثر ، وكانو يتميزون بالنشاط والطموح ، وقد عينهم القائد الديملى « مرداويج » الذى كان يحكم مناطق واسعة من ايران حكاما على الأقاليم في حوالى سنة ٣٢٠ هـ وتمكن هؤلاء الاخوة من انشاء قوات ديلمية خاصة بهم وانفصلوا عن « مرداويج » الذى شعر بخطرهم على حكمه لذلك حاربهم على أمل القضاء عليهم واستعادة سلطته ولكنه فشل وقتل على يد أتباعه « ١ » • لقد نجح بنوبويه فى توسيع نفوذهم حتى استولوا على معظم أنحاء ايران واقتسموا الأقاليم فيما بينهم فقد حكم علي بن بويه اقليم

فارس وأخوه حسن اصبهان والرى وهمدان وأخوهم احمد الأحواز وطمع أحمد باحتلال بغداد ، وكانت الأوضاع السياسية مضطربه بسبب تمرد القادة العسكريين على الخليفة والصراع بين القادة والوزراء وبحكم أمير الأمراء بالخلافة ، وكان ابن شيرزاد أمير الأمراء الذى زادت فى عهده الفوضى السياسية والتدهور الاقتصادى مما دعى الخليفة العباسي المستكفي أن يستدعى أحمد بن بويه الى بغداد سنة ٣٣٤ ﻫ وعينه الخليفه بمنصب أمير الأمراء « ٢ » ولقبه بمعز الدولة ولكن الأمير البويهى أساء معامله الخليفة المستكفي وخلعه من الخلافة باسلوب مهين ثم قتله وعين بدله الفضل بن المقتدر باسم المطيع لله فى نفس السنة •

وقد سيطر البويهيون على السلطات العسكرية والمدنية ولم يبق بيد الخليفة أية سلطة فعلية واقتصر ذكره فى الخطبة والسكة ولكن بقي للخليفة نفوذه الشعبي لأنه يمثل القيادة الدينية وهكذا أصبحت الخلافة العباسية مجرد فكرة واعتقاد وليس للخليفة أى سلطان دنيوى « ٣ » • لقد كان المفروض من البويهيون وهم شيعة زيدية أن يسقطوا الخلافه العباسية ويقيموا بدلها خلافة علوية ، ولكن البويهيون فضلوا مصالحهم السياسية على معتقداتهم المذهبية ، فقد أدركوا ان سلطتهم تكون فى مأمن مع الخليفه العباسى لأنه اذا هدد سيطرتهم يستطيعون خلعه وقتله بحجة ان العباسيين غير مستحقين للخلافة ، بينما فى حالة تسليمهم الخلافة الى العلويين فان ذلك يشكل خطرا على مستقبل حكمهم لأن الخليفة العلوى يكون شرعيا بنظرهم وبالتالى يكون من حقه طردهم اذا شاء « ٤ » • بينما البويهيون

يريدون استمرار سلطتهم ، كما ان التأييد الشعبى الواسع للخليفة العباسى يجعل من الصعب القضاء على الدولة العباسية كل ذلك دفعا البويهيون الأبقاء على الخلافة العباسية بشكل رمزى وأبقوا الحكم بيدهم •

لقد أسس البويهيون امارة وراثية فى العراق بحيث يوجد فى بغداد أمير بويهى له السلطة الدينوية وخليفة عباسى له السيادة الدينيه وقد استمر البويهيون متسلطون على الخلافة فقد خلعوا الخليفة الطائع عام ٣٨١هـ بصورة مهينة « ٥ » • ونصبوا بدله القادر بالله ، وجردوا الخلفاء من أملاكهم وخصص لهم راتب قليل ومنعوا الخليفة من تعيين وزير له ومع ذلك كان البويهيون يتظاهرون أمام الناس باحترام الخلفاء كما كانوا يطلبون من الخليفة الألقاب الرنانة وكتاب التوليةلكى يكون حكمهم شرعيابنظر المجتمع •

وقد اهتم الخلفاء بالمحافظة على نفوذهم الديني وذلك بتولية أئمه المساجد والقضاء وامارة الحج « ٦ » • وكان التسلط البويهي بالنسبة لعامة الناس زمن تعسف وجــور وطغيان حيث زادت الضرائب والمصادرات والاعتداءات على الناس من قبل الجند البويهي ووزع البويهيون الأرض الزراعية مع فلاحيها على قادة الجيش بشكل اقطاعيات عسكريه يعتاش على مواردها أفراد الجيش « ٧ » • لذلك تدهورت الزراعة وساءت حالة الفلاح كما ان الحالة الأمنية تدهورت بسبب كثرة المنازعات السياسية والعسكرية بين البويهيون أنفسهم حول الحكم ولم تقتصر قسوة البويهيون على الخلفاء وعامة الناس بل شملت الوزراء « ٨ » وقد حدثت بين الأمراء البويهيين في العراق وايران منازعات وحــروب أدت الى اضعافهم حتى قضي عليهم

مـن قبل السلطان السلجوقى طغرل بك سنة ٤٤٧ هـ • وكـان البويهيين يشجعون الفتن الطائفية بغية تشتيت مقاومة الناس لحكمهم المستبد « ٩ » وحدثت عدة معارك طائفية بين السنة والشيعة خاصة فى سنة ٤٤٣ هـ راح ضحيتها الكثيرين • ومن أشهر أمراء بنى بويه عضد الدولة ٣٦٧ — ٣٧٢ هـ الذى قام ببعض الاصلاحات فى الادارة والرى والعمـران وكـان يراعي الاحترام الشكلى للخليفة العباسى « ١٠ » ومن أعلام هذه الفترة فى الأدب والعلم والفكر الشاعر الكبير المتنبى والشريف الرضى وأخيـه المرتضى والفليسوف الأخلاقى مسكويه وأبو حيان التوحيدى الأديب الفليسوف وغيرهم ، وشهدت هذه الفترة هجرة عدد من أعلام العراق الى مصر بسبب الوضع السياسى منهم المسعودى وابن الهيثم البصرى • وكانت بغـداد فى القرن الرابع الهجري والنصف الأول من القرن الخامس الهجري تموج بكل الفرق والجماعات الدينية والسياسية والفكرية والعلمية فى الاسلام « ١١ » •

٢ ـ احوال مصر في عهـد الدولـة الفاطميـة ٣٥٨ ـ ٥٦٧هـ / ٩٦٩ ـ ١١٧١م :

لقد عارض العلويين الدولة العباسية واعتبروا أنفسهم أحق بالخلافة مـن بنى العباس لأنهم أقرب الى النبى محمد (ص) وقاموا بثورات عديدة ولكنها فشلت ولذلك لجأ بعضهم الى العمـل السرى وتكوين جماعـات تساعدهم على الوصول الى الحكم • وقد انقسم الشيعة العلوية منذ أواخر القرن الثانى الهجرى الى ثلاثة جماعات « ١٢ » الجماعة الأولى هم الشيعة الجعفرية أو الاثناعشرية وهؤلاء يقولون ان الامام بعد جعفر الصادق هو

ابنه موسى الكاظم والامام الأخير هو محمد المهدى المنتظر الذى اختفى عام ٢٦٠ هـ فى سامراء وذلك هربا من العباسيين . والجماعه الثانية هم الشيعة الزيدية الذين يقولون ان الامام بعد علي زين العابدين هو ابنه زيد ثم يحيى بن زيد . والجماعة الثالثة هم الشيعة الاسماعيلية ويعتقدون ان الامام بعد جعفر الصادق ابنه الأكبر اسماعيل ومن بعده ابنه محمد وتستمر الامامة فى دريته وعلى يد أتباع اسماعيل قامت الدولة الفاطمية ؛ وقد اعتمد محمد بن اسماعيل على ميمون القداح الفارسي الأصل فى نشر الدعوة له وجمع الأنصار والأتباع ، وقد اختفى أئمة الاسماعيلية عن الأنظار خوفا على حياتهم من العباسيين ، ولما مات محمد بن اسماعيل خلفه فى الامامة ابنه عبد الله الذى اعتمد على عبد الله بن ميمون القداح الذى تميز بالنشاط والدهاء فى نشر الدعوة الاسماعيلية ، وقد اتخذ الامام أحمد بن عبدالله بن محمد من قرية « سلمية » قرب حمص فى سوريا مقراً له ومنها يرسل دعاته الى الأقاليم الاسلامية « ١٣ » . وخلف أحمد ابنه الحسين حيث انتشرت فى عهده الدعوة الاسماعيلية فى اليمن وأرسل الحسين الداعية القدير أبو عبد الله الشيعي الى اليمن لنشر الدعوة هناك ثم أمره بالرحيل الى المغرب لنشر الدعوة الاسماعيلية بين البربر وفى طريقه التقى أبو عبد الله بحجاج قبيلة كتامة البربرية فى مكة « ١٤ » سنة ٢٧٨ هـ ونشر بينهم العقيدة الاسماعيلية وقبلوها ورحل معهم الى المغرب ونجحت دعوته بين البربر خاصة وان الدعاية للعلويين كانت منتشرة من قبل دولة الادارسة العلويين فى مراكش ، كما ان الأوضاع السيئة لدولة الأغالبة فى تونس

والموالية للعباسيين مكنت أبـو عبد الله من فرض سيطرتـه على تونس والقضاء على الأغالبة سنة ٢٩٦ هـ «١٥» وبذلك أسس أبو عبدالله الشيعي الدولة الفاطمية التى سميت بهذا الاسم نسبتا الى فاطمة بنت النبي محمد (ص) . وأرسل أبو عبد الله الى الامام سعيـد بن الحسين يطلب منـه القدوم الى تونس وتمكن سعيد من الوصول سنة ٢٩٧ هـ بعد أن فلت من أسر الولاة العباسيين فى مصر وشمال افريقية وذلك ببذل الأموال «١٦» ولما وصل سعيد الى تونس بايعه أبو عبد الله الشيعى والبربر بالحلافة سنة ٢٩٧ هـ ولقب سعيد نفسه بالامام عبيد الله المهدي وبذلك تأسشت الخلافة الفاطمية المعادية للخلافة العباسية واستطـاع عبيد الله المهدى مـن بسط سيطرته على أغلب أجزاء المغرب ، واسس مدينة المهدية جنوب القيروان فى تونس كعاصمة له ، وقتل أبـو عبد الله الشيعى مؤسس الدولـة لأن المهدي خاف على سلطته من نفوذ وشهرة أبو عبدالله «١٧» وأدى ذلك الى ثورة البربر ولكن المهدي تمكن من اخماد ثورتهم . وانشغل المهدي وانه الخليفة القائم ٣٢٢ ـــ ٣٣٤ هـ باخماد ثورات البربر المتعاقبه ، آمـا الخليفة المنصور ٣٣٤ ـــ ٣٤١ هـ فانه انشغل أيضا بمحاربة حركات البربر ، وأسس مدينة المنصورة قرب القيروان واتخذها عاصمة لدولته واستطاع الخليفة المعز لدين الله ٣٤١ ـــ ٣٦٥ هـ من توطيد السلطة الفاطمية فى المغرب وقاوم النفوذ الأموي فى مراكش ، لقد أدرك المعز أن تونس لاتصلح بأن تكون مركزا له وذلك لكثرة ثورات البربر ولأنه أراد أن يكون قريبا من الدولة العباسية لكى يحاربها وينشر سلطانه على أقاليمها لذلك قرر الخليفة

المعز اتخاذ مصر مقرا للدولة الفاطمية « ١٨ » • وبدأت مصر تتعرض للغارات الفاطمية منذ عهد عبيد الله المهدى لكنها أي الغارات جابهت المقاومه من العباسيين وأتباعهم فى مصر لذلك فشلت •

وفى عام ٣٥٨ هـ أرسل المعز الى مصر جيشا كبيرا بقيادة أشهر قادته جوهر الصقلي الذى استطاع فتح مصر بسهولة وذلك نتيجة للفوضى التى حلت بمصر فى أواخر عهد الأخشيديين وكثرة أنصار الفاطميين الذين رحبوا بالجيش الفاطمى • وقد قضى جوهر الصقلي على مقاومة أنصار العباسيين الضعيفة ونشر الدعوة الاسماعيلية وقطع الخطبة للخليفة العباسي وأقامها للخليفة الفاطمى ، وبنى جوهر مدينة القاهرة فى شمال شرق الفسطاط واتخذها عاصمة للدولة الفاطمية وبنى فيها قصر الخليفة المعزوجامع الأزهر « ١٩ » ووطد السلطة الفاطمية وقام باصلاحات ادارية وعمرانية عديدة وتحقق الاستقرار السياسى وأخذت أحوال مصر الحضارية بالأزدهار • وفى عام ٣٦٢ هـ انتقل المعز من تونس الى مصر ، وهكذا أصبحت مصر مركز خلافة فاطمية تنافس الخلافة العباسية بالعراق وبدأت مرحلة جديدة فى العلاقات تتسم بالصراع الواسع سياسيا واعلاميا وحربيا بين الخلافتين حول زعامة العالم الاسلامى •

ومن المهم قبل استعراض أحوال مصر فى العهد الفاطمى ان نتطرق الى مسألة نسب الخلفاء الفاطميين التى لاتزال موضع جدل ونقاش فالخلفاء الفاطميين وأتباعهم وبعض المؤرخين الاسلاميين يقولون بأن عبيد الله المهدى أول الخلفاء الفاطميين يرجع نسبه الى اسماعيل بن جعفر الصادق «٢٠»

اما خصوم الفاطميين من العباسيين وانصارهم وعدد كبير من المؤرخين المسلمين فيقولون بأن عبيد الله المهدي ليس من نسل اسماعيل وانما من ذرية عبد الله بن ميمون القداح الفارسي «٢١» • ولذلك انقسم الناس والمؤرخون فى ذلك الزمان وحتى الآن بين مؤيد لوجهة النظر العباسية وبين مناصر للفاطميين فى مسألة نسبهم • والواقع ان كلا الطرفين لا يملك أدله قاطعة على ما يقول ، وقد اتخذ العباسيين من قضية نسب الفاطميين وسيلة اعلامية مهمة فى صراعهم مع الدولة الفاطمية التي سموها بالدولة العبيدية نسبة الى عبيد الله المهدي ، وعلى أى حال فان الخلافة الفاطمية كسبت أتباع من مختلف أنحاء العالم الاسلامى وأخذت تعمل على ضم اقاليم اسلامية عديدة ، هذا مع العلم ان أغلبية المسلمين ظلت موالية للخلافة العباسية •

لقد اهتم الخليفة المعز فى نشر الدعوة له بمصر ، كما ان اتباعه وصفوه بصفات الأنبياء والأئمة « ٢٢ » ، واهتم كذلك بمظاهر الأبهه والزينة والفخامة فى قصره ومواكبه لكى يوقع الهيبة منه فى نفوس الناس ، وقد صرف المعز بعد وصوله الى مصر القائد جوهر من الخدمة وذلك خوفا على سلطته ، وعين يعقوب بن كلس اليهودى الأصل وزير له وفى عهد الخليفة المعز اكتسب اليهود والنصارى فى أغلب فترات العهد الفاطمي نفوذا سياسيا واجتماعيا كبيرا حتى أثاروا نقمه المسلمين على الخلافه الفاطمية « ٢٣ » • وبعد وفاة المعز خلفه ابنه الخليفة العزيز بالله ٣٦٥ ــ ٣٨٦ هـ الذى شدد على اضطهاد المسلمين السنة وأدى ذلك الى

تحول عدد كبير من الناس الى المذهب الاسماعيلى وأعاد القائد جوهر العقلي الى الخدمة وتمكن جوهر من فتح بلاد الشام ومحاربة القرامطة والانتصار عليهم وطردهم من الشام « ٢٤ » • وأصبحت الدولة الفاطميه تضم بالاضافة الى مصر الشام والحجاز واليمن وتونس ، وجاء بعد العزيز ابنه الخليفة الحاكم بأمر الله ٣٨٦ ــ ٤١١ هـ وكان الحاكم عريب الأطوار شديد التناقض فى تصرفاته وسلوكه وأوامره الى درجة الجنون وأدعى بأنه هو الله وطلب من الناس عبادته مكان الله ونشر له الدعاية عدد من الدعاة الفرس الذين قدموا من ايران ، وقد صدق بدعوة الوهية الحاكم عدد من الناس ولكن أغلبية أفراد المجتمع وعدد كبير من رجال الدولة لم يقبلوا ادعائات الحاكم ، ونتيجة لسياسة الحاكم حلت الفوضى والاضطراب فى مختلف نواحى الدولة وزادت النقمة عليه حتى أغتيل في مؤامرة حاكتها أخته ست الملك « ٢٥ » • وجاء الى الخلافة بعد الحاكم ابنه الخليفة الظاهر ٤١١ ــ ٤٢٧ هـ الذى اهتم باعادة الاستقرار وتحسين أحول البلاد وحدثت فى عهد الظاهر مجاعة أدت الى الفوضى والصدامات بين الجند الفاطمي والسكان « ٢٦ » • وخلف الظاهر ابنه الخليفة المستنصر بالله ٤٢٧ ــ ٤٨٧ هـ الذى امتاز عهده الى سنة ٤٥٧ هـ بالاستقرار السياسى والازدهار وانتشار النفوذ الفاطمى فى العالم الاسلامى ، وفي عهد المستنصر حلت مجاعة شديدة دامت سبع سنوات ٤٥٧ ــ ٤٦٤ هـ وحدثت المجاعة بسبب انخفاض مياه نهر النيل عن مستواها الاعتيادي مما أدى الى انهيار الانتاج الزراعي وقد هلك عشرات الالاف من الناس جوعا وهربت عائلة الخليفة المستنصر وعدد

كبير من الناس الى العراق والشام من شدة الجوع وأكل الناس لحوم الحيوانات مثل الحمير والكلاب والقطط ثم أخذوا يخطفون الأطفال والعجزة ويذبحونهم ويأكلون لحومهم « ٢٧ » • ومن جراء المجاعة حلت الفوضى والصراعات بين عناصر الجند الفاطمى الذى يتكون من البربر والترك والسودان ونهبت أموال الخليفة والدولة وسيطر قادة الجند على الخليفه وتحكموا بالسلطة وانحطت أحوال مصر كثيرا « ٢٨ » ، وانتهت المجاعة عام ٤٦٥ هـ وجاء الى منصب الوزارة بدر الجمالي وهو من أصل أرمني جلب معه من الشام جنودا فى الأرض • كان بدر الجمالي علي درجة عالية من الكفائة والمقدرة واستلم كل السلطات المدنية والعسكريه وحقق الأمن والاستقرار وعمل على اصلاح الأوضاع الاقتصادية والاداريه كما كان متعصبا للمذهب الاسماعيلى ولم يبق للخليفة المستنصر الذى انشغل باللهو والملذات سوى السيادة الدينية « ٢٩ » • وخلف بدر الجمالى فى الوزارة ابنه الأفضل سنة ٤٨٧ هـ ومن ذلك الحين أصبحت السلطة الفعلية بأيدى الوزراء والقادة العسكريين وتعاقب على منصب الخلافة بعد المستنصر عدد من الخلفاء الضعفاء الشخصية وتحكم بهم الوزراء والقادة والحريم وبدأ العصر الفاطمى الثانى ٤٨٧ — ٥٦٧ هـ حيث سارت الدولة الفاطمية فى طريق التدهور والانحطاط السياسي والمعنوي والاقتصادي وتقلصت حدود الدولة الفاطمية حتى اقتصرت على مصر فى أواخر أيامها « ٣٠ » •

لقد كان العهد الفاطمى الأول فى مصر ٣٥٨ — ٤٨٧ هـ عصر القوة والنفوذ السياسي الواسع فى العالم الاسلامى حيث امتدت حدود الدولة

الفاطمية الى الشام والحجاز واليمن وتونس وجزيرة صقلية فى البحر الأبيض المتوسط ، وازدهرت الزراعة والصناعات وزاد النشاط العمرانى فى بناء القصور والمساجد والجسور وغيرها واهتم الخلفاء بالعلوم والمكتبات واشتهرت مدينة القاهرة بمظاهر الحضارة فيها ولكنها لم تصل الى مستوى مدينة بغداد عاصمة العباسيين سواء من النواحى الاقتصادية أو الثقافية والعلمية أو النفوذ السياسي والديني فى العالم الاسلامي وبعد احتلال المغول لبغداد سنة ٦٥٦ هـ انتقلت الصدارة الحضاريه والسياسية الى القاهرة فى عهد دولة المماليك حتى الغزو العثماني .

٣ ـ الصراع السياسي والحربي بين العباسيين والفاطميين خلال الفترة ٣٥٨ ـ ٥٦٧هـ / ٩٦٩ ـ ١١٧١م :

لقد اهتم الخلفاء الفاطميين منذ عهد عبيد الله المهدى ٢٩٧ ـ ٣٢٢ هـ في ارسال الدعاة الى العراق مركز الدولة العباسية من اجل نشر الدعوة الفاطمية وخاصة بين الشيعة وذلك للتقارب بين المذهبين الاسماعيلي والجعفري . ولما احتل الفاطميون مصر عام ٣٥٨ هـ وجعلوها مركز خلافتهم زاد الفاطميون من نشاطهم في نشر دعوتهم في العراق مستغلين ضعف الخلافة العباسية الناتج من تسلط البويهيين الشيعة على الخلافة ولما كانت الدولة الفاطمية لاتملك القوة العسكرية اللازمة لغزو العراق والقضاء على الخلافة العباسية فقد اتبع الفاطميون اسلوب الدعاية بأحقية الأئمة الاسماعيلية بالخلافة وعملوا على جمع الأتباع خصوصاً من الزعماء والشخصيات الكبيرة من شيوخ القبائل والأمراء والقادة البويهيين

وغيرهم عن طريق بذل الأموال والوعود وكذلك اتخاذ اسلوب التهديد والارهاب «٣١» .

اما الخلافة العباسية فبسبب ضعفها لجئت الى اسلوب الدعاية وخاصة التشكيك بصحة نسب الفاطميين وكذلك تحريض الأمراء المسلمين في مختلف الأقاليم وتشجيع ودعم مذاهب السنة في العالم الاسلامي بما في ذلك مصر مقر الخلفاء الفاطميين . لقد بذل الخليفة الفاطمي المعز وابنه العزيز جهوداً كبيرة في نشر الدعوة الفاطمية في العراق ، وكان لهم اتباع يجتمعون في مسجد « براثا » ببغداد «٣٢» ، ولكن العباسيين كبسوهم في الجامع . واستطاع الخليفة العزيز ان يكسب حاكم الموصل أبي الدرداء العقيلي الذي اقام الخطبة للفاطميين سنة ٣٨٢ هـ ولكن البويهيين عزلوه من منصبه في نفس السنة «٣٣» .

ولما جاء الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله الى الحكم زاد من دعم اعوانه ودعاته في العراق وفارس وذلك بمنح الأموال . وكان رئيس الدعاة الفاطميين في العراق في عهد الحاكم يدعي احمد بن عبد الله الكرماني وخلفه في قيادة الدعوة عبد الملك المازني «٣٤» .

وكان هؤلاء الدعاة يتميزون بالدهاء والمقدره ويلجئون الى شتى الوسائل بما في ذلك الأرهاب في سبيل نشر الدعوة الفاطمية . وقد استفاد الدعاة الفاطميين من الفتن الطائفية بين الشيعة والسنة في بغداد والتي كان يشعلها المتعصبون من الفريقين وانحياز الجند البويهي من الديلم الى جانب الشيعة والأتراك الى جانب السنة وهذه الظروف هيئت المجال

لنشر الدعاية الفاطمية ، ففي سنة ٣٩٨ هـ ظهرت هتافات مؤيدة للحاكم الفاطمي من قبل بعض الشيعة في بغداد مما أدى إلى اثارة الخليفة العباسي القادر واتباعه وحدثت صدامات بين الطرفين «٣٥» .

وفي عام ٤٠١ هـ اعلن حاكم الموصل قرواش العقيلي ولائه الخليفه الفاطمي وكذلك حكام الكوفة والمدائن والأنبار وبعض المناطق الأخرى في العراق، ويرجع تزايد النشاط الفاطمي الى تهاون الامراء البويهيين الحكام الساسيين للعراق ، في مقاومة اتباع الفاطميين وانشغالهم في النزاعات فيما بينهم . ولما تزايد النشاط الفاطمي حث الخليفة العباسي القادر لله الأمير البويهي بهاء الدولة ٣٧٩ ــ ٤٠٣ على محاربة قرواش العقيلي وغيره من الحكام الذين بايعوا الفاطميين وقد نجح تهديد الأمير البويهي لهؤلاء الحكام وعادوا الى الولاء للخليفة العباسي «٣٦» . وفي سنة ٤٠٢ هـ اصدر الخليفة القادر لله بياناً وقعه العلماء والفقهاء وكبار العلويين في بغداد يعلنون في هذا البيان ان حكام مصر لايرجع نسبهم الى آل علي بن ابي طالب (رض) وانما الى الخرمية والمجوس وقد ارسلت نسخ من هذا البيان الى كافة انحاء العالم الاسلامي بما في ذلك المناطق الخاضعه للحكم الفاطمي وكان للبيان تأثير كبير في الشك بنسب الفاطميين ودعم نفوذ الخليفة العباسي كما بذل القادر لله جهوده في محاربة الفرق والجماعات الدينية القريبة من المذهب الاسماعيلي مثل المعتزلة والقرامطة والرافضة وغيرها في داخل العراق «٣٧» .

واهتم بدعم مذاهب السنة ، ومع ذلك استمر الفاطميون في نشر الدعوة لهم في العراق وفارس مستغلين حالة الاضطراب السياسي في العراق والمشرق وكان من ابرز دعاة الفاطميين في اقليم فارس الايراني الداعية المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي «٣٨» •

وقد جذبت الدعوة الفاطمية الكثير من الديلم وحتى الأمير البويهي « أبي كليجار » حاكم فارس والأحواز حيث كان متعاطفاً مع المؤيد الشيرازي ، ولكن مقاومة انصار العباسيين اجبرت المؤيد على مغادرة مدينة شيراز وذهب الى الأحواز حيث تمكن من اقامه الخطبة فيها للخليفة الفاطمي المستنصر بالله وبلغ ذلك الخليفة العباسي الذي طلب من الأمير البويهي ابي كليجار طرد المؤيد من الاحواز وفارس وهدده بالاستعانة بالسلاجقة اذا لم يفعل ذلك مما جعل الامير البويهي ان يطلب من المؤيد مغادرة الاحواز فغادرها متخفياً الى مصر سنة ٤٣٥ هـ «٣٩» • واصدر الخليفة العباسي القائم في سنة ٤٤٣ هـ بياناً يشكك بنسب الفاطميين ووزع على الولايات الاسلامية •

اما موقف البويهيين اصحاب السلطة الفعلية في العراق وايران من الدعوة الفاطمية فيلاحظ بأن البويهيين على الرغم من انهم شيعة زيدية متعصبين ومساندين للشيعة في الفتن الطائفية الا ان مصلحتهم السياسية حتمت عليهم الولاء الشكلي للخليفة العباسي وتأييده ضد الفاطميين ، فقد وقف الأمير البويهي معز الدولة احمد بن بويه ٣٣٤ ــ ٣٥٦ وابنه عز الدولة بختيار ٣٥٦ ــ ٣٦٧ هـ موقف المساند للخلافة العباسيه ولكن

انتقارب المذهبي بين البويهيين والفاطميين جعل الامراء البويهيين متهاونين في مقاومة الدعوة الفاطمية • امـا الأمير البويهي عضد الدولة ٣٦٧ ــ ٣٧٢ فقد استمر على تأييد الخليفة العباسي وارسل الى الخليفة الفاطمي العزيز بالله يطلب منه الأدلة على صحة نسبه وزاد التقارب بين الخليفة العباسي وعضد الدولة «٤٠» • وبعد وفاة عضد الدولة بـدأ الصراع بين الأمراء البويهيين حول السيطرة عـلى العراق كما حدثت منازعـات بين الجنـد البويهي من الديلم والترك وزادت القلاقل الطائفية في بغداد وهذه الأوضاع ساعدت دعاة الفاطميين على التحرك والكسب السياسي والمذهبي • وخلال الفترة ٣٨٩ ــ ٤٠٩ هـ كانت مدينة شيراز الفارسـية مقر الأمير البويهي وينوب عنه في السلطة ببغداد احد الامراء البويهيين «٤١» • وهذه الحالة زادت من نفوذ الخليفة العباسي وكذلك قادة الجيش خاصة من الأتراك • واستمر تأييد البويهيين للخليفـة العباسي ولكنهم كانوا غير مهتمين فـي مقاومة النشاط الفاطمي ، فقـد كان الأمير البويهي أبـي كليجار الـذي تولى الحكم في بغداد سنة ٤٣٦ هـ متعاطفاً مع الداعية الفاطمي المؤيـد الشيرازي ولكنه اضطر على ابعاده من فارس والاحواز على اثـر تهديـد الخليفة القائم ، امـا الأمير البويهي الأخير « الملك الرحيم » الذي ساءت في عهده احوال البويهيين فقد قضي عليـه من قبل السـلطان السلجوقي طغرل بك سنة ٤٤٧ هـ عندما دخل بغداد مساندا للخليفة العباسي •

حركة البساسيري ضد الخلافات العباسية :

في السنوات الأخيرة من الحكــم البويهي زاد ضعف الدولة البويهية بسبب المنازعات الداخلية مما ادى الى بروز قادة الجيش من الأتراك على مسرح الأحــداث وخاصة القائد ابــو الحارث ارسلان البساسيري الذي اصبح في العقد الرابع من القرن الخامس الهجري صاحب السلطة الفعليه في العراق وصار متنفذاً اكثر من الامير البويهي والخليفة العباسي «٤٢» • وقــد اثــار نفوذ البساسيري حسد محمد بن المسلمة وزير الخليفة واخذ الوزير يحرض الخليفة على البساسيري وكذلك يحرض الجند البويهي على عزله ومهاجمة املاكــه في بغداد كما هاجم امير الموصــل قرواش العقيلي مدينة الانبار ، ونهبها وهي مدينة خاضعة لسلطة البساسيري مما اثار حقد البساسيري واعتبر الخليفة ووزيره مسئولين عن الأعمال المعادية له وسائت العلاقة بين البساسيري من جهة والخليفة القائم ووزيره ابن مسلمة من جهة أخــرى وأخــذالبساسيري يتصل بالفاطميين ويتهيأ لمحاربة الخليفة العباسي ولمــا عرف الخليفة القائم بذلك طلب من الامير البويهي الأخير « المــلك الرحيم » طــرد البساسيري من العراق واستجاب المــلك الرحيم وأمــر البساسيري بمغادرة العــراق ، وفي نفس الوقت كان جيشــ السـلطان السلجوقي طغرل بك يقترب من بغداد بدعوة من الخليفة العباسي لذلــك رحل البساسيري مع اتباعه الى منطقة الرحبة في الجزيرة الفراتيه «٤٣» • واخــذ من هناك يجمع الأعوان وخاصة من العقيليين في الموصل والقبائل الأخــرى ويتصل بالخلافة الفاطمية عن طريق المؤيد في الدين الشيرازي

في مصر والذي جاء الى الشام واخــذ يدير التوجيهات الفاطميه للبساسيري واتباع الفاطميين في الشام والعراق وارسل الداعية الفاطمي المؤيد الرسل الى شيوخ القبائل وحكام الأقاليم من اجل كسبهم الى جاب الفاطميين الا ان جهوده كانت محدودة النتائــج • وفي سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م سائت الحالة السياسية في بغداد من جراء معارضة البساسيري لذلك طلب الخليفة العباسي القائم من السلطان السلجوقي طغرل بك القدوم الى بغداد والقضاء على دولة البويهيين وحركة البساسيري ، وجاء طغرل بك الى بغداد واعتقل الملك الرحيم وقض على البويهيين • وكان طغرل بك من السنة المناصرين للخليفة العباسي ضد الفاطميين لذلك اخــذ يعمل على القضاء على انصار الفاطميين • وكان الداعيــة الفاطمي المؤيــد قــد استطاع بما بذلــه من اموال ان يكسب امير الحلة وكذلك عــدد من امراء الجزيرة ودمشق الى جانب البساسيري الذي اجتمع بــه في الرحبة قرب الرقة ومنحه الأموال والهدايا مما زاد من حماس البساسيري في تأييد الخليفة الفاطمي «٤٤» • وفي سنة ٤٤٨ هـ حدثت في منطقة سنجار معركة بين جيش البساسيري من جهة وقوات سلجوقية وقوات الامير قريش بن بدران العقيلي من جهــه اخرى وكان النصر في جانب البساسيري لذلك سيطر على الموصل وانضم اليه قريش بن بدران كما خطب امراء الكوفــة والحلة وواسط للخليفــة الفاطمي المستنصر بالله «٤٥» • ان تزايد نفوذ انصار الفاطميين ادى الى خروج طغرل بك على راس جيش كبير من بغداد الى الموصل لذلك هرب البسياسيري الى الرحبة ورجعت الموصل والحلة وغيرها من المناطق الــى

الولاء للخليفة العباسي خوفاً من طغرل بك الذي استمر بمطاردة البساسيري وانتقم طغرل بك من اهل سنجار لمساندتهم البساسيري ثم رجع الى بغداد الا ان ابراهيم ينال حاكم الموصل واخ طغرل بك من امه تحالف مع البساسيري والفاطميين واعلن تمرده على اخيه في سنة ٤٥٠ هـ وذهب ابراهيم بقواته الى همذان في ايران وزحف ورائه طغرل بك من اجل القضاء عليه «٤٦» • وتمكن طغرل بك بمعاونة اقاربه في خراسان من انهاء تمرد ابراهيم ينال وقتله في منطقة الري سنة ٤٥١ هـ • ان انشغال طغرل بك بمطاردة ابراهيم ينال وعدم وجود قوات عسكرية في بغداد لحماية الخليفة اتاح الفرصة للبساسيري وحليفه قريش بن بدران امير بني عقيل لاحتلال بغداد في ٨ ذي القعدة سنة ٤٥٠هـ ولم تنفع مقاومة الخليفة والوزير محمد بن مسلمة واتباعهم وطلب الخليفة والوزير الأمان من الأمير قريش فأمنهم مما اثار البساسيري الذي اراد قتلهم ولكن قريش اصر على عدم تسليم الخليفة ولكنه سلم الوزير الذي قتله البساسيري • وسفر الامير قريش الخليفة القائم الى مدينة حديثة على الفرات وأودعه امانة عند ابن عمه مهارش العقيلي الذي احسن معاملة الخليفة «٤٧» • وكان البساسيري قد اجبر الخليفة القائم قبل ترحيله الى حديثة على توقيع محضر بعدم احقية بني العباس للخلافة وارسل المحضر وثوب الخليفة وشارات الخلافة الى المستنصر الفاطمي وبهذه المناسبة اقيمت احتفالات واسعة في القاهرة «٤٨» • وقد تمكن البساسيري من بسط نفوذه على انحاء العراق واقام الخطبة في بغداد

والعراق للخليفة الفاطمي ومع ذلك فان الخليفة الفاطمي المستنصر لم يرسل الى البساسيري مايكفي من الأموال والدعم المعنوي وذلك يرجع الى كراهية الوزير الفاطمي محمد المغربي للبساسيري وتنبيه الوزير للمستنصر من اطماع البساسيري لذلك لم يحصل البساسيري على ثمن جهوده ولكنه استمر على الولاء للخليفة الفاطمي . وفي هذه الاثناء رجع طغرل بك الى العراق بعد ان قضى على تمرد اخيه ، وأرسل الى مهاوش انحقيلي يطلب منه ارسال الخليفة والتقى الخليفة وطغرل بك في النهر وان قرب بغداد ثم توجهوا الى بغداد ، اما البساسيري فانه لما سمع برجوع طغرل بك هرب الى الكوفة وبعث طغرل بك في اثره قوة عسكريه طاردته وقتلته قرب الكوفة في اواخر سنة ٤٥١ هـ / ١٠٦٠ م «٤٩» . وانتهى حكم البساسيري للعراق الذي استمر سنة كاملة كان خلالها يخطب للخليفة الفاطمي ويسك العملة باسمه .

وعاد الخليفة العباسي الى بغداد وانتهت اخطر مرحلة في الصراع بين الخلافتين العباسية والفاطمية لصالح العباسين الذين اصبحوا في حالة هجوم ضد الفاطميين ولاشك بأن وقوف السلاجقة الى جانب العباسين كان العامل الحاسم في هزيمة اتباع الفاطميين في العراق وثم في بلاد الشام التي احتلها السلاجقة من الفاطميين سنة ٤٦٧ هـ وبعث السلاجقة بقوات عسكرية الى مصر واحتلت بعض مناطق الدلتا ولكن الفاطميين تمكنوا من طرد السلاجقة الى الشام وقد سارت الدعوة الفاطمية في طريق الانحسار في كل انحاء العالم الاسلامي وخطب للخليفة العباسي

على منابــر الشام والحجاز واليمن وعمان وشمال افريقية بالاضافة الى المشرق الاسلامي وهكذا اثبتت الخلافة العباسية على انها اعمق جــذوراً واكثر حيوية من منافستها الخلافة الفاطمية •

امــا عن جهود الخلافة العباسية في مقاومة الفاطميين داخل مصر فقد كان الســكان السنة يتعاطفون مــع العباسيين وقاموا في بدايــة العهد الفاطمي بثلاث ثورات فاشلة وتعرض السنة وعلمائهم الى الاضطهاد وطردوا من القاهــرة الى الصعيد والمناطــق البعيدة عن العاصمة «٥٠» • وقــد ازداد اضطهاد السنة في عام ٤١٦ هـ في عهد الخليفة الظاهر الذي طــرد فقهاء السنة الى خارج مصر ومع ذلــك استمر السنة في معاداة الفاطميين وقاوموا ادعائات الخليفة الحاكم وانصاره بالوهية الحاكــم وقتلوا بعضــ هؤلاء الدعاة الذين اكثرهم من الفرس الوافدين على مصر «٥١» • وقــد أرسل الأمير البويهي عضد الدولة وكذلك الخليفة العباسي الدعاة والعيون الى مصر للحصول على المعلومات وبث الدعاية ضد الحكم الفاطمي وكسب الأتباع من عامة الناس وكبار رجال الدولة «٥٢» • وتؤكد بعض المصادر التاريخية بأن الوزير الفاطمي ابــو محمد الحسن اليازوري كان يتعاطف مع العباسيين ويراسل السلاجقة بدون علم الخليفة الفاطمي وقــد انكشف أمــره واعــدم في محرم سنة ٤٥٠ هـ «٥٣» ، كما ان ابــو الفرج محمد المغربي الذي عين وزيــراً في اواخــر سنة ٤٥٠ هـ كان يؤيد العباسيين في السر لذلك لــم يرســل الأموال والخلع الى البساسيري بعد نجــاح حركته وكان يحــذر الخليفة المستنصر من طموح البساسيري بعد نجــاح

حركتة وعـزل المغربي سنة ٤٥٢ هـ • وقـد زاد النشاط العباسي ضـد الفاطميين حتى تمكنوا من تحقيق انتصار كبير بحركـة مشابهة لحركـة البساسيري •

حركة ناصر الدولة الحمداني ضد الخلافة الفاطمية :

كان ناصر الدولة الحسين بـن حمدان التغلبي الحمداني من قـادة الجيش الفاطمي وقـد كسب نفوذ كبير في الدولة الفاطمية وحصل علـى الأموال الطائلـة ولـم يمنح جنوده ماأرادوا من الأموال لذلـك حقدوا عليه وحرضوا الوزير الفاطمي « خطير الملك » على مناهضة ناصر الدولـة الحمداني وقـد ايدهم الوزير في ذلـك ثـم طلبوا من المستنصر طـرد ناصر الدولة من القاهرة ووافق الخليفة واضطر ناصر الدولة الى الرحيـل الى الجيزة وهو ناقم على المستنصر ووزيره ، ثـم عاد الى القاهرة بعـد ان اتفق مع القائـد تـاج المـلوك شاذي وتـم قتل وزير الخليفة الا ان الخليفة المستنصر حارب ناصر الدولة وهزمـه وانسحب ناصر الدولـة الى اقليم البحيرة مع اتباعه وانضم اليه عدد كبير من الأعراب «٥٤» ، وبـدأ اتباع ناصر الدولة بالأغارة على مناطق الوجـه البحري ، كما بعث ناصـر الدولة في سنة ٤٦٢ هـ رسولاً الى السلطان السلجوقي الب ارســلان يطلب منه ارسال جيش الى مصر لاقامة الدعوة للعباسيين على ان تكون له السلطة في مصر ووافق الب ارسلان ولكنه انشغل بمحاربة الروم ولـم يبعث بقوات الى مصر «٥٥» •

وارسل ناصر الدولة الى الخليفة العباسي القائم يطلب منه الخلعـة

ليخطب له في مصر «٥٦»• ولما علم الخليفة المستنصر بمراسلات ناصر الدولة مع السلاجقة والعباسين ارسل اليه جيشاً من الأتراك الا ان ناصر الدولة الحق الهزيمة بجيش الخليفة وقطع الامدادات الغذائية عن القاهرة في زمن المجاعة الكبرى (الشدة المستنصريه) واضطر قادة الجند الاتراك الى مصالحته على ان يظل في اقليم البحيرة وترسل اليه الأموال مقابل سماحه بوصول المواد الغذائية الى العاصمة ولكن لم ترسل الأموال الكافية الى ناصر الدولة اذلك سمح لقواته بدخول مدينة الفساط ونهبها واشعال النار فيها • وقد اقام ناصر الدولة الخطبة للخليفة العباسي القائم بأمر الله في الاسكندرية ودمياط وكل منطقة الوجة البحري اي مصر الشمالية «٥٧» • ثم دخل القاهرة في اواخر سنة ٤٦٤ هـ وسيطر ناصر الدولة على الحكم في القاهرة وبالغ في اهانة الخليفة المستنصر الذي اصبح كالمحجور عليه وبطل ذكره «٥٨» •

ولكن ناصر الدولة لم يستطع القضاء على الخلافة الفاطمية وذلك يرجع الى قوة انصار الدولة الفاطمية ، هذا ولا يعرف على وجه التأكيد هل اقام ناصر الدولة الخطبة في القاهرة للخليفة العباسي ام لا ويبدوا انه لم يفعل ذلك • ولما ادرك قادة الجيش الفاطمي خطر ناصر الدولة على مصالحهم وعلى الدولة الفاطمية سارع « الدكز » أبرز القادة الأتراك الى تدبير اغتيال ناصر الدولة الحمداني في سنة ٤٦٥ هـ «٥٩» • وبذلك انتهت حركة ناصر الدولة ضد الخلافة الفاطمية وقد استمر العداء بين العباسيين والفاطميين ولكن بشكل غير عنيف لضعف كلا الطرفين • وكان

الوضع السياسي في العالم الاسلامي يتغير لصالح العباسيين حتى اقتصر الحكم الفاطمي على مصر «٦٠» • ولما جاء صلاح الدين الأيوبي الى مصر قضى على الخلافة الفاطمية واقام الخطبة للخليفة العباسي في سنة ٥٦٧ هـ واعاد مذاهب السنة وقضى على المذهب الاسماعيلي في مصر •

الفصل الثالث

العلاقات المصرية ـ العراقية من أواخر القرن الخامس الهجري وحتى الاحتلال العثماني في بداية القرن العاشر الهجري .

١ ـ أحوال العراق في العصرين السلجوقي والعباسي الاخير

٤٥١ ـ ٦٥٦ هـ / ١٠٦٠ ـ ١٢٥٨ م لقد ارتبط تاريخ العراق والدولة العباسية في هذه الفترة بالسلاجقة وهؤلاء بالأصل قبيلة تركيه بدوية اصلها من مناطق تركستان واعتنقت الدين الاسلامي ، وكانت في اواخر القرن الرابع الهجري خاضعة للدولة الغزنوية ثم لما زادت قوتها انتقلت هذه القبيلة الى خراسان في حوالي٤١١ هـ وسميت باسم رئيسها (سلجوق) ولما اتسع نفوذ السلاجقة حاولت الدولة الغزنوية القضاء عليهم الا انها فشلت في عدة محاولات قامت بها وفي عام ٤٣١ هـ الحق السلاجقة بالدولة الغزنوية الهزيمة النهائية «١» . وبذلك تأسست دولة السلاجقة بقيادة طغرل بك الذي طلب من الخليفة العباسي القائم منحه التفويض الشرعي بالحكم فمنحه ذلك وصارت العلاقات جيدة بين السلاجقة والعباسيين «٢» . ثم اخذ السلاجقة بالتوسع في شمال ايران واحتلوا اقليم فارس سنة ٤٤٣ هـ واذربيجان سنة ٤٤٦ هـ وجاء طغرل بك الى بغداد عام ٤٤٧ هـ بدعوة من الخليفة القائم وخطب له بعد الخليفة وقضى طغرل بك على البويهيين ولعب دورا حاسما في القضاء على

حركة البساسيري عام ٤٥١ هـ ثم رحل طغر بك الى مدينة الري عاصمة دولته (في ايران) بعد أن عين نائب له في حكم العراق يسمى (عميد العراق) وحملت الأموال الى خزينته ولم يكن للخليفة العباسي أية سلطة فعلية سوى السيادة الدينية •

وبعد موت طغرل بك جاء الى حكم الدولة السلجوقية السلطان ألب أرسلان ٤٥٥ ــ ٤٦٥ هـ وضمت دولة السلاجقة العراق وايران والشام وجزء من أسيا الصغرى وكانت العلاقة بين ألب أرسلان والخليفة جيدة وانشغل في محاربة الروم وحقق انتصارا كبيرا عليهم «٣» • وبعد مقتل ارسلان خلفه ابنه السلطان ملكشاه الذي كانت علاقته في البداية جيدة مع الخليفة العباسي المقتدي ٤٦٧ ــ ٤٨٧ هـ ثم سائت العلاقة لتدخل ملكشاه ووزيره نظام الملك في شؤون الخليفة وتقييد نفوذه وبعد ذلك تحسنت العلاقة على أثر زواج الخليفة من بنت ملكشاه ولكن استبداد السلاجقة وسيطرتهم على الخلافة استمرت «٤» • ولما مات ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ حدث نزاع على حكم الدولة السلجوقية بين أولاده وأخوانه وانقسمت الامبراطورية السلجوقية الى خمس دول كبيرة متعادية «٥» • وكانت دولة السلاجقة الكبرى تحكم العراق وقد أدت الحروب السلجوقية المتتالية الى الفوضى وتدهور الأوضاع العامة لذلك أخذ الخلفاء العباسيون ابتداءاً من الخليفة المسترشد ٥١٣ ــ ٥٢٩ هـ يحاولون استعادة سلطتهم السياسية «٦» • ويساهمون ببث الفرقة بين السلاجقة الا أن السلطان السلجوقي محمود شعر بطموح الخليفة المسترشد لذلك احتل بغداد سنة

٥٢١ هـ وأجبر الخليفة على عدم مقاومته ولما تجــددت الصراعــات بين السلاجقة حاول الخليفة المسترشد مــرة أخرى مقاومة السلاجقة وقــاد جيشاً الى همذان ولكن قوات السلطان السلجوقي مسعود هزمته وأسر الخليفة وثم قتل على يد الباطنية سنة ٥٢٩ هـ . ولما حاول الخليفة الراشد تكرار تجربة والده خلعه السلطان مسعود عام ٥٣٠ هـ «٧» ، وعين بدله الخليفة المقتفي لأمر الله وكان هــذا الخليفة شجاعاً طموحاً في استعادة سلطاته السياسية واستغل مــوت السلطان مسعود عــام ٥٤٧ هـ وتشتت صفوف السلاجقة وانقسامهم الى دول عديدة متحاربة فيما بينها . وقــد استطاع الخليفة المقتفي من طرد السلاجقة من بغداد وشكل جيش خاص بالخلافة فرض بواسطته حكمه على أنحاء العراق «٨» . وتوفى المقتفي سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م بعد أن عاد السلطة الفعلية في العراق الى الخلافة العباسية وخلفه المستنجد بالله وكان خليفه صالحاً اهتم بتحقيق العدالــة والأمن والاستقرار ومحاربة الظلم والفساد واصلاح الأوضاع العامة الا انه توفى قبل أن يكمل سنة واحدة في الحكم وخلفه ابنه المستضيء بالله ٥٥٦ ـــ ٥٧٥ هـ الذي سار على نهج أبيه وتحسنت الأحوال وفي عهــده سقطت الخلافة الفاطمية وأقيمت له الخطبة في مصر وبهذه المناسبة أقيمت الاحتفالات الواسعة في بغداد «٩» .

وبعد المستضيء جاء الى الخلافة الناصر لدين الله ٥٧٥ ـــ ٦٢٢ هـ الذي اهتم بتقوية سلطته السياسية في العراق والأحواز وكذلــك نشر نفوذه الديني في العالم الاسلامي وحاول الناصر ازالة الضغائن الطائفيــة

بتقريب العلويين واهتم بتدريب الشباب في اطار الفتوة الاسلامية وتهيئتهم للدفاع عن البلاد والخلافة وكان عهد الناصر عهد النهضة العباسية الأخيرة • وفي زمن الناصر تمكن المغول من القضاء على دوله خوارزم الاسلامية في تركستان «١٠» ، وكان المغول قبائل بدوية شديدة المراس تسكن في بلاد منغوليا ، واستطاع جنكيزخان المتوفي عام ٦٢٤ هـ من توحيد القبائل المغولية الكثيرة وأصبح المغول قوة عسكرية هائلة ولم تقدر أي قوة أن تقف أمامهم واخذوا بالتوسع في كافة الجهات وكونوا امبراطورية شاسعة تمتد من شرق الصين الى وسط أوربا بما في ذلك أسيا الوسطى الاسلامية وأفغانستان وايران وثم العراق وأجزاء من آسيا الصغرى «١١» • والقائد المغولي هولاكو حفيد جنكيزخان قام بالتوسع في جهات ايران وأكمل هولاكو احتلال ايران سنة ٦٥٥ هـ وزحف بقواته الكبيرة نحو العراق •

وأعقب الخليفة الناصر الخليفتين المستنصر بالله ٦٢٣ ـ ٦٤٠ هـ والمعتصم بالله ٦٤٠ ـ ٦٥٦ هـ ولم يبدي من هذين الخليفتين أي اهتمام جدي بالتصدي للخطر المغولي ولم يحاولوا اصلاح أحوال البلاد وبناء جيش كافي للدفاع عن العراق ولم يهتموا باثارة روح الجهاد عند المسلمين فقد كانوا قصيري النظر مستبعدين الخطر القادم «١٢» ، كما ان الفتن الطائفية وضعف الجيش وتحكم قادته بالخليفة الأخير وسوء تصرف رجال الحكم وتشتت صفوف المسلمين في مختلف أنحاء العالم الاسلامي وتدهور الروح المعنوية كل ذلك ساعد المغول على احتلال البلاد الاسلاميه «١٣» •

ولما جاء الجيش المغولي بقيادة هولاكو الى بغداد لم يجد جيشاً يقاومه وضرب الحصار على بغداد وتمكن من دخولها في بداية شهر صفر سنة ٦٥٦ هـ / شباط ١٢٥٨ م وتم قتل الخليفة والحاشية وحوالي تسعين ألف من السكان «١٤» ، ونهبت الأموال والممتلكات ودمرت مظاهر العلم والثقافة • أما عن مقاومة الغزاة المغول فقد ظهرت مقاومة جدية لاختلالهم تمثلت في أهل الجانب الشرقي من بغداد وأهل أربيل وواسط وثورة الموصل عام ٦٥٩ هـ وقد تمكن المحتلين من اخماد هذه الثورات بسبب عدم تكافيء القوى من حيث العدد والعدة والقيادات وغير ذلك ، أما مقاومة القبائل للمحتلين فقد كانت دائمة طيلة عهد الاحتلال المغولي • وبعد احتلال المغول للعراق تقدموا واحتلوا أجزاء واسعة من بلاد الشام ، وكان المغول يرتكبون جرائم ابادة السكان في كل منطقة محتلة ولم تضعف قوة المغول وتتوقف حركتهم التوسعية الا بعد نشوب الحرب الأهلية الواسعة فيما بينهم سنة ١٢٦٠ م «١٥» •

أما الناحية الحضارية في العراق خلال الفترة ٤٤٧ ـ ٦٥٦ هـ فقد استمر العراق في طليعة العالم الاسلامي من الناحية الثقافية وأوجه الحضارة المختلفة ، وقد بنيت في بغداد المدرسة النظامية عام ٤٥٧ هـ والمدرسة المستنصرية عام ٦٣١ هـ بالاضافة الى المراكز العلمية والفكرية في الحلة وواسط والموصل والكوفة والبصرة والنجف وتكريت وغيرها ومن أعلام هذه الفترة الامام الغزالي المتوفي عام ٥٠٥ هـ والشيخ عبد القادر الكيلاني المتوفي عام ٥٦١ هـ ومنذ العصر السلجوقي أخذت الأفكار السلفية

والصوفية مراكز الصدارة بينما تعرض الفكر الفلسفي الى الاضطهاد «١٦» .

٢ ـ احوال مصر في العصر الفاطمي الثاني والعهد الايوبي ٤٨٧هـ ـ ٦٤٨هـ/١٠٩٥ ـ ١٢٥٠م :

منذ أواخر عهد الخليفة المستنصر ٤٢٧ـ ٤٨٧ هـ تسرب الضعف والانحلال الى جسم الدولة الفاطمية ، وفي عام ٤٦٦ هـ تولى الوزارة بدر الجمالي فسيطر على السلطة الفعلية من عسكرية ومدنية ولم يبق للخليفة المستنصر المنغمس في اللهو واللعب سوى الاسم «١٧» . وكان بدر الجمالي على درجة من القوة والكفاءة فأصلح أوضاع مصر الاقتصادية والادارية وحاول اعادة نفوذ الدولة الفاطمية الى الشام والحجاز الا ان السلاجقة تمكنوا من فتح الشام كما رجعت الحجاز الى السيادة العباسية وهكذا تصاعد نفوذ الخلافة العباسيه بينما أخذ النفوذ الفاطمي بالانحسار وسيطر الوزراء على الحكم في العصر الفاطمي الثاني ولم يبق للخليفة أية سلطه سياسية وكان الوزراء يولون الخلافة الى الورثة الصغار السن حتى يظلوا قابظين على زمام الحكم ، وقد ازدادت الفتن الطائفية في هذا العهد داخل مصر وتدهورت الحالة المعاشية نتيجة زيادة الضرائب وساءت حالة السكان بسبب استبداد الجند والصراع بين عناصر الجيش الفاطمي الذي يتكون من البربر والترك والسودان والأرمن مما أدى الى ايذاء سكان المدن .

وقد دخل الوزراء وكبار القادة في نزاعات مستمرة حول منصب الوزارة وقد قتل بعض الخلفاء والوزراء نتيجة المؤامرات السائده في البلاط الفاطمي وبلغ الصراع على السلطة وحول منصب الوزارة بالذات الى حد استعانة المتنافسين بالقوى الخارجية للاستفادة منها في الصراع حول السلطة

«١٨» • وفي عهد الخليفة الأخير العاضد ٥٥٥ ــ ٥٦٧ هـ استفحل الصراع على الوزارة بين شاور والي الصعيد والوزير ضرغام • وقد استعان شاور بنورالدين محمود حاكم حلب والموصل بينما استعان الوزير ضرعام بعموري ملك بيت المقدس الصليبي • ودخلت القوات الصليبية وقوات نور الدين الاسلامية بقيادة أسد الدين شيركوه الى مصر ، واستطاعت القوات الاسلاميه من الحاق الهزيمة بالقوات الصليبية وطرد الصليبيين من مصر وأصبحت السلطة الفعلية في مصر بيد صلاح الدين الأيوبي الذي تولى قيادة الجيش الاسلامي بعد وفاة عمه شيركوه كما أصبح صلاح الدين وزيراً للخليفه الفاطمي العاضد وقد وطد صلاح الدين حكمه بالقضاء على أنصار الفاطميين ثم ألغى الخلافة الفاطمية في سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م وأعلن ولاء مصر للخليفة العباسي المستضييء بالله ودعم المذهب الشافعي واضطهد أتباع المذهب الاسماعيلي وعادت مصر الى مذهب السنة واكتسب صلاح الدين بفضل سياسته الحكيمة واصلاحاته محبة المصريين وتأييدهم «١٩» • وقد حكم صلاح الدين مصر كوالي لنور الدين محمود ولما توفى الأخير سنة ٤٦٩ هـ وحصل النزاع بين أولاده على ممتلكاته استقل صلاح الدين في حكم مصر وبذلك أسس الدولة الأيوبية كما تمكن من فرض سلطته على المناطق الاسلامية في الشام ووحد القوات الاسلامية في الشام ومصر بقيادته وحول نشاطه الحربي الى الشام وذلك من أجل محاربة الصليبيين الذين احتلوا فلسطين ولبنان واستطاع من تحقيق انتصار كبير عليهم في معركة حطين سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م وحرر مدينة القدس واستمر في الجهاد ضد

الصليبيين ، وبعد وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ انقسمت الدولة الأيوبية بين أولاده وأخوانه الذين دخلوا في صراع مسلح ضد بعضهم البعض حول التوسع والنفوذ «٢٠» • وتولى حكم مصر السلطان عماد الدين عثمان بن صلاح الدين ٥٨٩ ــ ٥٩٥ هـ وكان حسن السيرة وبعد وفاته حدث صراع على الحكم بين الأمراء الأيوبيين انتهى الصراع بتولي حكم مصر السلطان العادل سيف الدين ٥٩٦ ــ ٦١٥ هـ وهو أخــو صلاح الدين وقــد اهتم بتحسين أحوال الدولة وجابهته عدة مشاكل منها معارضة أولاد أخيه صلاح الدين وأعداء الطائفة الاسماعيلية الاانه تغلب على هذهالمصاعبوأعادتوحيد الدولة الأيوبية في الشام ومصر «٢١» • وتعرضت مصر في عهد السلطان العادل الى مجاعة كبيرة ولم يكن العادل مهتمــاً في محاربة الصليبيين وفي أواخر عهده توجهت حملة صليبية الى مصر واحتلت دمياط وفي هذه الأثناء مات العادل وتقاسم أبنائه ممتلكات الدولة الأيوبية وحكم مصر ابنه الكامل ناصر الدين ٦١٥ ــ ٦٣٥ هـ الذي قاوم الغزو الصليبي لمصر بمساعدة اخوته في الشام كما فتحالسدود وأغرقالأراضي المحيطةبدمياط مماأجبرالصليبيين على الانسحاب من مصر عام ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م «٢٢» • وبعد ذلك تجددت النزاعات بين السلطان الكامل واخوته في الشام مما أدى بهم الى الاستعانة بالدول الأخرى لحسم الصراع فيما بينهم وهذا الوضــع استغله الصليبيين للتوسع فأعادوا احتلال القدس عام ٦٢٧ هـ بالاتفاق مع السلطان الكــامل «٢٣» • مما أدى الى نقمة المسلمين عليه وبعد وفاته عام ٦٣٥ هـ خلفــه السلطان الصالح أيوب ٦٣٧ ــ ٦٤٧ الذي سيطر على الحكم بعد صراع

مسلح مع الأمراء الأيوبيين المنافسين له وقد تحالف الصالح أيوب مع الدولة الخوارزمية ضد منافسيه وتمكن الخوارزمين من اسرجاع القدس مـن الصليبيين سنة ٦٤٢ هـ ثم حدث النزاع بين الخوارزمية وحليفهم الصـالح أيوب الذي تغلب عليهم واستقر الحكم للسلطان الصالح أيوب وتمكن من اعادة توحيد الدولة الأيوبية في مصر والشام «٢٤» • وقد تعرضت مصر لغزو صليبي قاده ملك فرنسا لويس التاسع عام ٦٤٧ هـ أي قبيل وفـاة الصالح أيوب الذي خلفه ابنه توران‌شاه • وقد احتل الجيش الصليبي مدينة دمياط ثم دخل مدينة المنصورة التي تقع في شمال القاهرة وقد واجه الجيش الصليبي مقاومة عنيفة من قبل قوات المماليك التي هزمت الصليبيين وزادت معنويات المسلمين بوصول توران‌شاه الى مصر قادماً من الشـام وتمكن المسلمين من القضاء على القوات الصليبية المتراجعة الى دمياط وقد وقـع الملك لويس التاسع في الأسر ، وانسحب الصليبيين من مصر وأطلق سراح الملك الفرنسي مقابل دفع فدية «٢٥» • وقـد تعرض السلطـان الأيوبي توران‌شاه الى الاغتيال في بداية عام ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م على يد قادة الجيش من المماليك وبالاتفاق مع شجرة الدر أرملة الصالح أيوب والد توران‌شاه • وتولت شجرة الدر حكم مصر لمدة ثمانين يوماً «٢٦» • وقد عارض حكم شجرة الدر الأمراء الأيوبيين في الشام والخليفة العباسي الأخير مما اضطر شجرة الدر الى التنازل عن الحكم بعد ان تزوجت من عز الدين ايبك قائد المماليك الذي تولى السلطنة عام ٦٤٨ هـ وبذلك انتهت الدولـة الأيوبيـة وحلت مكانها دولة المماليك في مصر والشام • لقد كان العهد الأيوبي عموماً

عهد اصلاحات ادارية وعمرانية وتحسنت أوضاع البلاد وأنقـذ الأيوبيين مصر من خطر الاحتلال الصليبي وقامـوا بدور كبير في تحريـر أراضي واسعة في الشام من الاحتلال الصليبي وأعادوا الى مصر مذاهب السنـة وكان الأيوبيين مخلصين للخلافة العباسية في بغـداد واهتم الأيوبيين في تقوية الجيش وكانوا يشترون الرقيق من الأتراك الذين سمـوا بالمماليك لأنهم مملكون لقادتهم الأيوبيين وكونوا من المماليك جيشهم «٢٧» • مما أدى الى تطلع قادة المماليك الى حكم مصر والشام لذلك قتلـوا السلطان الأيوبي الأخير توران شاه في سنة ١٢٥٠ م وجعل المماليك من أنفسهـم طبقة عسكرية حاكمة بيدها السلطة والامتيازات المختلفة •

٣ ـ العـــلاقات بين العراق ومصر خلال الفترة ٤٦٥ ـ ٦٥٦هـ / ١٠٧٣ ـ ١٢٥٨م :

يلاحظ بأن العلاقات العدائية بين الفاطميين والعباسيين قد أصابهـا الجمود والانكماش وذلك يرجع الى تدهور أوضاع الدولة الفاطمية وتقلص حدودها في العصر الفاطمي الثاني من جهة وتسلط السلاجقة على الخلافة العباسية من جهـة أخرى وثم حـدوث الصراع بين السلاجقة والخلفـاء العباسيين الذين أخذوا يستعيدون سلطتهم السياسية في العراق لذلك لم تحدث وقائع بارزة في الصراع العباسي الفاطمي حتى القضاء على الخلافة الفاطمية من قبل صلاح الدين الأيوبي الذي أعلن ولائه للعباسيين • أما عن موقف الخلافتين الفاطمية والعباسية تجاه الغزو الصليبي لبلاد الشام الذي أبتدأ عام ٤٩١ ء / ١٠٩٧ م فقد كان على العموم ضعيفاً بالنظر للأوضاع

الداخلية لكلا الخلافتين «٢٨» . كما ان السلاجقة وهم أكبر قوة اسلاميه في المشرق أصابهم التفكك والصراع الداخلي بعد وفاة السلطان السلجوقي ملكشاه عام ١٠٩٢ م لذلك لم تكن هناك أي قوة اسلامية قادرة على مواجهة الصليبيين الذين احتلوا القدس وأجزاء واسعة من الشام وقاموا بمذابح عديدة ضد المسلمين خاصة في القدس . وقد بدأت المقاومة الاسلامية للغزاة الصليبيين من قبل عماد الدين زنكي حاكم الموصل ٥٢١ ــ ٥٤١ ه وابنه نور الدين محمود ٥٤١ ــ ٥٦٩ ه الذي ضم حلب الى حكمه واستطاعت الدولة الزنكية تحرير بعض الأراضي من الصليبيين «٢٩» . ثم تولى صلاح الدين الأيوبي ٥٦٩ ــ ٥٨٩ ه قيادة حركة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين وأنزل بهم ضربات قوية واستمر حكام الدولة الأيوبية بمحاربة الصليبيين واسترجاع الأراضي المحتلة حتى ضعف الصليبيين وانعزلوا في مناطق صغيره من فلسطين ولبنان وقضى عليهم نهائياً عام ١٢٩٢ م من قبل المماليك الذين تولوا حكم مصر والشام بعد الأيوبيين «٣٠» . أما بالنسبة للغزو المغولي الذي تعرض له المشرق الاسلامي في منتصف القرن السابع الهجري ، فلم تكن هناك أي قوة اسلامية في المشرق قادرة على مجابهة المغول بسبب ضعف الخلافة العباسية وكثرة دول الطوائف التعادية فيما بينها وفقدان روح الجهاد الاسلامي «٣١» ، لذلك تمكن المغول من احتلال آسيا الوسطى الاسلامية وايران ثم العراق عام ٦٥٦ ه . وقد تقدم هولاكو واحتل شمال سوريا ومدينة حلب وكان قصده احتلال الشام ثم غزو مصر الا أن هولاكو توقف عن احتلال بلاد الشام ورجع بأكثر قواته الى آسيا الوسطى للمشاركة في

الحرب الأهلية الواسعة التي نشبت بين المغول حول اقتسام الامبراطورية على أثر وفاة الامبراطور مانكوخان في بداية عـام ١٢٦٠ م لذلك سلمت مصر من الخطر المغولي وبقيت قوة مغولية صغيرة تقدر بعشرة آلاف جندي في الشام وقد تمكن المماليك حكام مصر والشام من جمع قوات اسلامية كبيرة تقدر بأكثر من ٦٠ ألف رجل واشتبكت هذه القوات مع المغول في معركة عين جالوت في أيلول ١٢٦٠ م وتم النصر للمسلمين وتحررت الشام من المغول «٣٢» ، وبعد احتلال المغول للعراق عام ١٢٥٨ م وقيام دولـه المماليك في عام ١٢٥٠ م ، بدأت مرحلة جديدة في تاريخ العـراق ومصر كانت العلاقات بين القطرين في جوهرها علاقات بين حكومات أجنبية تحكم كـلا القطريـن •

٤ ـ احوال العراق خلال الفترة ٦٥٦ ـ ٩١٤هـ / ١٢٥٨ ـ ١٥٠٨م :

بعد الاحتلال المغولي لبغداد عام ١٢٥٨م فقد العراق مركزه الحضاري والقيادي في العالم الاسلامي ودخل في فترة احتلال أجنبي طويلة ومظلمه ، وصار العراق ولاية تابعة لدول أجنبية ، وأول هذه الدول هي الدولـه المغولية الايلخانية التي أنشأها هولاكو واتخذ من مدينة تبريز (في ايران) عاصمة له •

وقد حكمت الدولة الايلخانية العـراق خلال الفترة ٦٥٦ ـ ٧٣٦ هـ / ١٢٥٨ ـ ١٣٣٥ م كان يحكم العراق خلال هذه الفترة حاكم له صلاحيات واسعة مقابل تقديم المال لخزينة السلطان الايلخاني وكذلك القوات العسكرية عند الطلب ، ولكن سلطة الوالي كان يحدها السلطان الايلخاني بزياراته

للعراق حيث يقضي فصل الشتاء في بغداد ومراقبة المشرف الذي يرسله السلطان لمراقبة الأوضاع في العراق «٣٣» • وقد تحقق الأمن والاستقرار لفترة طويلة بسبب الخوف الذي أوقعه المغول بالسكان ، الا انه في النصف الثاني من العهد الايلخاني أخذ الأمن يتعرض للتعكير بسبب هجمات القبائل العربية والكردية على المدن والقرى ولجوئها الى الصحاري والأهوار والجبال عند مطاردتها من قبل المغول ، وكذلك الصراع على الحدود بين المغول والمماليك ، كما ان القوات المغولية كانت تثير المشاكل بسبب اعتداءاتها على السكان واطلاق المغول لحيواناتهم في المزارع «٣٤» • وعلى العموم فان الأمن كان مستقراً في هذا العهد وهذا أدى الى تحسن الأحوال التجارية وانتعاش المدن الكبيرة مثل بغداد والموصل والبصرة على الرغم من الضرائب العالية وقد اتجهت تجارة العراق الى الجهات الشرقية التابعة للمغول بينما كانت التجارة ضعيفة مع الجهات الغربية بسبب الصراع بين المغول والمماليك •

أما من الناحية الثقافية فان المغول لكونهم وثنيين فقد تركوا السكان أحراراً من الناحية الدينية والمذهبية لذلك انتعشت الدراسات الفلسفية والعلمية الى جانب العلوم الدينية «٣٥» • وأما أعلام الفكر والأدب في هذا العهد فكان هناك الكثير منهم • وقد اعتنق المغول الدين الاسلامي في عهد السلطان محمود غازان ١٢٩٥ ــ ١٣٠٢ م «٣٦» • وبعد موت أبو سعيد آخر السلاطين المغول عام ١٣٣٥م ولم يكن له وريث لذلك حصل صراع بين أمراء المغول حول اقتسام ممتلكات الدولة الايلخانية • وقد

استطاع أحد الأمراء المغول وهو الشيخ حسن الجلائري من السيطرة على الأوضاع وتكوين دولة شملت العراق والأحواز وحاول حسن الجلائري ضم اذربيجان لكنه أخفق وكانت العاصمة في بداية العهد الجلائري بغداد ثم انتقلت العاصمة الى تبريز ، واستمر الحكم الجلائري للعراق خلال الفترة ٧٣٦ ــ ٨١٤ هـ / ١٣٣٦ ــ ١٤١١ م • لقد كان العهد الجلائري زمن صراع مسلح مستمر بين الأمراء الجلائريين حول السلطة وكذلك مع الدول المجاورة •

وعندما مات حسن الجلائري عام ٧٥٧هـ خلفه في الحكم ابنه الشيخ أويس الذي أخضع أذربيجان وقبيلة الخروف الأسود التركمانيه ، وقد اهتم أويس بتعمير مدينة بغداد بعد التدمير الذي أصابها من جراء الحروب العديدة «٣٧» • وبعد موت أويس عام ٧٧٦هـ حصل صراع شديد على الحكم بين أولاده الخمسة واستقر الحكم للأمير أحمد بن اويس الذي حكم ثلاثين عاماً ٧٨٤ ــ ٨١٣ هـ كان العراق في خلالها مسرحاً لصراع سياسي وحربي عنيف فقد ثار اخوة أحمد عليه بالتحالف مع قبيلة الخروف الأسود ثم تعرض العراق لغزو مغولي جديد بقيادة تيمور لنك عام ٧٩٥هـ/١٣٩٣م لكن تيمور لنك انسحب من العراق عام ٧٩٧هـ وعاد مرة أخرى لاحتلال العراق سنة ٨٠٣هـ حيث تعرض سكان بغداد للابادة التامة كما دمرت العديد من المباني «٣٨» • وخلال فترات احتلال تيمورلنك للعراق كان السلطان أحمد بن أويس يهرب ويرجع الى الحكم عندما ينسحب تيمورلنك وفي عام ٨٠٨ هـ عاد أحمد بن أويس الى العراق وضم الى حكمه اذربيجان ولكن قره

يوسف شيخ الخروف الأسود حاربه وقتله عام ٨١٣هـ وبذلك انتهت الدولة الجلائرية والتي كان عهدها يتصف بالفوضى الشاملة والحروب الكثيرة المدمرة وتدهور الأحوال العامة الى حد كبير •

وقد خضع العراق بعد الدولة الجلائرية الى حكم دولة القره قوينلو (الخراف السود) خلال الفترة ٨١٤ ــ ٨٧٣ هـ / ١٤١١ ــ ١٤٦٧ م والقره قوينلو قبيلة تركمانية كانت في خدمة السلطان أويس الجلائري ، وسكنت في مناطق شمال الموصل ودياربكر ثم استولت على أذربيجان وأرمينيا والموصل «٣٩» • وتعرضت قبيلة الخراف السود (القره قوينلو) الى غزو تيمورلنك منذ عام ٨٠٢هـ وهرب شيخها قره يوسف الى العثمانيين وعندما مات تيمورلنك سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٥م عاد قره يوسف الى قيادة قبيلته ودولته وحارب السلطان الجلائري أحمد بن أويس وقتله سنة ٨١٣هـ واحتل قره يوسف بغداد سنة ٨١٤هـ/١٤١١م من آخر الحكام الجلائريين ، وقد عين قره يوسف ابنه شاه محمد والياً عليها «٤٠» •وضمت دولة قره قوينلو العراق وأغلب أراضي ايران وبعد موت قره يوسف سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م حلت الفوضى بسبب الصراع بين أولاد قره يوسف وهجمات ابن تيمورلنك في شمال ايران • وقد استمر شاه محمد بن قره يوسف يحكم بغداد لمدة اثنين وعشرين عاماً ولكن سلطته لم تتعد مدينة بغداد لأن جنوب العراق سيطر عليه « المشعشع » أمير الحويزة والشمال يخضع لغيره من أمراء القره قوينلو • وقد احتل اسبان بن قره يوسف بغداد عام ٨٣٦هـ وقتل أخيه شاه محمد وفي سنة ٨٥٠هـ دخل جهان شاه بن قره يوسف بغداد وعين ابنه

وانياً عليها وأعاد توحيد دولة القره قوينلو وكان جهان شاه كثير الظلم والفساد وقد حاربه حسن الطويل شيخ قبيلة الاقوينلو وانتصر عليه سنه ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م وقضى على دولته «٤١» • وأصبح العراق تابعاً لدولة الآق قوينلو (الخراف البيض) خلال الفترة ٨٧٣ — ٩١٤ هـ / ١٤٦٧ — ١٥٠٨ م • والآقوينلو قبيلة تركمانية هاجرت من تركستان واستوطنت مناطق اذربيجان ثم ديار بكر • وتأسست دولة الخراف البيض عام ٨٠٦ هـ وكانت قبيلة الآقوينلو متحالفة مع تيمورلنك ومعادية لدولة القره قوينلو «٤٢» • وقد تعرضت قبيلة الخراف البيض الى القتل والسلب على يد جهان شاه سلطان القرهقوينلو • وفي حوالي سنة ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م برز من بين الآق قوينلو زعيم قوي هو حسن الطويل الذي نهض بالقبيلة وقتل منافسيه من اقاربه وسيطر على ادربيجان والموصل وأربيل وحارب دولة القرهقوينلو وانتصر عليها عام ٨٧٢ هـ واحتل بغداد في العام التالي واصبحت دولته تضم العراق واجزاء واسعة من ايران «٤٣» • وكانت علاقة حسن الطويل سيئة مع المماليك وكذلك مع العثمانيين الذين هزموه سنة ٨٧٨ هـ وتوفي حسن الطويل سنة ٨٨٢ هـ / ١٤٧٨ م وحلت الفوضى من بعده بسبب النزاع بين اولاده واقاربه مما ادى الى تفكك دولة الاقوينلو وفي هذا العهد استمرت سيطرة المشعشع امير الحويزة على جنوب العراق • وفي سنة ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م احتلت الدولة الصفوية الايرانية بغداد وهرب آخر ولاة الاق قوينلو وبذلك زالت دولة الخراف البيض «٤٤» •

لقد كان زمن حكم القره قوينلو والاقوينلو في العراق من أسوأ الفترات فقد كانت الحروب لاتنقطع بين افراد العوائل الحاكمة من جهة ومع الدول المجاورة من جهة اخرى لذلك تدهورت كافة نواحي الحياة ٠

وكانت مدينة تبريز في شمال غرب ايران عاصمة لدولتي الخراف السود والخراف البيض ٠ ان عهد دولتي المغول (الايلخانية والجلائرية) ودولتي التركمان (القرهقوينلو والاقوينلو) اتصف بفقدان الأمن والاستقرار فقد كان سكان المدن والقرى والتجار دائماً يتعرضون الى القتل والسلب والنهب والتدمير من قبل الجيوش المتحاربة بالاضافة الى غارات القبائل وقطاع الطرق لذلك كانت النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية سيئة جداً ٠ وفي عهد الاحتلال الفارسي الصفوي ١٥٠٨ ـ ١٥٣٤ م استمرت الأحوال السيئة وقد اتخذ الصفويين من ظاهرة التشيع ستاراً للاحتلال والعدوان واستعباد السكان وقتل الالاف منهم «٤٥» ٠ وقد اقتصر الاحتلال الصفوي على بغداد ووسط العراق لأن الشمال انتزعه العثمانيون من الصفويين سنة ١٥١٤ م والجنوب كانت تحكمه المشيخات العربية ٠ وفي عام ١٥٢٧ م قام احد القادة من الاكراد وهو ذو الفقاربك باغتيال الوالي الفارسي واستقل بحكم بغداد واعلن ولائه للسلطان العثماني ولكن الفرس دبروا اغتياله واعادوا احتلالهم لبغداد عام ١٥٢٩ م ٠

احوال مصر في عصر دولة المماليك ٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م :

بعد مقتل السلطان الايوبي الأخير توران شاه في سنة ١٢٥٠ م

سيطر المماليك على الحكم في مصر والشام•وقد جعل المماليك من انفسهم طبقة عسكرية حاكمة لها الامتيازات المختلفة ومنها الاقطاعيات العسكرية ، لقد كان المماليك منعزلين اجتماعياً عن السكان الذين عانوا من الأستغلال والاضطهاد على ايـدي المماليك ، كما قمعوا ثورات القبائل العربيـة بشدة وحرموا على العرب حمل الاسلحة «٤٦» •

وعلى الرغم من النزاعات المسلحة الكثيرة بـين امراء المماليـك المتنافسين على السلطة الا انهم كانوا كتلة واحـدة امام الرعية والـدول المجاورة «٤٧» • وتنقسم دولة المماليك الى فترتين الأولى تمتد من سنة ١٢٥٠ م الى ١٣٨٢ م كانت السلطة خلالها بيد المماليـك الترك او التتر واصلهم من تركستان والفترة الثانية لدولة المماليك ١٣٨٢ ـ ١٥١٧ م كان الحكم خلالها بيد المماليك الجراكسة (الكرج) واصلهم من بلاد جورجيا في غرب بحر قزويـن •

ان اول سلاطين دولـة المماليك الأولى هو السلطان المعز ايبـك ١٢٥٠ ـ ١٢٥٧ م الذي قتلته زوجته شجرة الدر وبدورها قتلت من قبل اتباع ايبك وسيطر على الحكم سيف الديـن قطز الذي قاد المماليك في محاربة المغول وابدي شجاعة فائقة وانتصر المسلمين في « عين جالوت » عام ١٢٦٠ م ولكـن قطز قتل غدراً من قبل القائد بيبرس الذي اصبح سلطاناً على دولة المماليك في مصر والشام والحجاز ١٢٦٠ ـ ١٢٧٧ م • ويعتبر الظاهر بيبرس من اكبر سلاطين المماليك لأنه وضع الاسس التـي استقرت عليها الدولـة وقام باصلاحات ادارية واقتصادية واجتماعيـة

عديدة واهتم ببناء المساجد والقلاع والمدارس كما حارب الصليبيين في فلسطين مرات عديدة وانتصر عليهم وحرر بعض الأراضي منهم كما صد النزوات المغولية على بلاد الشام وقد اقام بيبرس خلافة عباسية في مصر لكي يضفي طابع الشرعية الدينية على سلطته ودولته ولكن الخليفة العباسي بمصر لم تكن له اية سلطة سياسية سوى السيادة الدينية ، كما ان فكرة الخلافة فقدت جاذبيتها الجماهيرية في عهد المماليك «٤٨» •

لقد اهتم الظاهر بيبرس بتحقيق الأمن والاستقرار لذلك ازدهرت الأحوال في عهدة ، وأصبحت القاهرة في مركز الصدارة الحضارية والسياسية في العالم العربي والاسلامي على الرغم من ان الحضارة الاسلامية اصابها للتقليد والجمود منذ عدة قرون • وبعد وفاة بيبرس خلفه في السلطنة ابنه بركة خان ١٢٧٧ ـ ١٢٧٩ م الا ان الامراء نازعوه وخلعوه من الحكم «٤٩» • وقد استقر الحكم للأمير سيف الدين قلاوون ١٢٧٩ ـ ١٢٨٩ م الذي اهتم بضبط امور المملكة كما اكثر من شراء المماليك وانجز بعض الاعمال العمرانية • واستمر بمحاربة الصليبيين وحرر طرابلس واللاذقية منهم وابعد اذى المغول عن الشام «٥٠» • وخلفه ابنه السلطان الأشرف خليل ١٢٨٩ ـ ١٢٩٣ م الذي حارب الصليبيين وقضى على معقلهم الأخير في عكا ، وكانت سياسة خليل قاسية تجاه الأمراء والقادة لذلك تآمروا عليه وقتلوه «٥١» ، وخلفه اخيه السلطان الناصر محمد بن قلاوون ١٢٩٣ ـ ١٣٤٠ م وقد واجه محمد بن قلاوون تآمر بعض الامراء لذلك عزل سنة ١٢٩٤ م وتمكن من العودة الى

الحكم سنة ١٢٩٨ م ولكن المؤامرات والمنافسات بين قادة المماليك حول الحكم استمرت ، واضطر السلطان محمد بن قلاوون الى ترك الحكم سنة ١٣٠٨ م والهرب الى الشام «٥٢» •

وقد استمر النزاع على السلطة بين الأمراء وساءت الأحوال العامة لذلك اضطر قادة المماليك الى اعادة محمد بن قلاوون الى السلطنة عام ١٣٠٩ م واستقر له الحكم في سلطنته الثالثة التي استمرت الى وفاته عام ١٣٤٠ م «٥٣» •

واستقرت الأحوال السياسية والاقتصادية ويعتبر عهد الناصر محمد ابن قلاوون من افضل العهود الحضارية لدولة المماليك وقام بأعمال عمرانية عديدة من مساجد وجسور والمدرسة الناصرية وبعد وفاته خلفه في الحكم أولاده واحفاده لمدة اربعين سنة ساءت في عهدهم الأوضاع السياسية والأمنية بسبب كثرة المؤامرات والصراعات على السلطة كما ساءت الحالة الاقتصادية التي تتمثل بالجوع والفقر والغلاء والبطالة • وقد تعرضت مدينة الاسكندرية الى احتلال صليبي عام ١٣٦٥ م قام به ملك قبرص وقتل الصليبيين عدة الاف من السكان واسروا الباقين ونهبوا الاموال وخربوا واحرقوا الأسواق والمساجد والدور ولم يصل جيش المماليك الا بعد انسحاب الصليبيين القبارصة «٥٤» • لقد استمر الصراع على الحكم حتى تمكن المملوك « برقوق » الجركسي الاصل من الاستيلاء على السلطة سنة ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م وتأسيس دولة المماليك الثانية التي ساد فيها العنصر الجركسي •

ان اهم خصائص دولة المماليك الجراكسة يتمثل بانحدار الأوضاع العامة الاسياسية والأمنية والاقتصادية والحضارية نحو الأسوء ويرجع ذلـك الى زيادة الفتن والثورات ومنها انتفاضات القبائل العربية وغاراتها على المدن والصراع العنيف بين امراء المماليك حول الحكم وتعرض البـــلاد الى المجاعات والامراض الوبائية وتضاعف استبداد المماليك واستغلالهم للفلاحين والطبقة العامة ، كما تعرضت بـلاد الشام الى غزو تيمورلنـك التدميري وغـارات قراصنة البحر الصليبيين على المـدن الساحلية فـي الشام ومصر بالاضافة الى تدهور الحالة المـالية في اواخر عهد المماليـك على اثـر انقطاع موارد التجارة نتيجة سيطرة البرتغاليين عـلى تجـارة الهند مع اوربا كل هذه الظروف ادت الى تدهور احوال مصر والشـام في عهد دولة المماليك الثانية «٥٥» •

واول السلاطين في الفترة الثانية هو السلطان الظاهر سيف الديـن برقوق ١٣٨٢ ــ ١٣٩٩ م الذي جابه استمرار المؤامرات وثورة امـــراء المماليك في الشام سنة ١٣٨٩ م والذين توجهوا بقواتهم الى مصر ممـا اضطر برقوق الى الهرب واستطاع من جمع قواته وانصاره وهزم اعدائه في سنة ١٣٩٠ م واستقر له الحكم في مصر والشام وصمد امام تهديدات تيمورلنك المغولي الذي احتل ايران والعراق ولمـا توفي برقوق خلفـه في الحكم ابنه السلطان فرج ١٣٩٩ ــ ١٤١٢ م الذي لم يقاوم احتلال تيمورلنك لمـدن حلب ودمشق عام ١٤٠٠ م وهرب السلطان فرج الـى القاهرة ، وعندما انتصر تيمورلنك على الدولة العثمانية واسـر السلطان

بايزيد الاول في سنة ١٤٠٢ م سارع السلطان فرج الى تقديم الأموال والولاء لتيمورلنك الذي اكتفى بذلك ورجع الى مقر دولته في اسيا الوسطى ، ولما مات تيمورلنك سنة ١٤٠٥ م زال خطر دولته على دولة المماليك «٥٦» . وقد ساءت سمعة السلطان فرج لرضوخه لتيمورلنك وزادت الدسائس والمؤامرات بين الأمراء مما اجبره على التحلي عن الحكم في سنة ١٤٠٥ م ولكنه عاد الى السلطة في العام التالي وتنازل مرة اخرى في عام ١٤١٢ م وقتل في نفس السنة «٥٧» .

وقد استمر النزاع بين قادة المماليك على السلطنة حتى استقر الحكم للسلطان « برسباي » ١٤٢٢ ـ ١٤٣٨ م الذي حقق الاستقرار ووجه جهوده نحو فتح جزيرة قبرص التي تنطلق منها غارات الصليبيين البحرية على المدن الساحلية في مصر والشام وقد وجه ثلاث حملات بحرية استطاعت الحملة الثالثة منها في سنة ١٤٢٦ من اخضاع جزيرة قبرص وجلب الغنائم والأسرى الى مصر «٥٨» . وقد توفي برسباي والبلاد تعاني من الجوع والغلاء وخلفه ابنه العزيز يوسف الذي عزله القائد جقمق وتولى الحكم السلطان الظاهر سيف الدين جقمق ١٤٣٨ ـ ١٤٥٣ م الذي قضى على تمرد بعض الامراء وحاول فتح جزيرة رودس في البحر الابيض المتوسط والتي اتخذها القراصنة الصليبيين معقلاً لهم ، الا ان الحملات الثلاثة التي ووجها الى رودس في خلال الفترة ١٤٤٠ ـ ١٤٤٤ فشلت في تحقيق اهدافها لذلك استمرت الحرب البحرية بين المسلمين والمسيحيين في البحر الأبيض

المتوسط «٥٩» • وبعد وفاة جقمق سنة ١٤٥٣ م حلت مرحلة فوضى سياسية وتنافس بين القادة حتى استقر الحكم للسلطان الاشرف سيف الدين قايتباي في سنة ١٤٦٨ م • وقد قمع قيتباي الثورات التي اندلعت في عهدة وحارب الدول التركمانية في شمال شرق الشام وتمكن من تأمين حدود الشام «٦٠» • واهتم قايتباي بالعمران وبنى عدد من المساجد والمدارس وصرف الاموال والضرائب الباهضة التي جمعها على تقويه الجيش والعمران ولكن الحالة المعاشية والصحية تدهورت في اواخر عهده لذلك تنازل عن الحكم عام ١٤٩٦ م « ٦١» •

وقد حدث تنافس ونزاع بين قادة المماليك على السلطة وتمكن قانصوه الغوري ان يستلم الحكم في سنة ١٥٠١ م وحقق الاستقرار ولكنه اشتط في جمع الضرائب من اجل سد الضائقة المالية التي حلت بدولة المماليك بسبب انقطاع التجارة التي تمر عبر مصر الى اوربا وذلك لأن البرتغاليين سيطروا على تجارة التوابل الهندية وقطعوا الطريق التجاري البحري عبر البحر الاحمر ومصر وتحول الطريق التجاري بين الهند واوربا الى راس الرجاء الصالح في جنوب افريقيا وقد ادى ذلك الى انهيار الحالة المالية لدولة المماليك «٦٢» • وحاول السلطان قانصوه الغوري محاربة الأساطيل البرتغالية في المحيط الهندي بالتعاون مع اهل اليمن الا ان محاولاته لم تنجح لذلك زادت الحاله المالية سوءاً •

اما الخطر الرئيسي الذي واجهه المماليك فكان من جانب الدولة العثمانية التي اصبحت منذ اواخر القرن الخامس عشر اقوى الدول الاسلامية وكان للعثمانيين طموحات توسعية بعيدة المدى في البلاد

العربية وقد احس بذلك المماليك مما ادى الى توتر في العلاقات بين الطرفين وحدثت عدة صدامات مسلحة بين العثمانيين والمماليك «٦٣» .

وقد قاد السلطان العثماني سليم الأول جيشاً كبيراً الى الشام سنة ١٥١٦ م والتقى بجيش المماليك بقيادة السلطان قانصوه الغوري في معركة مرج دابق وحلت الهزيمة بجيش المماليك وقتل قانصوه الغوري ويرجع سبب انتصار العثمانيين الى حماسهم وتنظيم جيشهم وسلاح المدفعية الذي لايوجد منه عند المماليك بالأضافة الى فقدان المماليك صفاتهم العسكرية منذ مدة طويلة كما حدثت خيانة في صفوف المماليك في ساحة المعركة «٦٤» .

وقد اكمل السلطان العثماني احتلال الشام وتوجه الى مصر وهناك حاول سلطان المماليك الأخير طومان باي المقاومة الا انه فشل وقتل سنة ١٥١٧ وبذلك سقطت دولة المماليك وصارت مصر والشام والحجاز تابعة للدولة العثمانية .

العلاقات بين القطرين خلال الفترة ٦٥٦ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٨ ـ ١٥١٧م :

ان العلاقات بين العراق ومصر في هذه الفتره صارت في جوهرها علاقات بين حكومات اجنبية في كلا البلدين وذلك لأن الدول التي تعاقبت على حكم العراق وهي دول الا يلخانيين والجلائريين والقرهقوينلو والآق‌قوينلو وكذلك دولة المماليك الأتراك والجراكسة التي حكمت مصر والشام ، كانت جميع هذه الدول غير عربية لذلك اصبحت العلاقات

بين حكومات اجنبية وهي على العموم علاقات عدائية بسبب النزاع على الحدود بين الدول التي حكمت العراق ودولة المماليك وقد حدثت معارك عديدة بين هذه الدول في الشام ومنطقة الجزيرة الفراتية • اما الصلات الحضارية في هذه الفترة فهي صلات ضعيفة ، وقد رحل بعض الأدباء والكتاب الى الشام ومصر بسبب الأضطراب السياسي في العراق وعدم اهتمام الحكام الأجانب بالعلم والأدب «٦٥» •

لقد كانت الدولة المغولية الأيلخانية التي تحكم العراق في حالة عداء مع المماليك وكانت هناك غارات كثيرة متبادلة على المناطق القريبة من الحدود بين العراق والشام ، ومن ذلك غارة قام بها المماليك والقبائل العربية المتحالفة معهم على الموصل في سنة ١٢٨٥ م «٦٦» •

ولما اعتنق السلطان الأيلخاني احمد بن هولاكو الدين الاسلامي حاول تحسين العلاقات مع دولة المماليك الا ان المغول ثاروا على احمد بن هولاكو وقتلوه ونصبوا سلطاناً وثنياً «٦٧» • وعندما اعتنق السلطان الايلخاني محمود غازان الدين الاسلامي على المذهب الشيعي اتخذ الصراع بين المغول والمماليك السنة غطاءً طائفياً ، وفي سنة ١٢٩٩ م قام غازان بغزو الشام وهزم المماليك واحتل مدينة دمشق ثم انسحب الى ايران وفي سنة ١٣٠٢ حدثت الحرب مرة اخرى بين جيش المغول بقيادة غازان والمماليك بقيادة السلطان محمد بن قلاوون وانتصر المماليك في هذه المعركة «٦٨» • وقد ظلت العلاقات متوترة مما ادى الى تعطيل التجارة والسفر وفي عهد السلطان الايلخاني الأخير ابو سعيد ١٣١٤ ـ ١٣٣٥ م

تحسنت العلاقات وحل السلام بين الدولتين الايلخانية والمملوكية «٦٩» .

وفي عهد الدولة الجلائرية التي حكمت العراق بعد الدولة الايلخانية كانت العلاقات على مايبدوا جيدة فقد بعث السلطان الجلائري حسين بن اويس في سنة ٧٨٣ هـ وفداً الى السلطان المصري برقوق الذي رحب بالوفد «٧٠» . ولما احتل تيمورلنك بغداد في سنة ٧٩٥ هـ هرب السلطان الجلائري احمد بن اويس الى مصر ولقي الترحيب والتكريم من قبل السلطان برقوق «٧١» .

ولما توفي برقوق وخلفه في حكم دولة المماليك ابنه السلطان فرج لم يقبل الأخير لجوء احمد بن اويس وقره يوسف شيخ القرهقوينلو الهاربان من تيمورلنك ، وقد اضطر الرجلان الى اللجوء عند السلطان العثماني بايزيد الأول وذلك في سنة ٨٠٢ هـ «٧٢» . ثم رجع احمد بن اويس الى بغداد سنة ٨٠٥ هـ ولكنه هرب مرة اخرى والتجأ الى السلطان فرج الذي سجنه خوفاً من تيمورلنك ولما مات الأخير سنة ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م اطلق سراح احمد بن اويس ورجع الى الحكم سنة ٨٠٨ هـ .

وفي عهد دولة القرهقوينلو (الخراف السود) التي حكمت العراق بعد الجلائريين كانت العلاقة سيئة مع المماليك ، وكان قره يوسف قائد القرهقوينلو قد هرب مع احمد بن اويس الى الشام سنة ٨٠٢ هـ ولم يقبل السلطان فرج لجوئهما وذلك تجنباً لشر تيمورلنك واضطرا الى اللجوء عند السلطان العثماني بايزيد الأول . ولما مات تيمورلنك عاد يوسف الى حاكم القرهقوينلو سنة ٨٠٥ هـ وتحارب مع احمد بن اويس

بسبب التصادم السياسي بين دولتي قره يوسف واحمد بن اويس حول حكم العراق واذربيجان ومناطق اخرى ، وقد هرب احمد بن اويس الى الشام خوفاً من قره يوسف ثم لجأ قره يوسف نفسه الى الشام وذلك هرباً من جيش ميران شاه بن تيمورلنك في سنة ٨٠٦ هـ • وقد سجن كل من احمد بن اويس وقره يوسف من قبل الأمير المملوكي شيخ المحمودي ثم اطلق سراحهما بعد وفاة تيمورلنك سنة ٨٠٧ هـ وتفكك دولته «٧٣» ، وقد رجع قره يوسف الى حكم دولة (قبيلة) الخروف الاسود وقضى على احمد بن اويس سنة ٨١٣ هـ • وكانت العلاقة سيئة بين دولتي الخروف الاسود والمماليك بسبب النزاع على منطقة شمال شرق الشام وحدثت عدة معارك غير حاسمة بين الطرفين «٧٤» •

اما دولة الاق قوينلو (الخروف الأبيض) التي تولت حكم العراق بعد دولة القره قوينلو فقد كانت علاقتها ايضاً عدائية مع المماليك ولنفس الاسباب المارة الذكر • وفي سنة ٨٧٧ هـ / ١٤٧٢ م أغار حسن الطويل سلطان دولة الاق قوينلو على منطقة حلب ولكنه انسحب عندما أرسل اليه السلطان المملوكي قايتباي جيشاً لطرده «٧٥» • وعندما اضطربت اوضاع دولة الاق قوينلو بعد موت حسن الطويل سنة ٨٨٣ هـ / ١٤٧٨ م حاول القائد لمملوكي « يشبك » في سنة ٨٨٥ هـ ان يحتل بعض أملاك دولة الاق قوينلو في شمال الشام الا انه هزم وقتل على يد حاكم مدينة الرها التابع للاق قوينلو ثم عقد الصلح بين الطرفين ، لمواجهة الدولة العثمانية الخصم المشترك للمماليك والاق قوينلو «٧٦» •

وعندما ظهرت الدولة الصفوية في ايران واحتلت العراق سنة ١٥٠٨ م اتخذت من الطائفية ستاراً للتوسع وكذلك لمجابهة غريمتها الدولة العثمانية • وقد حدث تقارب وتحالف بين الصفويين (الشيعة) والمماليك (السنة) ضد الخصم المشترك الدولة العثمانية (السنية) «٧٧» • الا ان السلطان العثماني سليم الأول هزم الصفويين سنة ١٥١٤ م وانتزع منهم شمال العراق ثم هزم المماليك وقضى على دولتهم سنة ١٥١٧ م واحتل الشام ومصر والحجاز • وفي سنة ٩٤١ هـ / ١٥٣٤ م احتل العثمانيين بغداد وطردوا المحتلين الفرس وبذلك صار العراق والشام ومصر والحجاز ولايات تابعة للدولة التركية العثمانية •

هوامش الباب الثاني

١ ـ هوامش الفصل الاول :

١ ـ ثابت اسماعيل الراوي : العراق في العصر الاموي ، ص ٢٩ .

٢ ـ المصدر السابق : ص ١٠٤ ـ ١٠٩

٣ ـ الدكتور علي ابراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى ص ٤٤ ـ ٤٥

٤ ـ المصدر السابق ص ٥١

٥ ـ يوليوس فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية ، نقله عن الالمانية دكتور محمد عبد الهادي ابو ريدة . ص ٤٦

٦ ـ المصدر السابق . ص ٨٩

٧ ـ الدكتور علي حسني الخربوطلي : تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي . ص ٩

٨ ـ الشيخ محمد الخضري : تاريخ الامم الاسلامية ، الجزء الثاني ص ٤٤ .

٩ ـ الدكتور حسين قاسم العزيز : موجز تاريخ العرب والاسلام ص ١٥٨ .

١٠ـ يوليوس فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص ٤٠

١١ـ الخربوطلي : مصدر سابق ص ٢٠٢

١٢ـ الدكتور عبد الله الفياص : محاضرات في تاريخ صدر الاسلام والدولة الاموية . ص ٤٧ .

١٣- الخربوطلي ، مصدر سابق ص ٣٠ . وابن الكازروني ، مختصر التاريخ ص ٧٢ .

١٤- الخربوطلي ، مصدر سابق ص ٣٠

١٥- د. حسين قاسم العزيز ، مصدر سابق ص ١٦٢

١٦- المصدر السابق ص ١٦٢ وعبد الله الفياض ، مصدر سابق ص٥١

١٧- المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الجـــزء الثاني ص ٣٨٤ .

١٨- فلهوزن ، مصدر ســـابق ص ٧٤ ، وثابت اسماعيل الراوي، مصدر سابق ص ٣٨ .

١٩- الخربوطلي ، مصدر سابق ، ص ٤٤ و الراوي مصدر ســـابق ص ٤٠ - ٤١ .

٢٠- فلهوزن ، مصدر سابق ص ٧٩ والشيخ الخضري ، مصدر سابق ص ٧٣ - ٧٤ .

٢١- فلهوزن ، مصدر سابق ص ٩٧ - ٩٨

٢٢- الخربوطلي ، مصدد سابق ص ٦٦ - ٧٤

٢٣- فلهوزن مصدر سابق ص ٨٨ - ٨٩

٢٤- المصدر السابق ص ٨٩

٢٥- المصدر السابق ص ٩٣ والمسعودي ، مروج الذهب ، الجـــزء الثاني ص ٤٢٠ .

٢٦- باقر شريف القرشي ، الامام الحسين بن علي ، الجزء الثالث ص ١٧ .

٢٧ـ ثابت الراوي ، مصدر سابق ص ٤٢ – ٤٣

٢٨ـ المصدر السابق ص ١٥٦ – ١٦١

٢٩ـ فلهوزن ، مصدر سابق ص ١١٠ ـ ١١٢

٣٠ـ ثابت الراوي ، مصدر سابق ص ٢٤٦ ـ ٢٥٤

٣١ـ عبد الله الفياض ، مصدر سابق ص ١٠٨

٣٢ـ الدكتور عبد المنعم الماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية الجزء الثاني ص ١٣٥ فما بعد .

٣٣ـ ثابت الراوي ، مصدر سابق ص ١٨٦ فما بعد

٣٤ـ فلهوزن مصدر سابق ص ٢٢٥ ـ ٢٢٣

٣٥ـ ثابت اسماعيل الراوي ، مصدر سابق ص ٥

٣٦ـ المصدر السابق ص ٢٥٨ وفلهوزن ص ٥١٢ ـ ٥١٣

٢٧ـ المسعودي ، مروج جـ ٣ ص ٩٧

٣٨ـ علي ابراهيم حسن ، مصر في العصور الوسطى ص ٥٩ – ٦١

٣٩ـ عبد المجيد الكبيسي ، عصر هشام بن عبد الملك ص ٢٦٥ ـ ٢٦٧

٤٠ـ عبد المنعم ماجد ، مصدر سابق ص ٣٣٧

٤١ـ علي ابراهيم حسن ، مصدر سابق ص ٥٨

٤٢ـ رمزية عبد الوهاب الخيرو : ادارة العراق في صدر الاسلام ص ١١٤ .

٤٣ـ الدكتور فاروق عمر ، العباسيون الاوائل الجزء الاول ص ٣٤ ـ ٣٩ .

٤٤ـ فاروق عمر ، طبيعة الدعوة العباسية ص ١٣٨ – ١٣٩

٤٥ـ الشيخ محمد الخضري ، تاريخ الامم الاسـلامية (الدولة العباسية) ص ٣٦ .

٤٦ـ المسعودي ، مروج الذهب الجزء الثالث ص ٢٦٠ .

٤٧ـ فاروق عمر ، العباسيون الأوائل الجزء الثاني ص ١٤

٤٨ـ حسن فاضل العاني ، سياسة المنصور ابي جعفر الداخلية والخارجية ص ٥ .

٤٩ـ جاك . س . ريسلر ، الحضارة العربية ، ترجمة غنيم عبدون ص ١٣٩ ـ ١٤١ .

٥٠ـ الدكتور صالح احمد العلي وزملائه ، تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، ص ٣٠٥ ، ص ٣٣١ ، ص ٣٥٧ بغداد ١٩٧٣ .

٥١ـ على ابراهيم حسن ، مصدر سابق ص ٦٢

٥٢ـ المصدر السابق ص ٦٢

٥٣ـ المصدر السابق ص ٦٣

٥٤ـ المسعودي ، مروج جـ ٤ ص ٤٠٢ و الخضري مصدر سابق ص ٢٢٦ .

٥٥ـ علي ابراهيم حسن ، مصدر سابق ص ٦٤

٥٦ـ صالح احمد العلي ، مصدر سابق ص ٢٩٧ وعبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ص ١٧٦ .

٥٧ـ فاروق عمر فوزي ، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ص ٦٩ ، ط ٢ .

٥٨ـ المسعودي ، مروج الجزء الرابع ص ٢١١

٥٩ـ فاروق عمر ، الخلافـة العباسـية في عصر الفوضى العسكرية ص ٨٤ ـ ٨٥ .

٦٠ـ علي ابراهيم حسن ، مصدر سابق ص ٦٨ فما بعد

٦١ـ المصدر السابق ص ٨٣

٦٢ـ المسعودي ، مروج الجزء الرابع ص ٣١٠

٦٣ـ علي ابراهيم حسن المصدر السابق ص ٩٩ ـ ١٠٠

٦٤ـ المصدر السابق ص ٧٧

٦٥ـ الخضري ، تاريخ الامم الاسلامية (الدولة العباسية) ص ٣١٢

٦٦ـ علي ابراهيم حسن مصدر سابق ص ٨٢

٦٧ـ دكتور محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصـــر ص ٥٤ ـ ٥٥ .

٦٨ـ انظـر كتـاب (المتنبي مـالىء الدنيـا وشاغـل النـاس) الصادر عن مهرجان المتنبي ـ بغـداد ١٩٧٧ ص ١٢١ ـ ١٢٩

٦٩ـ عبد الغني الملاح ، المتنبي يسترد أباه ص ٢٠٣.

٧٠ـ عمر بن محمد بن يوسف الكندي ، فضائل مصر ص ٢٨ ـ ٣١

٧١ـ الكندي المصدر السابق ص ٦٩

٧٢ـ المصدر السابق ص ٦٧

٧٣ـ ابن الفقيه الهمداني ، بغـداد مدينة السـلام ، تحقيـــق صالح احمد العلي ص ٢٢ ، ص ٦٧ ، ٨٣ .

٧٤ـ المسعودي ، مروج الجزء الثالث ص ٣٣٩

٧٥ـ ابن الفقيه الهمداني ، المصدر السابق ص ٦٨ ، ص ٦٢ ، ص ٧٢

٧٦- المسعودي ، مروج الجزء الثالث ص ٣٣٩

٢ - هوامش الفصل الثاني :

١ - الدكتور محمد حسين الزبيـــدي ، العراق في العصر البويهي ص ٢٩ - ٣١ .

٢ - فاروق عمر فوزي ، الخـــلافة العباســـية في عصر الفوضى العسكرية ص ٢٣٠ .

٣ - الزبيدي ، مصدر سابق ص ٣٨

٤ - الخضري ، تاريخ الامم الاســـلامية (الدولة العباســـية) الخامس الهجري ص ٢٠ - ٢١ .

٥ - الدكتور فاضل الخالدي ، الحياة السياسية في العراق في القرن الخامس الهجري ص ٢٠ - ٢١ .

٦ - صالح احمد العلي وزملائه ، مصدر سابق ص ١٢٢

٧ - الزبيدي ، مصدر سابق ص ١٢٢

٨ - ادم متز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، المجلد الأول ص ١٩٥ .

٩ - ادم متز ، مصدر سابق ص ١٢٩

١٠- الزبيدي ، مصدر سابق ص ٤٠

١١- ادم متز ، مصدر سابق مجلد الاول ص ١٣٣

١٢- محمد جمال الدين سرور ، الدولة الفاطمية في مصر ص ١٦

١٣- سرور ، مصدر سابق ص ١٧ وعلي ابراهيم حسن ، مصر في العصور الوسطى ص ١٠٧ .

١٤ـ سرور ، مصدر سابق ص ١٨ ـ ٢٠ وعلي ابراهيم حسن ، مصدر سابق ص ١٠٨ .

١٥ـ سرور ، مصدر سابق ص ٢٠

١٦ـ سرور ، مصدر سابق ص ٢٣

١٧ـ علي ابراهيم حسن ، مصدر سابق ص ١٠٩

١٨ـ سرور ، مصدر سابق ص ٦٢ و د . حامد غنيم أبو سعيد : العلاقات العربية السياسية في عصر البويهيين ص ٤٩ .

١٩ـ علي ابراهيم حسن ، مصدر سابق ص ١٢١

٢٠ـ المصدر السابق ص ١٠٤ و د. أحمد سعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الأسر الحاكمة الجزء الاول ص١٣١ـ١٣٢

٢١ـ احمد سعيد سليمان ، مصدر سابق ص ١٣١ ـ ١٣٢ وحامد غنيم أبو سعيد مصدر سابق ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .

٢٢ـ علي ابراهيم حسن ، مصدر سابق ص ١٢٦

٢٣ـ سرور ، مصدر سابق ص ٨٦ ـ ٩٠

٢٤ـ عن القرامطة وحروبهم مع الفاطميين انظر كتاب « أعداء العرب التقليديون » للاستاذ الكبير خيرالله طلفاح ص ٤٦ ـ ٧٣ .

٢٥ـ علي ابراهيم حسن ، مصدر سابق ص ١٤٤

٢٦ـ المصدر السابق ص ١٤٥ .

٢٧ـ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الجزء الخامس ص ١٥ ـ ١٧ ومحمد عمارة ، عندما اصبحت مصر عربية ص ١٦١ بيروت ٩٧٤ .

٢٨- ابن تغري بردي ، النجــوم الزاهرة ، الجزء الخامس ص ١٥ وسرور مصدر سابق ص١٠٣-١٠٧

٢٩- الدكتور عبد القادر احمد اليوسف ، العـــلاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ص ٢٣ .

٣٠- محمد عمارة ، عندما أصبحت مصر عربية ص ١٦٥

٣١- حامد غنيم أبو سعيد ، العلاقات العربية مصدر سابق ص ١٣٨

٣٢- المصدر السابق ص ١٣٢ وفاضل الخالدي ، مصدر سابق ص ٧٣

٣٣- محمد جمال الدين سرور ، سياسة الفاطميين الخارجية ص١٧٣

٣٤- حامد غنيم أبو سعيد ، ص ١٣٧

٣٥- فاضل الخالدي مصدر سابق ص ٧٥ - ٧٦ وسرور ، سياسة الفاطميين ص ١٧٣ .

٣٦- فاضل الخالدي ص ٧٦ - ٧٨

٣٧- المصدر السابق ص ٨١ - ٨٢ وحامد غنيم أبو سعيد ص ١٣٤

٣٨- سرور ، سياسة الفاطميين ص ١٨١ وحامد غنيم أبو سعيد ص ١٦٧ .

٣٩- سرور ، المصدر السابق ص ١٨٢ وفاضل الخالدي ص٩٩-١٠١

٤٠- حامد غنيم أبو سعيد ص ١١٩

٤١- المصدر السابق ص ١٢٧ - ١٢٨

٤٢- فاضل الخالدي ص ١٠٤ وسرور ، سياسة الفاطميين ص ١٨٥

٤٣- فاضل الخالدي ص ١٠٩

٤٤- حامد غنيم أبو سعيد ص ٢٠٢ وسرور ، سياســـة الفاطميين الخارجية ص ١٩٣ .

٤٥ـ فاضل الخالدي ص ١٢٠ ـ ١٢١

٤٦ـ الخضري ، تاريخ الامم (الدولة العباسية) ص ٤٢٣

٤٧ـ الخضري ص ٤٢٣ وسرور ، سياسة الفاطميين ص ٢٠٢

٤٨ـ سرور ، المصدر السابق ص ٢٠٢ وحامد غنيم ابو سعيد ص٢٢٠

٤٩ـ عبد القادر احمد اليوسف مصدر سابق ص ١٨

٥٠ـ حامد غنيم ابو سعيد ص ١٠٣

٥١ـ سرور ، الدولة الفاطمية في مصر ص ٩٦ ـ ٩٧

٥٢ـ حامد غنيم ابو سعيد ص ١٢١

٥٣ـ سرور ، سياسة الفاطميين الخارجية ص ٢٠٣ وحامد غنيم ابو سعيد ص ٢١٢ ـ ٢١٤ .

٥٤ـ سرور ، الدولة الفاطمية ص ١٠٤

٥٥ـ سرور ، المصدر السابق ص ١٠٥

٥٦ـ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، الجزء الثامن ص١١٥ ـ ١١٧

٥٧ـ ابن الأثير ، المصدر السابق ص ١١٧ وسرور ، الدولة الفاطمية ص ١٠٥ وعلي ابراهيم حسن مصدر سابق ص ١٤٨ .

٥٨ـ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ـ الجزء الثامن ص ١١٧ وابن تغري بردي النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة الجزء الخامس ص ١٥ .

٥٩ـ ابن الأثير المصدر السابق ص ١١٧ وابن تغري يردي ، المصدر السابق ص ٢١ ـ ٢٢ .

٦٠ـ سرور ، سياسة الفاطميين الخارجية ص ٢١٤ ـ ٢١٥ .

٣ ـ هوامش الفصل الثالث :

١ ـ فاضل الخالدي ، الحياة السياسية في العراق ص ١٦٢ .

٢ ـ المصدر السابق ص ١٦٤ ـ ١٦٥

٣ ـ عبد القادر احمد اليوسف ، العلاقات بين الشرق والغرب ص ٢١ ـ ٢٢ .

٤ ـ صالح أحمد العلي وزملائه : تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ص ٧٣ وفاضل الخالدي ص ١٨٣ ـ ١٨٤ .

٥ ـ دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ص ٣٧ .

٦ ـ سعيد عبد الفتاح عاشور ، ظل الخلافة العباسية في الحروب الصليبية (من ابحاث المؤتمر الدولي للتاريخ والاثار المنعقد ببغداد ١٩٧٣) والابحاث نشرت في كتاب ضخم أصدرته وزارة الاعلام العراقية عام ١٩٧٤ ص ١٦٩ .

٧ ـ ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، د . مصطفى جواد ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

٨ ـ ابن الكازروني ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ والخضري تاريخ الامم الاسلامية (الدولة العباسية) ص ٤٦٣ .

٩ ـ بدري محمد فهد ، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ص ٣٣ وسعيد عبد الفتاح عاشور ، ظل الخلافة العباسية مصدر سابق ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .

١٠- الخضري ، المصدر السابق ص ٤٧٩ .

١١- عبد القادر احمد اليوسف ، مصدر سابق ص ١٩٥

١٢- بدري محمد فهد ، مصدر سابق ص ٩٧

١٣- الدكتور جعفر حسين خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانيين ص ١٢ - ١٣ .

١٤- المصدر السابق ص ٣ وأحمد سعيد سليمان ، تاريخ الــدول الاسلامية الجزء الثاني ص ٤٧٣ .

١٦- الدكتور محمد مفيد آل ياسين ، الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري ص ٣٢٧ .

١٧- ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة الجزء الخامس ص ٨٣ وعبد القادر احمد اليوسف ص ٢٣ .

١٨- محمد جمال الدين سرور ، الدولة الفاطمية ص ١٢٥

١٩- سرور ، المصدر السابق ص ١٣٢

٢٠- علي ابراهيم حسن ، مصر في العصور الوسطى ص ١٨٢

٢١- سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر والشام في عهد الأيوبيــــين والمماليك ص ٦٩ .

٢٢- المصدر السابق ص ٨٢

٢٣- المصدر السابق ص ٩٢

٢٤- المصدر السابق ص ١٠٦ وعلي ابراهيم حسن ص ١٩٦

٢٥- عبد القادر احمد اليوسف ص ١٨٦

٢٦- المصدر السابق ص ٢٠٦ وبدري محمد فهد ، تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ص ٣٧ .

٢٧ـ سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر والشام ص ١٥٢ وعلي ابراهيم حسن ص ٢٠٣ .

٢٨ـ سعيد عبد الفتاح عاشور ، ظل الخلافة العباسية في الحروب الصليبية ص ١٦٥ .

٢٩ـ عبد القادر أحمد اليوسف ص ١٠٩ ـ ١١١

٣٠ـ علي ابراهيم حسن ، ص ٢١٥

٣١ـ جعفر حسين خصباك ، مصدر سابق ص ٤

٣٢ـ المصدر السبق ص ١٨ ـ ١٩

٣٣ـ المصدر السابق ص ٨٠

٣٤ـ المصدر السابق ص ٨٦

٣٥ـ محمد مفيد آل ياسين ، الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري ص ٣٢٧ .

٣٦ـ أحمد سعيد سليمان ، تاريخ الدول الاسلامية . الجزء الثاني ص ٥٢٢ .

٣٧ـ عبد الله بن فتح الله الغياثي ، تاريخ الغياثي . الفصل الخامس ٦٥٦ ـ ٨٩١هـ / ١٢٥٨ ـ ١٤٨٦م تحقيق طارق نافع الحمداني ص ٩٠ ـ ٩١ .

٣٨ـ الغياثي ، مصدر سابق ص ١٢٦ ـ ١٢٧

٣٩ـ المصدر السابق ص ٢٣٧ واحمد سعيد سليمان تاريخ الدول الأسلامية الجزء الثاني ص ٥٣٥ .

٤٠ـ الغياثي ، المصدر السابق ص ٢٤٦ ـ ٢٥٢ واحمد سعيد سليمان مصدر سابق ص ٥٣٦ .

٤١ـ الفياثي ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨

٤٢ـ احمد سعيد سليمان المصدر السابق ص ٥٣٨

٤٣ـ الفياثي ص ٣٨٣

٤٤ـ احمد سعيد سليمان ص ٥٤١

٤٥ـ حسن السوداني ، دماء على نهر الكرخا ص ١٢٩

٤٦ـ د. حسين مؤنس ، عودة العربي الى مكانه في التاريخ (مقالة في كتاب وماذا بعد اكتوبر) القاهرة ١٩٧٤ .

٤٧ـ علي ابراهيم حسن مصدر سابق ص ٢٠٣

٤٨ـ جعفر حسين خصباك ، مصدر سابق ص ٧٨

٤٩ـ سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر والشام في عهد ص ١٨٨

٥٠ـ عبد القادر احمد اليوسف ، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧

٥١ـ علي ابراهيم حسن ، مصر في العصور الوسطى ص ٢١٥

٥٢ـ عاشور ، مصر والشام ص ٢١٠

٥٣ـ المصدر السابق ص ٢١٤

٥٤ـ المصدر السابق ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ وعبد القادر احمد اليوسف ص ٢٣٦ .

٥٥ـ علي ابراهيم حسن ص ٣٣٦

٥٦ـ عبد القادر احمد اليوسف ص ٢٤٦

٥٧ـ الفياثي ص ٣٥٣

٥٨ـ علي ابراهيم حسن ٣٣٦

٥٩ـ المصدر السابق ص ٣٣٨ عبد القادر احمد اليوسف ص ٢٤٠.

٦٠ـ عاشور ، مصر والشام ص ٢٤٦ — ٢٤٧.

٦١ـ المصدر السابق ص ٢٤٩.

٦٢ـ المصدر السابق ص ٢٥٤.

٦٣ـ علي ابراهيم حسن ص ٣٣٩.

٦٤ـ المصدر السابق ص ٣٣٩، وعاشور ، مصر والشام ص ٢٦٠ـ٢٦٤.

٦٥ـ عباس العزاوي ، تاريخ الأدب العربي في العراق . الجزء الأول ص ٤٨ — ٤٩ .

٦٦ـ جعفر حسين خصباك ،ص ١٤٦

٦٧ـ علي أبراهيم حسن ص ٣٢٠

٦٨ـ جعفر حسين خصباك ص ١٤٦ وعبد القادر احمد اليوسف ص ٢٢٦. .

٦٩ـ علي ابراهيم حسن ص ٣٢٤

٧٠ـ الغياثي ، مصدر سابق ص ١٠٠

٧١ـ الغياثي ص ١١٦ — ١١٧

٧٢ـ الدكتور حكيم امين عبد السيد ، قيام دولة المماليك الثانية ص ١٣١، القاهرة ١٩٦٧ .

٧٣ـ الغياثي ، ص ١٣١

٧٤ـ سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر الشام ص ٢٤٥. — ٢٤٦.

٧٥ـ الغياثي ص ٣٨٧.

٧٦ـ عاشور ، مصر والشام ص ٢٤٧.

٧٧ـ عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين الجزء الرابع ص ١٧. وعلي ابراهيم حسن ، مصدر سابق ص ٣٤٠ .

الباب الثالث

العلاقات العراقية ـ المصرية في العصر الحديث

١٥٠٠ ـ ١٩١٤ م

الفصل الاول

العلاقات خلال الفترة ١٥١٧ ـ ١٧٩٨ م / ٩٢٣ ـ ١٢١٣ هـ

توطئة :

قبل التطرق الى اوضاع مصر والعراق في العهد العثماني لابد من بحث اصل العثمانيين ونشوء دولتهم وتوسعها واحتلالها للبلاد العربية من العراق شرقاً الى الجزائر غرباً ، حيث أصبحت هذه الأقاليم العربية الواسعة خاضعة لدولة محتلة واحدة تتخذ من الدين الاسلامي والمذهب السني غطاءاً لأخفاء طابع الأحتلال والأستعمار مثلما فعلت ايران الصفويه عندما احتلت العراق في بداية القرن السادس عشر الميلادي واتخذت من مذهب الشيعة ستاراً للتوسع والأستعمار والأستبعاد ولذلك يعتبر هذا النوع من الأحتلال أخطر بكثير من الأستعمار الأوربي لأن الأستعمار العثماني التركي والاستعمار الايراني الفارسي يغطي حقيقة البشعة برفع الشعارات الدينية والطائفية مما يؤدي الى اخفاء أغراضه عن السكان العرب المنقسمين مذهبياً وخاصة الفئات الجاهلة التي تنخدع بالشعارات والدعاية الطائفية عدا العناصر الانتهازية التي لايهمها مصلحة العرب بل مصلحتها الخاصة عن طريق خدمة المحتلين وجعل الطائفية والتعصب المذهبي حرفة للأرتزاق ووسيلة للحصول على النفوذ والجاه ، بينما الأستعمار الأوربي مكشوف وتناقضه الديني مع العرب واضح لذلك تسهل مقاومته .

كانت بلاد الأناضول او شبه جزيرة اسيا الصغرى خاضعة لحكم الدولة البيزنطية وعاصمتها القسطنطينية وأغلب السكان كانوا من العناصر الأوربية المسيحية وخاصة من اليونانيين . وفي النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي قام السلاجقة الأتراك بعمليات توغل عسكري واستيطاني واسع في شرق الأناضول وقد حاولت الدولة البيزنطية اجلاء السلاجقة عن اسيا الصغرى ولكنها انهزمت في معركة ملازكرت سنة ١٠٧١ م امام السلاجقة بقيادة السلطان الب ارسلان . وقد أدت الهزيمة البيزنطيه الى تدفق موجات كثيرة من القبائل التركية وتوغلت هذه القبائل في معظم انحاء اسيا الصغرى . وقد حكمت دولة سلاجقة الروم (سلاجقة اسيا الصغرى) اغلب مناطق الأناضول وكانت في حالة حرب مع البيزنطيين وتمكنت من التوسع علي حسابهم . وفي منتصف القرن الثالث عشر الميلادي تدفقت على الأناضول قبائل تركية عديدة جائت من مناطق اسيا الوسطى هاربة من الزحف المغولي «١» ، ومن بين هذه القبائل (القبيلة العثمانية) التي استوطنت في الجهات الشمالية الغربية من الأناضول ، وسميت باسم رئيسها عثمان ابن أرطغرل الذي حكم القبيلة خلال الفترة ١٢٨٨ – ١٣٢٦ م .

وقد اتصفت الأحوال السياسية في بلاد الأناضول بالفوضى خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر ، كما ان الدولة البيزنطية التي بقى لها منطقة صغيرة في غرب الأناضول ، كانت

في حالة ضعف وانحطاط شامل • وقـد استغل عثمان بن أرطغرل هذه الظروف واخـذ يتوسع على حساب اراضي البيزنطيين باسم الجهاد الاسلامي ومحاربة الكفار «٢» ، كما عمل على ضم الامارات التركية المجاورة الى دولته • وسار على نهج عثمان ابنه أورخان ١٣٢٦ ــ ١٣٦٠ م الذي وسع الأمارة العثمانية بفتح مـدن بيزنطية عديـدة مثل بروصة ونيقية ونيقوميديا وضمت هذه المدن الى الأمارة العثمانية التي شملت غرب الأناضول وبعض المناطق الأوربية حـول العاصمة البيزنطية مثل مدينة غاليبولي • ولم يجابه العثمانيون أيـة مقاومة تذكر بسبب انحطاط وتفسخ الدولـة البيزنطية وضعف معنويات السـكان المسيحيين اليونانيين «٣» •

وكان العثمانيون يأخـذون الصبيان المسيحيين من أهلهـم بالقوة ويربوهم تربية عسكرية واسلامية ويضموهم الى الجيش العثماني التركي وبذلك أصبح هؤلاء قوة عسكرية مخلصة للسلطان العثماني لأنهم غير مرتبطين بأحـد غيره وقـد صـار الجيش العثماني جيشاً كبير العـدد ومحترف للقتال ويسمى بالجيش الانكشاري وبواسطة هـذا الجيش أسس العثمانيون امبراطوريتهم الواسعة ، وقـد منح السلطان الانكشارية اقطاعيات زراعية عسكرية يعتاشون على مواردها مقابل الخدمة العسكرية عند دعوة الدولة لهم والالتحاق بالجيش الدائـم •

وقـد جاء بعد أورخان ابنه السلطان مراد الأول ١٣٦٠ ــ ١٣٨٩ م الـذي فتح مدينة أدرنـة وجعلهـا عاصمة للعثمانيين حتى فتـح

القسطنطينية «٤» .

وقد وسع مراد الدولة العثمانية بفتح بلغاريا ومقدونيا وصربيا في البلقان وأصبحت حدود الدولة العثمانية تمتد من نهر الدانوب غرباً الى جبال طوروس شرقاً ويرجع هذا التوسع الكبير الى عدم وجود مقاومة تذكر بسبب انقسام السكان المسيحيين ونزاعاتهم فيما بينهم والحماس الديني للعثمانيين ودافع الغنيمة ، وقد تحول الكثير من المسيحيين في الأناضول الى الدين الأسلامي .

ولما جاء السلطان بايزيد الأول الى الحكم سنة ١٣٨٩ م استمر في التوسع وأكمل سيطرة العثمانيين على اسيا الصغرى كما أحتل كل المناطق المحيطة بالعاصمة البيزنطية « القسطنطينية » . وعندما تحدى السلطان بايزيد الفاتح المغولي الكبير تيمورلنك زحف الأخير الى الأناضول وهزم جيش بايزيد في معركة أنقرة سنة ١٤٠٢ م ومات بايزيد في الأسر «٥» . وتفككت الدولة العثمانية وانقسمت مناطقها بين اولاده . وقد حدث صراع مسلح بين ابناء بايزيد خلال الفترة ١٤٠٣ ـ ١٤١٣ م حتى استطاع الأبن الأصغر محمد من القضاء على اخوته واعادة توحيد الدولة العثمانية الى سابق حدودها . ولا شك ان انسحاب تيمورلنك وعدم استغلال البيزنطيين فترة الحرب الاهلية التي مرت بها لدولة العثمانية بعد معركة أنقرة ، مكن الدولة العثمانية من البقاء وثم التوسع في البلقان

وقد وسع السلطان مراد الثاني ١٤٢١ ـ ١٤٥١ م الدولة العثمانية

في القسم الأوربي وذلك بفتح مدينة سالونيك وضم اجزاء من بلاد اليونان والبانيا الى دولته ودحر المجريين في سنة ١٤٤٤ م • ولما جاء السلطان محمد الثاني الى الحكم اهتم بفتح مدينة القسطنطينية ، وفرض عليها حصار بري وبحري ودك اجزاء من اسوار المدينة بالمدفعية وتمكن من فتحها سنة ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م «٦» ، وبذلك زالت الدولة البيزنطية من الوجود بعد تاريخ طويل دام اكثر من الف عام •

لقد اثار سقوط القسطنطينية شعوب ودول اوربا ونبهها الى الخطر العثماني الا ان انشغال الأوربيين بالنزاعات فيما بينهم مكن الأتراك العثمانيين من الأستمرار في التوسع في منطقة البلقان التي اصبحت خاضعة للدولة العثمانية كما استطاع محمد الفاتح من القضاء على امارة القرمانيين الأتراك في اسيا الصغرى واحكم السيطرة العثمانية على الأناضول وضم شبه جزيرة القرم في شمال البحر الاسود الى دولته وجعل القسطنطينية (استانبول) عاصمة للامبراطورية العثمانية وعامل السكان المسيحيين معاملة جيدة نسبياً •

ولم يحدث توسع في عهد السلطان بايزيد الثاني ١٤٨١ — ١٥١٢ لنزعته المسالمة وخلفة ابنه سليم ١٥١٢ — ١٥٢٠ م وكان السلطان سليم متحمساً في حقل الحروب والتوسع في الجهات الشرقية والجنوبية للأناضول وصمم على مجابهة الخطر الصفوي الأيراني وقد اباد عدة آلاف من الشيعة الموالين للصفويين في شرق الأناضول «٧» • واستطاع سليم ان ينتصر على جيش الشاه اسماعيل الصفوي في معركة جالديران

عام ١٥١٤ م واحتل مدينة تبريز عاصمة الشاه وضم سليم مناطق شـمال غرب ايران وشمال العراق الى دولته • وقـد اخـد الصراع السياسـي بـين الدولتين العثمانية والصفوية طابعاً مذهبياً ولذلـك فرر السلطان سليم احتلال المشرق العربي بهدف تطويق الدولـة الصفوية بالأضافـة الى المغانم الأقتصادية والسياسية التي يجنيها العثمانيون من وراء ضـم المشرق العربي الى دولتهم • وقـد توجه السلطان سـليم الى احتـلال الشام ومصر والقضاء على دولة المماليك المتحالفة مـع الصفويين وخسر المماليك معركة مرج دابق سنة ١٥١٦ واحتل الجيش العثماني الشام ثـم زحف نحو مصر واحتلها سنة ١٥١٧ م ومـد سليم سيطرته الى الحجاز وبذلك اصبحت معظم اقاليم المشرق العربي تابعة للدولة العثمانية وصـار السلطان العثماني يعتبر زعيماً دينياً وسياسياً للعالـم الاسلامي بعـد زوال الخلافـة العباسية الأسمية ني مصر على أثـر القضاء على دولـة المماليـك •

وقـد وصلت الدولـة العثمانية الى نهاية توسعها في عهد السلطان سليمان القانون ١٥٢٠ ـ ١٥٦٦ م فلقـد احتل الجيش العثماني مدينة بلغراد وجزيرة رودس وهزم المجريـين وحاصـر مدينة فينا عاصمـة الامبراطورية النمساوية في عام ١٥٢٩ م • وقـد اصبحت مناطق شمال افريقية ماعدا مراكش تابعة للدولـة التركية العثمانية ، وتعاون المسلمين في شمال افريقية مـع القوات العثمانية لصد الغزو الأوربي الصليبي في البر والبحر ونجح العثمانيون في اواخر القرن السادس عشر الميلادي في

ابعاد الأوربيين وخاصة الاسبان والبرتغاليين عن شمال افريقية • اما في اسيا فقد زحف الجيش العثماني بقيادة السلطان سليمان نحو العراق سنة ١٥٣٤ م وطرد المحتلين الفرس الصفويين وقد امتد النفوذ العثماني الى مناطق اليمن والخليج العربي ، كما تمكن العثمانيون من منع البرتغاليين من الابحار في البحر الأحمر الا ان محاولاتهم لطرد البرتغاليين من الخليج والبحر العربي لم يكتب لها النجاح «٨» •

احوال العراق في العهد العثماني ١٥٣٤ – ١٧٤٩ م / ٩٤١ – ١١٦٣هـ

في سنة ١٥٠٨ احتلت الدولة الفارسية الصفوية بقيادة الشاه اسماعيل الصفوي العراق ، وقضت على دولة الاق قوينلو (الخروف الأبيض) وقد اتبع الشاه اسماعيل سياسة طائفية عنيفة فقد قتل واضطهد عشرات الالاف من السكان السنة «٩» ، تحت اللافتة الطائفية الشيعية ونهبت ثروات البلاد •

لقد اقتصرت السيطرة الفارسية الفعلية على المناطق الوسطى من العراق لأن الجنوب كان تحت حكم مشيخة المنتفق العربية والشمال انتزعه السلطان العثماني سليم سنة ١٥١٤ م على اثر انتصاره في معركة جالديران على الصفويين ولما كان سكان العراق يتكونون من أديان وطوائف وقوميات عديدة فقد استغل ذلك الطامعين باحتلال العراق من الصفويين والعثمانيين متخذين من الادعائات الطائفية غطاءً لأطماعهم التوسعية • ان تعسف وطغيان المحتلين الصفويين جعل السكان السنة

خاصة في بغداد يطلبون من السلطان العثماني سليمان القانوني ارسال جيشه لطرد الفرس • وكان السلطان مهتماً باحتلال العراق بالنظر لموقعه الجغرافي وثرواته ومراقده الدينية وكذلك ضرب الدولة الصفوية وتحجيم قوتها وبعد ان استتب السلم على الحدود العثمانية الأوربية • بدأ السلطان سليمان بالتحرك على رأس جيش كبير فاحتل مدينة تبريز ومناطق شمال غرب ايران ثم اتجه الى بغداد ودخلها في نهاية سنة ١٥٣٤ م بدون مقاومة لأن الوالي الفارسي هرب قبل وصول الجيش العثماني • وقد اتبع السلطان سليمان سياسة احترام كافة الطوائف الدينية وزار كربلاء والنجف وامر بانشاء بعض مشاريع الري وسد يحمي مدينة كربلاء من الفيضانات «١٠» • وقد رحب بعض السكان السنة بالحكم العثماني أما الشيعة فقد اضطروا الى القبول بالسلطة العثمانية اما الغالبية العظمى من السكان وهم من القبائل فلم يهتموا بالاحتلال الأجنبي او لم يقاوموه مادام لايتدخل في امورهم الداخلية وقد ترك السلطان العثماني حاميات عسكرية في المدن الكبيرة •

لقد تمثلت السيطرة العثمانية بالخطبة للسلطان والسكة والضرائب التي يدفعها سكان المدن • اما العشائر فقد كانت في الغالب في حالة ثورة ضد الحكام العثمانيين بهدف التخلص من دفع الضرائب والواقع ان السلطة العثمانية لم تكن موجودة الا في المدن التي توجد بها قوات عسكرية (انكشارية) •

لقـد قسم العثمانيون العـراق الى أربـع ولايات هي شهر زور (كردستان) والموصل وبغداد والبصرة والحقت بالعراق ولاية الاحساء (الخليج العربي) •

وكان الوالي عـلى رأس السلطة في الولايـة يساعده الكتخـدا (الكهية) والدفتر دار (مسئول المـالية) والقاضي وقائد الانكشارية ، وكان الوالي يعين لفترة قصيرة تتراوح بين سنة وثلاث سنوات باستثناء بعض الولاة الأقوياء الذيـن استطاعوا ضبط الأمن وقمع ثورات القبائل ومقاومة الغزو الفارسي مثل والي بغداد حسن جديد باشا ١٧٠٤ ــ ١٧٢٣ وابنه أحمد باشا ١٧٢٣ ــ ١٧٤٧ م • ولم يكن يهم الولاة سوى جمـع الضرائب وارسالها الى العاصمة الاستانة وقمع ثورات القبائل • وكانت السلطة غير موجودة في مناطق الجبال والاهوار والبوادي • اما الحالـة الأمنية فقـد كانت سيئة خاصة في خارج المـدن حيث كانت الطرق غير آمنـــة •

وأما الحالة الثقافية فقد كانت الأمية والجهل والخرافات سائدة •

والأحوال الأقتصاديـة والأجتماعيـة تتصف بالتخلف والجمود ، وكانت الامراضـ الوبائية والفيضانات والمجاعات تفتك بعشرات الالاف من السكان من حين لاخـر ، أمـا ثورات العشائر ضد الحكام فكانت لاتنقطع •

لقـد استمر الصـراع العسكري بين ايـران الصفوية والدولـة العثمانية على المناطق الحدودية وفي اوائـل القرن السابع عشر الميـلادي

كانت الدولة العثمانية في حالة ضعف وتدهور والسلاطين كانــوا ضعفاء الشخصية منصرفين الى اللهو والفساد والثورات وحركات الاستقلال تعم ارجاء الامبراطوريــة التركية العثمانية لذلك تشجعت ايــران في عهــد الشاه عباس ١٥٨٧ ــ ١٦٢٩ م عــلى التوسع واحتلال بعض الأقاليـــم العثمانية ومنها العراق ٠

وفي عام ١٦٢٣ استولي على الحكم في بغداد قائــد الانكشاريــة « بكر الصوباشي » الــذي قتل الوالى الضعيف يوسف باشا ونكـــل بخصومه ومنهم مفتي بغداد «١١» ٠

وقــد أرسل الصوباشي الى السلطان العثماني يطلب منه اقــرار حكمه لبغداد الا ان الدولة العثمانية رفضت الطلب وأرسلت جيش بقيادة حافظ باشا للقضاء على الصوباشي لذلك أرسل بكر الصوباشي الى شاه ايــران عباس يطلب منه المجيء الى بغداد ، وسارع الشاه لأنتهاز هــذه الفرصة لاحتلال بغداد وقاد الشاه جيشاً كبيراً ٠ ولمــا رأى حافظ باشا قائد الجيش العثماني انــه غير قادر على القضاء على الصوباشي المتحصن بأسوار المدينة من جهة وقدوم الجيش الفارسي من جهة اخــرى لذلــك أقــر الصوباشي على حكم بغداد مقابل ولائه للسلطان العثماني ووافــق بكر على ذلك «١٢» ٠ وأرســل الصوباشي الى الشـــاه عباس يرجوه العودة الى ايــران لانتهاء المشكلة ولكــن الشاه رفض الرجوع لأنــه يريد احتلال العراق لذلك واصل زحفه وحاصر بغداد وتعرض سكانهــا الى المجاعة الشديدة ٠ وقــد تعرض بكر الصوباشي الى عملية غــدر

من جانب ابنـه محمد الذي تواطأ مع الشاه ضد أبيه وفتح أبواب المدينة للغزاة ودخل الجيش الفارسي بغـداد سنة ١٦٢٣ م / ١٠٣٣ هـ وقـد استباح الفرس المدينة وقتلوا عشرات الالاف من السكان السنة «١٣» • وهدمت بعض المراقـد الدينية ونهبت المدينة • وقـد اقتصر الاحتـلال الفارسي على بغداد وكربلاء والنجف، واستمر الاحتلال لـمده خمسـة عشـرة عاماً لـم يستفد منها العراق أيـة فائـدة بـل كانت من اسوأ الفترات ظلاماً في تاريخـه •

وقـد حاولت الدولة العثمانية استرجاع بغداد الا أن محاولاتهـا فشلت بسبب ضعف الامبراطورية وكثرة مشاكلها وفساد السلاطين حتى مجيء السلطان مراد الرابـع الى الحكم فبعد أن وطد سلطته بالقضـاء على عناصر الثورة اهتـم باعادة بغداد الى الحكم العثماني وقـد قـاد السلطان مراد الرابع جيشاً كبيراً في عام ١٦٣٨ م / ١٠٤٨ هـ وتوجـه نحو بغـداد وفرض حصاراً شديداً على المدينة ولـم تستطع ايـران بسبب تدهور أحوالها الداخلية من ارسال الجيوش لمساعدة حاميتها في بغـداد وتمكنت المدفعية العثمانية من فتـح ثغرات في اسوار المدينـة دخلت منها القوات العثمانيـة وقتلت حوالي ثلاثـين ألف جنـدي فارسي «١٤» • وأعـاد السلطان مراد تنظيم امور بغـداد • وفي عـام ١٦٣٩ م عقدت معاهدة زهاب التي رسمت الحدود بين الدولتين الفارسية والعثمانية • وقـد استمر السلم قائماً مـدة ثمانين عاماً وذلك يرجـع

الى انشغال الفرس بمشاكلهم الداخلية وانشغال العثمانين بحروبهم مع الدول الأوربية المجاورة .

لقد شهد القرن السابع عشر هجرات قبائل عربيه عديدة من شبة الجزيرة العربية الى العراق وكانت هناك مشايخ عربية في الجنوب مثل مشيخة المنتفق كما ظهرت امارات كردية في الشمال مثل امارة بابان ، وظهرت أسرة حاكمة في البصرة هي اسرة افراسياب في العقد الثاني من القرن السابع عشر وحتى سنة ١٦٦٩ م كانت تحكم البصرة بشكل شبه مستقل ، كما ظهرت اسرة الجليلي في الموصل في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . ان ظهور هذه المشايخ والامارات والأسر الحاكمة كان نتيجة لضعف الدولة العثمانية وقد عجزت الدولة العثمانية من اخضاع القبائل القوية وانعدم الأمن خارج المدن بسبب قطاع الطرق الذين يغيرون على القرى والأرياف ويعتدون على المسافرين والتجار ، وحتى في المدن كان الأمن مضطرباً في كثير من الفترات بسبب ضعف الولاة واستبدادهم وشغب الجند الأنكشاري والصراع بين أركان السلطة والفتن الطائفية والعصبية المحلية .

في الثلاثينات من القرن الثامن عشر الميلادي تعرض العراق الى غزو فارسي جديد قام به نادر شاه الذي حاصر بغداد عام ١٧٣٢ م وقام الوالي احمد باشا بقيادة الدفاع عن المدينة حتى جاء جيش عثماني بقيادة طوبال باشا وقد انهزم الفرس في تموز عام ١٧٣٣ وانسحب نادر شاه «١٥» ، ولكنه رجع الى غزو العراق ومحاولة احتلال بغداد في

شهر تشرين الأول من نفس السنة (١٧٣٣) وفرض الحصار على بغداد ولكنه انسحب على اثر وصول اخبار بقيام ثورة ضده في ايران لذلك عقد الصلح مع العثمانيين ورجع نادر شاه الى ايران في كانون الأول ١٧٣٣ • وفي عام ١٧٣٥ حاولت قواته احتلال البصرة الا انها فشلت • وفي سنة ١٧٤٣ عاد نادر شاه لغزو العراق واتجه بجيش كبير الى مدينة الموصل وضرب حصاراً شديداً عليها ، الا ان بسالة المدافعين بقيادة الوالي حسين الجليلي جعلت القوات الفارسية عاجزة من احتلال المدينة واضطر نادر شاه الى عقد الصلح والانسحاب بعد حصار دام أربعين يوماً للموصل «١٦» • كما رفع الحصار عن مدينة البصرة وانسحب جيش نادر شاه من الأراضي العراقية في سنة ١٧٤٣ • ولم تتحرك ايران بعد ذلك لغزو العراق الا في عام ١٧٧٥ •

لقد أدت الغزوات الفارسية والحصار الذي تعرضت له المدن العراقية الى تدهور الحالة الاقتصادية المتمثلة بالمجاعات التي مات من جرائها الالاف من السكان •

احوال مصر خلال العهد العثماني ١٥١٧ — ١٧٩٨ م / ٩٢٣ — ١٢١٣هـ

في بداية القرن السادس عشر الميلادي ظهرت المطامع التوسعية للدولة العثمانية في المنطقة العربية ، وقد حاولت دولة المماليك التي تحكم مصر والشام الوقوف بوجه التوسع العثماني بقيادة السلطان سليم الأول لذلك تحالف سلطان المماليك قانصوه الغوري مع الشاه اسماعيل الصفوي على الرغم من الاختلاف المذهبي بين المماليك والصفويين • ولما انتصر

السلطان سليم على ايران في معركة جالديران عام ١٥١٤م توجه في سنة ١٥١٦ الى الشام وانتصر على المماليك في معركة مرج دابق وقتل قانصوه الغوري فخلفه في السلطنة نائبه في مصر طومان باي الذي رفض العرض الذي قدمه السلطان سليم بأن يكون طومان باي واليا له على مصر «١٧» ولذلك زحف جيش السلطان سليم الى مصر واحتلها في اوائل سنة ١٥١٧م واعدم طومان باي . واصبحت مصر تابعة للدولة التركية العثمانية ، وقد عفى السلطان سليم عن بقايا المماليك ليستفاد منهم في ادارة مصر «١٨» ، ولم تقسم مصر الى عدة ولايات كما هي الحالة في العراق وانما اعتبرت ولاية واحدة يعين السلطان العثماني واليا عليها لمدة قصيرة تتراوح بين سنة وثلاث سنوات وقد حكم مصر خلال الفترة ١٥١٧ ــ ١٧٩٨ مئة والي «١٩» . وأغلب الولاة يتصفون بالجشع والاستبداد ولا يهمهم شيء سوى جمع الضرائب وارسالها الى السلطان مع الاستحواذ على مايمكن منها لأنفسهم . ولم تكن السلطة وادارة الولاية بيد الوالي وحده وانما يشاركه في السلطة قادة الحامية العثمانية (الوجاقات) وقادة المماليك «٢٠» ، وكثيراً مايحدث النزاع بين أركان الحكم حول السلطات والمناصب . وهناك عدد من كبار الموظفين يساعدون الوالي في الحكم مثل الكتخدا (مساعد الوالي) والدفتردار والقاضي ومسؤول الضرائب وغيرهم . وفي القرن الثامن عشر الميلادي صارت سلطة الوالي اسمية فقد كانت السلطة الفعلية في مصر خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر بأيدي قادة الحامية العثمانية «٢١» ،

وتتيجة للاستقرار السياسي وعدم تعرض مصر الى أي غزو خارجي منذ الفتح العثماني «٢٢» فقد ضعفت الصفات والقدرات العسكرية لأفراد الجيش الانكشاري وأخذوا يندمجون بفئات المجتمع المصري وهذا أدى الى تحول السلطة الفعلية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر الى أيدي قادة المماليك لأن المماليك كانوا يجددون عن طريق الشراء من اسواق الرقيق في القفقاس بالأضافة الى تعصب المماليك وعدم اختلاطهم بفئات المجتمع المصري •

لقد تميزت السلطة العثمانية في مصر بشدة سيطرتها على السكان بسبب التقسيم الأداري الدقيق لمناطق مصر ووجود ممثلين للسلطة في كل مدينة وقرية «٢٣» • وكانت معاملة الحكام للشعب سيئة للغاية حيث كانت الضرائب عالية خاصة في عهد المماليك بالأضافة الى اعمال السخرة وتجاوزات القوات الانكشارية والمماليك على الشعب •

أما الحالة الأقتصادية فقد كانت سيئة في أغلب فروع الأقتصاد فالأنتاج الزراعي يتسم بالأكتفاء الذاتي بسبب ارهاق الفلاح بالضرائب ونظام الاقطاع العسكري وغارات البدو على القرى «٢٤» • والتجارة ضعيفة بسبب سيطرة الأوربيين على الطرق البحرية وكذلك كثره الضرائب على التجار • أما الصناعة الحرفية فهي أيضاً كانت تعاني من التدهور بسبب التخلف الأقتصادي العام ، كما ان السلطان سليم الأول أخذ معه الى عاصمته (الأستانة) أصحاب الحرف والصناعات في القاهره «٢٥»•

وكانت المجاعات تحدث لأهمال شؤون الري كمجاعة عام ١٦٩٥ كما ان الأمراض الوبائية كالطاعون كانت تفتك بالسكان بين آونة

وأخرى • أمـا الحالة الثقافية فكانت تتسم بالجمود والتقليد وقد اندثرت أغلب العلوم الطبيعية ، أمـا الأدب خاصة في مجال القصة فقـد اتصف بالركة والتقليد والمبالغـة في التصورات الخيالية • وكانت الأمية تعـم الأغلبية الساحقة مـن المجتمع والخرافات والسحر والشعوذة وظاهـرة التصوف منتشرة بين فئات المجتمـع وخاصة الطبقة العامة «٢٦» ، كمـا زادت نسبة الفساد والتحلل الخلقي بسبب تدهور الأحوال الأقتصاديـة والأجتماعيـة وطغيان الحكام وانغماسهم في الفساد وجمع المـال بشتى الطرق واهمال اصلاح أحوال الناس والبـلاد •

ان ضعف الدولة العثمانية وهزائمها امام الدول الأوربية مثل روسيا والنمسا أدى الى فقدان سيطرتها الفعلية على معظم الولايات ومنها مصر والعراق ، فقـد سيطرت العصبيات المحلية عـلى السلطة وابقت الولاء الاسمي للسلطان مع ارسال الجزية السنوية • وفي اواسط القرن الثامـن عشر رجع قادة المماليك الـى السلطة الفعلية في مصر وذلـك لأن الوالي العثماني ابراهيم باشا ١٧٤٦ ـ ١٧٥٣ م اهتم بشراء المماليك وتدريبهـم والاعتماد على قوتهم العسكرية في حكـم البلاد «٢٧» • وبعد مـوت ابراهيم حدث صراع على السلطة بين زعماء المماليك حتى استولى المملوك علي بك الكبير ١٧٦٣ ـ ١٧٧٣ على السلطة •

أمـا الوالي العثماني فقد صار في الواقع اشبه بالمحجوز عليه في مقره الرسمي في القلعة ، يأتي الوالي الى القاهرة ويرجع الى العاصمـة

العثمانية بعد سنة تقريباً جالباً معه الجزية السنوية .

لقد تميز علي بـك الكبير بالطموح وعمـل على استغلال هزائـم الدولة العثمانية في حروبها مع روسيا ، فقد طرد الوالي العثماني وامتنع من ارسال الجزية «٢٨» . وتحالف علي بك مع روسيا القيصرية وظاهـر العمر حاكم فلسطين ضد الدولة العثمانية كما احتل الحجاز ، وفي سـنة ١٧٧١م زحف علي بك بقواته الى سوريا لأحتلالها بمساعدة الشيخ ظاهر العمر والاسطول الروسي في البحر الذي احتل مدينة بيروت ، الا ان قادة المماليك بزعامة محمد أبو الذهب ثـاروا على علي بك وانضموا الى الدولة العثمانية مما اجبر علي بك على العودة الى مصر لأعادة تنظيـم قواته وقـد خسر الحرب ضد خصومه بقيادة ابـو الذهب عام ١٧٧٣ م واسر وتوفي بعـد قليل «٢٩» . وكان علي بك الكبير قـد اهتم بتقوية الجيش وانشاء بعض الاعمال العمرانية من قلاع ومساجـد كما ضبط الأمن في الداخـل وفرض ضرائب باهضة على السكان من اجـل تغطية نفقات مشاريعه الحربية والعمرانية مما ادى الى تدهور الحالـة المعاشية لأغلبية السكان «٣٠» . لذلك لـم يكن لعلي بك تأييد شعبي خاصـة وانـه أبقى السلطة بأيدي المماليـك .

وبعد هزيمة علي بك عادت مصر الى الحكم العثماني الا ان السلطة الفعلية ظلت بأيدي قادة المماليك وكان اهم منصبين يتولاهما قادة المماليك هما منصب شيخ البلد (محافظ القاهرة) ومنصب أمير الحج ، وقبـل الاحتلال الفرنسي كان يحكم مصر قائدين متنافسين من المماليك همـا

ابراهيم بك ومراد بك وظلت اوضاع مصر العامة تتصف بالتخلف والجمود واستبداد الحكام المماليك الى مجيء الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨م

العلاقات بين العراق ومصر خلال الحكم العثماني ١٥١٧ — ١٧٩٨ م

في هذه الفترة اصبح كلا القطرين تابع الى دولة واحدة هي الامبراطورية العثمانية ، وتطبق في كلا البلدين نفس القوانين والنظم العثمانية ، وكان المفروض ان تقوى العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في هذه الفترة الا انها كانت ضعيفة جداً ، وذلك لأن اركان الحكم في العراق ومصر كانوا من الأتراك والمماليك ولم يكن يهم هؤلاء شيئاً سوى فرض السلطة العثمانية وجباية الضرائب وتحقيق مصالحهم الخاصة ، كما لم يحدث أي اتصال اجتماعي او سياسي بين شعبي البلدين . وعندما تنقل الحكومة العثمانية قوات عسكرية من الولايات العثمانية ومنها مصر الى العراق للمساعدة في الحرب ضد الفرس فان القوات المرسلة تكون من الاتراك «٣١» ، كما ان الوعي والشعور القومي العربي لم يكن له وجود وانما الشعور القبلي والطائفي والمحلي هو الذي يربط بين الأفراد ، اما العلاقات التجارية فكانت شبه منقطعة بسبب قلة الانتاج الزراعي والحرفي وسيطرة البدو على الطرق التجارية وتعدياتهم على التجار والمسافرين ، كما ان الجمود الثقافي وصعوبة المواصلات جعل سكان العراق لايعرفون شيئاً عن احوال مصر وكذلك اهل مصر فقد كانوا ايضاً لايعرفون شيئاً عن اخبار

العراق • وقـد دفعت حياة السلم في مصر بعض القوات الانكشاريـة العثمانية الى المجيء الى العراق ، حيث يوجد العمل العسكري بصورة دائمة سواء في الداخل مع القبائل او مـع ايـران «٣٢» •

ان العلاقات في هذه الفترة لـم يظهر خلالها اي حدث بارز على أي صعيد من العلاقات الاجتماعية ام السياسية ام الثقافية •

الفصل الثاني

العلاقات العراقية المصرية خلال الفترة ١٧٩٨ - ١٩١٤ م

١ - أوضاع العراق خلال الفترة ١٧٥٠ - ١٩١٤ م

عهد المماليك ١٧٥٠ - ١٨٣١م / ١١٦٣ - ١٢٤٦ هـ

ان اوضاع العـراق الأمنية المتدهوره نتيجة ثورات العشائـر والاعتداءات الايرانية المتكررة وقلة عدد القوات الحكومية (الانكشاريه) وشغبها وفقدانها الضبط العسكري ، كل هذه الظروف اضطرت والـي بغداد حسن باشا ١٧٠٤ ــ ١٧٢٣ الى شراء المماليك من القفقاس وتربيتهم تربية عسكرية واسلامية وجعلهم جيشه الخاص الـذي يعتمد عليـه في فرض سلطته «١» • وسار عـلى نهج حسن باشا ابنـه احمد باشـا ١٧٢٣ ــ ١٧٤٧ ولما توفى الوالي أحمد باشا صار للمماليك ثقل عسكري في العراق ولمـا كانوا غرباء عن المجتمع فقد كانوا متضامنين من اجـل السيطرة على الحكم في بغداد ، وقـد عينت الدولة العثمانية عـدداً من الولاة الأتراك الا ان هؤلاء فشلوا في ضبط الأمن في العراق لعـدم خبرتهم بشؤون العراق ومقاومة العشائر والمماليك «٢» • وقـد اضطر السـلطان العثماني الى تعيين ابـرز زعمـاء المماليك سليمان باشـا « أبـو ليلة » والياً على بغداد وشهر زور والبصرة أي اغلب اقسـام العراق ماعدا الموصل التي تحكمها الأسرة الجليلية •

لقد اصبح منصب الولاية في هذا العهد يمنح لأبرز القادة المماليك

الذي يتغلب على منافسيه ويدفع الأموال والهدايا للسلطان «٣» • وقد عجزت الدولة العثمانية في محاولاتها الرامية الى فرض والي على العراق من العاصمة الاستانة لذلك زاد التنافس بين قادة المماليك على الحكم الا انهم كانوا يطيعون الوالي القوي الذي يلبي طموحاتهم في المناصب والأموال ، وعلاقة المماليك مع اهل بغداد جيدة نسبياً

ان اول الولاة المماليك هو سليمان باشا (ابو ليلة) ١٧٥٠ — ١٧٦٢ م • لقد تميز سليمان ابو ليلة بالمقدرة والكفائة في ضبط الأمن وضرب العشائر الثائرة ، كما فرض طاعة الدولة على الأسر الحاكمة في السليمانية والموصل والمنتفق وكسب تأييد اهل بغداد لتحقيقه الاستقرار • وصار طريق بغداد — البصرة آمناً للمسافرين والتجار «٤» ، ووسع سليمان جيشه من المماليك وعين المماليك في مختلف المناصب الحكومية •

وبعد وفاة سليمان ابو ليلة تولى الحكم عدد من الولاة المماليك كان عهدهم يتصف بالفوضى والفساد وكثرة الثورات العشائرية ، وحدث صراع عنيف بين قاذة المماليك حول السلطة تورط فيه اهل بغداد وبعض العشائر العربية والكردية ، وقد حاولت الدولة العثمانية اعادة حكمها المباشر على العراق وضرب المماليك الا انها فشلت بسبب سوء أوضاعها وانشغالها بحروبها مع روسيا والنمسا • لقد تميزت الفترة ١٧٦٢ — ١٧٨٠ بالاضطراب السياسي وثورات العشائر «٥» ، وعجز المماليك من السيطرة على الأوضاع في البلاد ، وفي هذه الفترة المضطربة تعرضت مدينة

البصرة الى حصار ايراني في عام ١٧٧٥ م وفي العام التالي تمكّن الفرس من احتلال المدينة واستباحتها • ولـم يهتم ولاة بغداد بمساعدة البصرة وانقاذها من الفرس وذلك لأنشغالهم في الصراع حول الحكم ، كمـا ان الدولة العثمانية لم تستطع ارسال جيش لطرد الفرس بسبب ضعفهـا وانشغالها في حروبها الأوربية «٦» • واستطاعت قبيلة المنتفق العربية من الانتصار على جيش فارسي يتكون من عشـرة آلاف جندي وعلى اثـر هـذه الهزيمة والمشاكل الداخلية في ايـران انسحب الفرس من البصرة عام ١٧٧٩ م «٧» •

وقـد انتهت مرحلـة الفوضى بتعيين سليمان باشا الكبير واليـاً على بغداد ، وكان سليمان الكبير متسلم (متصرف) البصرة قبل وأثناء الحصار الأيراني ووقع في الأسر واطلق سراحه بعد الانسحاب الفارسي وعـاد لوظيفته الا ان اضطراب الحكم في بغداد جعله يطمح بولايـة بغداد والعراق ، لذلك ارسل الى السلطان العثماني الأموال وطلب منـه تعيينه والياً على بغداد وتعهد بحفظ الأمن والنظام وقـد وافق السلطان على طلبه واصبح والياً على بغداد والبصرة وكردستان «٨» ، عام ١٧٨٠ م وحتى وفاته في سنة ١٨٠٢ م • لقد استطاع سليمان الكبير ان يقضي على عناصر الاضطراب في بغداد وحارب العشائر الثائرة واجبرهـا على طاعة الحكومة ، واهتم بشراء المماليك وتدريبهم عسكرياً وادارياً من أجـل الاعتماد عليهم في الحكم ، كما اعاد تنظيم القوات الانكشارية • وفي عام ١٧٨٥ حدثت ثورة قامت بها عدد من العشائر العربية المتحالفـة

وقـد تمكن سليمان الكبير من اخماد هذه الثورة • وفي عام ١٧٨٨ م تعرض الى مؤامرة دبرها متسلم البصرة وعثمان بابان حاكم السليمانية حيث اتفق المتآمرين على التمرد في وقت واحـد وفصـل منطقة كردستان عن حكومة بغـداد الا ان سليمان الكبير اكتشف المؤامرة وقضى على مدبريهـا «٩» •

منذ عام ١٧٩٠ أخـذ الوهابيون في نجد بقيادة آل سعود يغيرون على المناطق الجنوبية من العراق وقد قطع الوهابيون طريق الحج الى مكة، ولما حاول أمير المنتفق محاربة الوهابيين في بلادهم نجد مني بالهزيمة لذلك اضطر سليمان في سنة ١٧٩٨ م الى ارسال الكهية علي باشا على رأس جيش من الانكشاريـة وقوات عشائرية كبيره الى نجد من اجـل القضاء على الوهابيين الذيـن يقودهـم عبد العزيـز آل سعود وكانت نتيجة المعركـة غير حاسمة الا أنهـا أجبرت الوهابيين على عقـد الصلح والتعهد بتأمـين طريـق الحـج «١٠» ، لكـن الوهابيين لـم يلتزموا بتعهداتهم واستمروا بغاراتهم على جنوب العراق • وفي نيسان ١٨٠٢ م احتل الوهابيين مدينة كربلاء وقتلوا عدد كبير من السكان ونهبوا الاموال وخاصة من مرقد الامـام الحسين (ع) وانسحبوا قبل ان تصل قـوات بغـداد «١١» •

وقـد أدت هذه الغارة الى الاسائة الى سمعة سليمان الكبير الذي كان في حالة الشيخوخة وتوفي في آب ١٨٠٢ م •

لقد سائت الأوضاع السياسية بعد وفاة سليمان الكبير ولـم يتمكن

خلفه وصهره علي باشا ١٨٠٢ ـ ١٨٠٧ من فرض النظام والاستقـرار بسبب كثرة ثورات القبائل وأمراء كردستان والتدخل والعدوان الايراني على الحدود وكذلك استمرار الغارات الوهابية • وقتل علي باشا عام ١٨٠٧ وزادت الفوضى وتولى الحكم سليمان باشا الصغير ١٨٠٨ ـ ١٨١٠ م وكان هذا الوالي صديقاً لفرنسا ووقف ضد النفوذ الانكليزي المتمثل بالمقيم الانكليزي في بغداد «١٢» • وقد انشغل سليمان الصغير بمحاربة عبد الرحمن آل بابان الذي تمرد على الدولة العثمانية باسناد من ايران واجبره على الخضوع لحكومة بغداد • وقد عمل سليمان الصغير على تقوية صلاحيات حكومته بفرض نفوذه على الموصل والغاء الضرائب العثمانية مما أثار حقد السلطان الذي ارسل مندوبه حالت افندي الذي حرض امراء كردستان والموصل وبعض العشائر على الثورة على سليمان الصغير وقد حاول الأخير مقاومة خصومه الا انه قتل عام ١٨١٠ م «١٣» • وخلفه في الحكم عبدالله باشا الذي وصل الى السلطة بمساعدة عبد الرحمن البابانى ولما حاول عبدالله باشا فرض سلطته على كردستان قاومه عبد الرحمن البابانى الا ان قوات والي بغداد انتصرت على عبد الرحمن الذي هرب الى ايران لكن التهديد الايراني والاضطراب الداخلي أدى الى اعادة عبد الرحمن الى السليمانية «١٤» • وقد قاد سعيد بن سليمان الكبير تمرداً ضد الوالي وساعده في ذلك شيخ المنتفق ، وعندما حاول عبدالله باشا المقاومة فشل وقتل وخلفه في الولاية سعيد باشا ١٨١٣ ـ ١٨١٦ الذي لم

يتمكن من حفظ الأمن والنظام لعدم كفائته وانغماسه في الفساد «١٥» ، لذلك صدر فرمان سلطاني بعزله وتعيين الكهية السابقه داود باشا محلـه ولما حاول سعيد المقاومة لـم ينجح بسبب انفضاض المماليك والعشائـر عنـه .

الوالي داود باشا ١٨١٧ — ١٨٣١م / ١٢٣٢ — ١٢٤٦ هـ

ولد داود باشا حوالي عام ١٧٧٤ في احدى نواحي مدينة تفليس عاصمة جورجيا في بلاد القفقاس . وخطفه اللصوص وبيع في اسواق النخاسة ووصل الى بغداد وعمره حوالي عشرة سنوات وبيع في بغداد الى الوالي سليمان الكبير الذي كان مهتماً بشراء المماليك وتكويـن جيش منهم . لقـد كان داود على درجـة كبيرة من الذكاء والطموح والمقدرة عـلى التعلم فقـد صار عالمـاً كبيراً في علوم الديـن الاسـلامي واللغـات العربية والتركية والفارسية «١٦» ، كما حصل داود على ثقافة عصريـة كافية كما كان فارساً شجاعاً لذلـك أعجب بـه سليمان وزوجه مـن احـدى بناته وعينه بوظيفة خزندار وترقى الى منصب الدفتردار ثـم صار كهية في بداية حكـم سعيد باشا . كان داود باشا بشوشاً دائـم الابتسام حكيم السلوك ، جذب القلوب والنفوس حول شخصه «١٧» ، وأخـذت شعبيته تزداد بين المماليك واهل بغداد والتفت حوله عناصـر كثيرة ضجرت حالة الفوضى وفساد الحكام وعدم مقدرتهم منذ وفـاة سليمان الكبير ، ولمـا تولى سعيد باشا الحكـم سائت الحالـة الأمنية والمعاشية لذلك اخـذت الأنظار تتجه نحو داود الطامح بمنصب الولاية

وقد شعر سعيد باشا بخطورة صهره داود على حكمه فعزله من وظيفة الكهية وأراد قتله ولكن داود باشا فر الى كركوك «١٨» ، وتجمع حوله المعارضون لحكم سعيد ، وارسل داود الى السلطان العثماني محمود الثاني بطلب تعيينه والياً على بغداد مقابل دفع الأموال وضبط احوال العراق وقد استجاب السلطان لطلبه وصدر فرمان بعزل سعيد في أواخر عام ١٨١٦ م وتولي داود الحكم ، وقد تقدم داود باشا بأنصاره الى بغداد ودخلها في شباط ١٨١٧ م ، وحاول سعيد المقاومة الا أنه فشل وقتل من قبل انصار داود باشا ، وقيل ان قتل سعيد باشا كان من دون رضا داود وذلك لرابطة المصاهرة بينهما «١٩» .

سياسة داود باشا الداخلية :

لقد كان داود باشا يريد توحيد ولايات العراق تحت حكمه وفرض السلطة المركزية على البلاد وتقوية الاستقلال الذاتي للبلاد والعمل على الاستقلال عن الدولة العثمانية ، واحداث نهضة اقتصادية وثقافية عامة في البلاد ومحاولة اعادة امجاد ماضي بغداد وقد بذل كل جهده في سنوات حكمه التي دامت ١٤ عاماً لتحقيق هذه الأهداف .

محاولة فرض السلطة المركزية على انحاء البلاد :

لقد كانت ثورات العشائر والأسر المحلية الحاكمة في كردستان والموصل والمنتفق تهدد دائماً الاستقرار الداخلي . وقد بذل داود باشا جهده في اخضاع العشائر ، فبدأ بعشائر منطقة الأنبار «٢٠» ،

فأجبرهـا على طاعة الحكومة ثـم توجهت قواته الى عشائـر الفـرات الأوسط فتمكن بعد جهود كبيرة من اعـادة النظام ، كما اسـتطاع ان بفرض سلطته على كربلاء النجف «٢١» ، واخضع مشيخة المنتفق بتعيين شيخ موال لـه وفرض سلطته عـلى البصرة ومـد نفوذه الى مدينـة الموصل التي تحكمها عائلة آل عبد الجليل «٢٢» • اما منطقة كردستان التي تحكمها الأسرة البابانية في السليمانية والأسر الكرديـة الأخـرى فقد كانت محاولة داود باشا في فرض سلطته عليها قـد أدت الى مقاومة شديدة من آل بابان المحتمين بحكام ايـران ، ولـما أرسل داود باشـا جيشاً لأخضاع محمود البابانى سنة ١٨٢١ جابهته قوات كردية وايرانية مشتركة قضت على جيشه الذي كان يقوده الكتخدا محمد آغـا المتواطيء مع حكام ايـران «٢٣» • ان التدخل الايراني في شؤون كردستان ادى الى اعلان الدولة العثمانية الحـرب على ايران عام ١٨٢٠ م ولم تكـن نتيجة الحرب حاسمة ، وعلى الرغـم من اعتراف الأمارة البابانية بسيادة السلطان العثماني «٢٤» ، الا ان داود باشا لم يتمكن من فرض حكمـه على كردستان وذلك لقلة قواتـه وتدخل ايران وثورات العشائر ، لذلك فان نجاح داود باشا في فرض سلطته على انحاء العـراق كان نسبياً • ولقد جابه داود باشا خيانه بعض اركان حكمه وعمالتهم الى ايـران مثل سيد عليوي اغـا الانكشارية والخزندار يحي اغـا وتم اعدامها «٢٥» • امـا الكتخدا محمد اغـا الذي قاد الجيش الى الهزيمة عام ١٨٢١ فقد هرب الى ايران ثم تسلل الى الحلة عام ١٨٢٤ وحاول خلق الفتن والتمرد

ولكن داود باشا تمكـــن من القضاء على تمرده عـــام ١٨٢٥ م «٢٦» .

النفوذ الانكليزي :

واجـــه داود باشا مشكلة تزايد نفوذ « كلوديوس ريج » المقيـم البريطانية في بغـــداد وتدخلـــه في شؤون البـــلاد وفرض الحمايـــة على العناصر المتمردة والتواطأ مـــع حكام ايران وتشجيع حركات التمرد والعصيان ضد حكومـــة داود باشا «٢٧» . كما ان الامتيازات التـــي تتمتع بها التجارة الانكليزية اضرت بمصالح البـــلاد والتجار المحليين ، لذلك عزم داود باشا على ضـــرب النفوذ الانكليزي ، فضيق الخناق على « ريـــج » حتى اجبره على مغادرة بغداد سنة ١٨٢١ م . الا ان تهديـــد حكومة الهند البريطانية بقطـــع العلاقات التجارية مع العـــراق وضغط السلطان العثماني على داود باشا والمخاطر الداخلية والخارجية ، اضطرت داود باشا على مراعاة الامتيازات التجارية التي تتمتع بهـــا بريطانيا فـــي الولايات العثمانيـــة «٢٨» .

الغزو الايراني :

لقد تعرض العراق الى الغزو الايراني منذ بداية القرن الســـادس عشر الميـــلادي وطرد الفرس من قبل الدولـــة العثمانية ، ولكن ايـــران استمرت في محاولاتها لاحتلال العراق ، فكانت تشجع امراء كردستان والقبائل في وسط وجنوب العراق على التمرد وتأييد سياستها التوسعية وتستعمل في سبيل ذلك التهديد والترغيب والدعايـــة الطائفية «٢٩» .

ولما تولى داود باشا الحكم جوبه بعداء ايران وحمايتها للعصاة في كردستان وتحريض القبائل على العصيان وتحشيد العملاء السريين من داخل حكومة داود باشا • وعندما حاول داود باشا في سنة ١٨١٨ م القضاء على تمرد محمود بابان في السليمانية استنجد هذا الأخير بحاكم كرمنشاه الفارسي الذي دفع بقواته لمهاجمة العراق من جهات كردستان ومندلي وبدرة وجصان «٣٠» •

ووصل الجيش الفارسي الى الخالص سنة ١٨٢١ م • وقد عمل داود باشا على مقاومة الغزو الايراني على الرغم من الأوضاع الداخلية الصعبة واستعان بالسلطان العثماني الذي اعلن الحرب على ايران سنة ١٨٢٠ م وقد استمرت الحرب بين الدولتين العثمانية والفارسيه على حدود العراق والأناضول الشرقية الى سنة ١٨٢٣ م حيث عقد الصلح وانسحبت القوات الفارسية من الأراضي العراقية «٣١» • ولكن المؤامرات الايرانية في كردستان وكل العراق لم تنقطع •

اصلاحات داود باشا :

الجيش : اهتم داود باشا بانشاء جيش نظامي حديث يعتمد عليه في تحقيق الاستقرار الداخلي وصد الأطماع الايرانية ومواجهة تحديات المستقبل • وقد تكون هذا الجيش من المماليك والانكشارية التي الغيت عام ١٨٢٦ وادمجت بالجيش النظامي ومن بعض العشائر «٣٢» •

كما كان بامكان داود باشا تجنيد قوات احتياطية كبيرة من العشائر • وقد استقدم ضابطاً فرنسياً لتدريب جيشه النظامي الذي بلغ عدده الى حوالي عشرة الاف رجل • ولما رفضت حكومة الهند البريطانية بيع السلاح لحكومة داود باشا ، انشأ مصنع لصناعة البنادق والمدافع وجلب الخبراء من أوربا «٣٣» •

وقد أباد طاعون عام ١٨٣١ معظم قوات داود باشا وانتهت بذلك الامال في بناء دولة قوية مستقلة •

الاصلاحات الاجتماعية :

كان داود باشا عالماً كبيراً لذلك اهتم بتأسيس المدارس التي بلغت ٢٨ مدرسة تدرس فيها علوم الدين والتاريخ واللغات الشرقية والرياضيات وغيرها «٣٤» • وبذل الأموال والهدايا للادباء والعلماء لذلك خصوه بالثناء والمديح «٣٥» ، كما اهتم داود باشا ببناء وتعمير عدد كبير من المساجد في بغداد وامر بحفر وتطهير عدد من الجداول والأنهار وبذل الجهود من اجل استقرار القبائل وترك حالة الغزو فيها بينها «٣٦» ، وشجع التجارة والصناعات المحلية •

محاولات الاستقلال ونهاية حكم داود باشا :

ان الجهود التي بذلها داود باشا في اعادة توحيد وبناء العراق القوي المستقل ، اصطدمت بسياسة السلطان العثماني محمود الثاني ١٨٠٨ — ١٨٣٩ م الرامية الى اعادة الحكم العثماني المباشر على ولايات الامبراطورية

العثمانية ، لذلك كان السلطان محمود الثاني غير مرتاح للاستقلال الفعلي للعـراق بقيادة داود باشا ، ومما زاد في سخط السلطان عـدم ارسـال داود باشا الأموال والرجال الى الدولة العثمانية في حربها مـع روسـيا القيصريـة في سنوات ١٨٢٨ ـ ١٨٢٩ ا «٣٧» ، ويرجع سبب عـدم مشاركة داود باشا في الحرب ضـد روسيا الى ان جيشـ داود لايكفي لتوطيد الأمن الداخلي ومواجهة الأطماع الأيرانية بالاضافـة الى طموح داود بالاستقلال عن الدولة العثمانية «٣٨» • وفي شهر اب ١٨٣٠ قـرر السلطان محمود الثاني القضاء على حكم المماليك في العراق ، لذلـك ارسال مبعوثه صادق افندي الى بغداد ليطلب من داود باشا التنحي عـن الحاكم بأمـر السلطان •

وقـد رفض داود باشا التخلي عن الحكـم ، ودبر اغتيال مبعوث السلطان في تشريـن الأول ١٨٣٠ م «٣٩» ، ولمـا سمع السلطان بمـا جـرى لمبعوثه اعلـن عصيان داود باشا وامـر والي حلب علي رضاباشا ان يتوجه على راس جيش الى بغداد للقضاء على حكم المماليك وتولي ولاية بغداد • وفي بداية شباط ١٨٣١ توجـه علي رضا الى العـراق وانضمت اليه العناصر المناهضة لـداود باشا ، واعلن علي رضا الأمـان لجميع افـراد جيشـ داود واهالي بغـداد من اجل ضمهم الى جانبـه وتفكيك جبهة داود باشا «٤٠» •

أمـا داود باشا فقد هيأ قواته لمواجهة العدو ، ولكن جائت كارثة الطاعون الـذي ظهر في بغداد في اواخـر شـهر آذار ١٨٣١ م واشتد

في شهر نيسان وقد، أدى الى موت غالبية قوات داود باشا ولـم يبقى من سكان بغداد البالغ عددهم حوالي ١٥٠ الف نسمة سوى خمسين الف نسمة «٤١» • وقد انتشر الطاعون الى مختلف انحاء العراق كما فاض نهر دجلة واغرق بغداد في اواخر نيسان • وفي نهاية الاسبوع الأول من شهر ايار زال الفيضان والطاعون «٤٢» • وفقدت بغداد قوتها وقدرتها على مقاومة الجيش العثماني ، وفي ظل هذه الظروف ودخول طلائع قوات علي رضا بقيادة قاسم العمري الى بغداد اضطر داود باشا الى الاختفاء في احد المساكن ، وقد اهتم اعيان بغداد بالمحافظة على سلامة داود باشا ورفضوا طلب قاسم العمري بتسليمه اليه من اجل قتله ، وقد نشب صراع مسلح بين اهل بغداد وقوات قاسم العمري وتمكن اهل بغداد من قتل العمري واجبروا اتباعه على الخروج من بغداد «٤٣» • وفي اثناء ذلك احترق سراي الحكومة « مقر الوالي » واتلفت الاموال الكثيرة • وقد رفض اهل بغداد فتح ابواب مدينتهم الىعلي رضا وجيشه الذي وصل الى اسوار بغداد في تموز ١٨٣١ وفرض الحصار الشديد على المدينة مما ادى الى مجاعة السكان ، وقد عمل علي رضا على كسب الأتباع من داخل المدينة المحاصرة ، وأخيراً دخل الجيش العثماني بغداد في ١٤ ايلول ١٨٣١ بدون مقاومة «٤٤» • وقد وقع داود باشا اسيراً وعومل باحترام وارسل الى الاستانة وهناك نال عفو السلطان وتقلد عدة مناصب في الدولة العثمانية وتوفي في المدينة المنورة سنة ١٨٥٠ م / ١٢٦٧ هـ •

امـا بقية المماليك فقد قضى عليهـم علي رضا في مذبحة غـادرة وانتهى عهدهم . ان لعهد المماليك اهمية تاريخية كبيرة فقد عمل الولاة المماليك على توحيد ولايات العراق وتحقيق الاستقرار الداخلي وصـد الأطماع الايرانية وعملوا على استقلال العراق لذلـك قاوموا محاولات الدولة العثمانية الرامية الى اعادة سيطرتها المباشرة على العراق ، وكانـت تبعية العـراق للدولة العثمانية شكليـة اقتصرت على ذكر اسـم السلطان في الخطبة والسكة وارسال الجزية السنوية الى الاستانة وتلقي الفرمانات السلطانية السنوية بتقليد او اعادة تقليد السلطة للوالي المملوكي

وفي الناحية الاقتصاديـة اهتم الولاة المماليـك وخاصـة سليمان الكبير وداود باشا عـلى حماية التجارة وتوسيعها خاصة مـع الهنـد ، كما امروا بحفر وتطهير العديد من الأنهـار والجداول من اجل زيـادة الانتاج الزراعي ، وعمل داود باشا على ادخال بعض الصناعات الحديثـة وجلب الخبراء من اوربا ، كما انشأ المماليك العديد من المدارس والجوامع وشجعوا اهل الأدب والعلم وخاصة ادباء اللغة العربية لذلك كان عهـد المماليك بداية اليقظة الأدبية والثقافية الحديثة في العراق «٤٥» .

وعمـل الولاة المماليك وخاصـة داود باشا على مقاومة العصبيات العشائرية والطائفية والمحلية الضيقة وكل مايضعف الوحـدة الداخلية .

احوال العراق في العهد العثماني الاخير ١٨٣١ – ١٩١٤ م /
١٢٤٧ – ١٣٣٢ هـ

عهد التنظيمات ١٨٣١ – ١٨٦٩ م / ١٢٤٧ – ١٣٨٧ هـ

لقد اخذ السلطان محمود الثاني على عاتقه قيادة حركة الاصلاح (التنظيمات) في اوضاع الدولة العثمانية ، واعادة الحكم المباشر على الولايات وادخال النظم الأوربية الحديثة الى جسم الدولة وخاصة في النواحي العسكرية وذلك من اجل تمكين الدولة العثمانية من الوقوف امام تحديات الدول الأوربية واطماعها وخاصة روسيا القيصرية والنمسا وفرنسا وبريطانيا ، ولولا اختلاف مصالح هذه الدول وتضارب اطماعها لما استطاعت الدولة العثمانية من البقاء على قيد الوجود منذ اواخر القرن الثامن عشر . وكانت روسيا القيصرية تريد القضاء على الدولة العثمانية واقتسام املاكها بين الدول الأوربية القوية الا ان بريطانيا وفرنسا رفضتا رغبة روسيا لأن انكلترة وفرنسا لاتريد ان تكون لروسيا املاك استعمارية في الشرق الاوسط «٤٦» .

وقد بدا السلطان محمود الثاني اصلاحاته بتكوين جيش نظامي جديد على النمط الأوربي ، على ان نجاح الدولة العثمانية في ادخال الاصلاح كان نسبياً لافتقارها الى العناصر المؤهلة للاصلاح في مختلف المجالات وكذلك التخلف العام في مختلف نواحي الدولة ، بالأضافة الى استبداد السلاطين والتدخل الأوربي في شؤون الدولة

العثمانية • ولم تدخل الاصلاحات الى العراق الا في بداية السبعينات من القرن التاسع عشر وكانت محدودة النتائج ، ولم تؤثر بشكل جوهري على أحوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية «٤٧» ، على ان عزلة العراق عن اوربا انتهت ، وبدا النفوذ الأجنبي وخاصة الانكليزي في مجالات التجارة والمواصلات يتغلغل في انحاء العراق •

اعادة الحكم المباشر على انحاء العراق

بعد القضاء على حكم المماليك ، كان الولاة العثمانيين اللذين أصبحوا مجرد منفذين لأوامر السلطان مهتمين بفرض الحكم المباشر على انحاء البلاد وذلك بالقضاء على كل القوى المحلية التي تقف بوجه ذلك •

لقد كان الوالي وكبار موظفي الولاية من الأتراك اما العرب فلم يعينوا سوى بالوظائف الصغيرة ، وادارة الولاية عادة متسمة بالاستبداد والفساد والرشوة وضيق الأفق والجهل • لقد استهل الوالي علي رضا بشا ١٨٣١ ــ ١٨٤١ م حكمه بالسيطرة على مدينة بغداد وتصفية العناصر المعارضة فبدأ بابادة بقية المماليك فدبر لهم مدبحة غادرة قضت عليهم «٤٨» • وفي سنة ١٨٣٢ اخمد انتفاضة اهل الرصافة بقيادة المفتي عبد الغني جميل ، وكان سبب الثورة تعسف وطغيان اعوان وجنود علي رضا ، وتمت السيطرة على جانب الكرخ بعد اجلاء قبيلة بني عقيل التي كانت مناصرة لداود باشا • ثم أعاد علي رضا الحكم المباشر على جنوب العراق باخضاع مشيخة المنتفق ، كما انتصر على قبيلة كعب

استولى عــلى مدينة المحمرة سنة ١٨٣٨ م ولكن بعد سنوات قليلــة ســاد بنو كعب الى استقلالهـــم كما رجعت المحمرة الى الاحتــلال لفارسي «٤٩» • وفرض الحكم المباشر على الموصل بعد انهاء حكــم لأسرة الجليلية سنة ١٨٣٤ م وفرضت الخدمة العسكرية على اهل الموصل بالقوة في سنة ١٨٣٥ م • وبعــد علي رضا جاء الى الحكم الوالي نجيب باشا ١٨٤٢ ـــ ١٨٤٧ م وكــان نجيب باشا متشدداً في فرض الحكــم المباشر وتنفيذ اوامر السلطان كما اسرف في استعمال القوة ضد المعارضين وخاصة من القبائل ، ولمــا كانت كربلاء والنجف غير خاضعتين للسلطة العثمانية لذلك ارسل جيشاً الى كربلاء ودخلها في كانون الثاني ١٨٤٣ وقتل عدة آلاف من الســكان المعارضين «٥٠» ، ثــم توجه الجيش الى النجف التي سارع اهلها الى اعلان الولاء للعثمانيين ، ولكن عدم وجود قوات كافية بصورة دائمية في النجف وكربلاء جعل الحكم العثماني فيهما ضعيفاً • وفي خــلال الفترة ١٨٣٥ ـــ ١٨٥٠ اعيد الحكم المباشر الــى كردستان بعد ان تــم القضاء على الامارات الكردية المستقلة واهمهـــا امارة آل بابان في السليمانية ، واخضعت القبائل الكردية واليزيديــة ، ولكـــن السلطة العثمانية في كردستان ظلت ضعيفة وحركــات القبائــل الكردية ضد الحكومة العثمانية كثيرة •

الظاهرة العشائرية خلال الفترة ١٨٣١ — ١٨٧٠

ان الظاهرة العشائرية خلال هذه الفترة هي امتداد للأزمان السابقة فقد كان اغلب سكان العراق من القبائل العربية والكردية والتركمانيــة

وكانت ثورات القبائل خاصة العربية والكردية قوية ضـد سلطة الولاة الذيـن اسرفوا في استعمال القوة ضد العشائر من اجـل اخضاعهـا واخـذ الضرائب منها وبدون ان تقدم الحكومة العثمانية ايـة خدمـة او عمل لصالح القبائل ، وكثيراً مايحرض الولاة قبيلة ضد اخـرى من اجل اضعاف الجميع كما انهم نادراً مايتدخلون لفض النزاعات بـين القبائل والتي تحدث بسبب الثأر والمراعي والأراضي ، وكانت القبائـل نوعان الأول مستقر ويعمل في الزراعة وهؤلاء اكثر هدوئاً بينما القبائل الأخرى بدوية وتعيش عـلى الرعي والغزو وفرض الاتاوة على التجـار والمسافريـن وكانت القبائل البدوية تثير المشاكل لأنها تغير على القرى والمـدن وتقطع الطرق وتتنقل على الحـدود مما يسبب المشاكل بـين الدولتين العثمانية والايرانية «٥١» • وسيطرت الحكومة على القبائـل البدوية اكثر صعوبة ، وعلى كل فان سلطة الحكومة على القبائـل تتمثل في دفع القبائل للضرائب الى الحكومة ، والمحافظة على سلامة التجـار والمسافريـن ولاتتدخـل السلطة في الشؤون الداخليـة للقبائـل وفي كثير من الحالات كانت القبائل تلحق الهزيمة بقوات الحكومة ولكن النتيجة النهائية في الصراع تكون لصالح جيش الوالي لأنه متفـوق في السلاح والنظام العسكري والامكانيات المـاديـة •

ومن ولاة هذه الفترة الذيـن اشتدوا في ضرب القبائل نجيب باشا ونامق باشا الكبير ورشيد الكوزلكلي وغيرهـم •

المواصلات الجديدة والنفوذ الاجنبي

شهدت بداية الثلاثينات من القــرن التاسع عشر اهتمام كل مــن بريطانيا وفرنسا بايجاد طريق مختصر الى الهند والشرق الأقصى بسبب طول مسافة الطريق القديم (طريق رأس الرجاء الصالح) وقــد اهتمت فرنسا بمشروع فتح قناة بين خليج السويــس والبحر الأبيض المتوسط عبر الأراضي المصرية • امــا بريطانيا فقد اهتمت في البداية بدراســة مــدى صلاحية نهر الفرات للملاحــة البخارية من اجل التجارة ونقــل البريد مع الهند بوقت اسرع • وفي عام ١٨٣٠ كانت هناك بعثة بريطانية برئاسة الكابتن (جزني) تقوم بمسح نهر الفرات ، وقــد اعلن (جزني) ان نهر الفرات صالح للملاحة البخارية «٥٢» • لذلــك ارسلت بريطانيا باخرتين بقيادة جزني وانزلتا في اعالي نهــر الفرات شمال سوريه وقــد غرقت احــدى الباخرتين « دجلة » امــا الاخــرى « الفرات » فقــد وصلت الى القرنــة ثم صعدت في نهر دجلة ووصلت الى بغداد «٥٣» • وكانت السلطات العثمانية قــد وافقت على وجود الباخرتين الانكليزيتين على الرغم من الشعور الشعبي المعادي للبعثة ، على ان بريطانيا ادركت ان نهر الفرات لايصلح للملاحة السريعة والنقل التجاري الواسع لذلــك تحول اهتمامها الى طريــق السويس «٥٤» • وفي عام ١٨٦١ م حصلت شركة لنج البريطانية على رخصة تسيير باخرتين في نهر دجلة لنقل البضائع التجارية من البصرة الى بغداد ، اما المواصلات البرية فقد ظلت على حالها القديم • وفي عام ١٨٦٤ مــدت خطوط البرق (التلغراف) بين بغــداد

والبصرة وخانقين وربطت بخطوط ايران وتركيا والهند مما ادى الى سرعة الاتصال بين هذه البلدان واوربا «٥٥» .

ان النفوذ الأجنبي في هـذه الفترة يتمثل بالمقيميات السياسـية لبريطانيا وفرنسا وكان المقيم الأنكليزي في بغداد له نفوذ واسع فقـد كان يتدخل في الشؤون الداخليـة ويفرض حمايته على الأقليـات الدينية والقومية ويحرض القبائل والأقليات على الثورة ضد الوالي اذا حـاول الحـد من نفوذه ، كما كان يشرف على المصالح التجاريـة البريطانيـة والملاحـة البخارية في انهار العراق وقـد تمثل النفوذ الأوربي ايضـاً بوصول بعثات تبشيرية مسيحية من اوربا وخاصة من انكلترة وفرنسـا للتبشير بين الأقليات الدينية «٥٦» ، وبث الدعاية للنفوذ الأوربي وخلق الفتن الدينية بين السكان كما كانت بعثات التنقيب عن الاثار القديمـة في مدن العراق القديم من وسائل نشر النفوذ الأوربي وكان هناك تنافس دبلوماسي بين ممثلي بريطانيا وفرنسا حول النفوذ السياسي في البـلاد وقـد كان النفوذ الانكليزي هو الراجح .

مشكلة الحدود العراقية الايرانية :

لقد خفت حدة الصراع العثماني في هذه الفترة بسبب ضعف ايران وانشغالها بمشاكلها الداخلية والضغط الأنكليزي عليها «٥٧» ، والذي اجبرها على عدم استغلال ظروف هزيمة الدولة العثمانية امام الوالي محمد علي في سنة ١٨٣٩ م والحرب مع روسيا ١٨٥٤ ــ ١٨٥٦ لذلـك كانت ايران غير قادرة على غزو العراق ، على ان الأطماع الايرانية بقيت وظلت

مشاكل الحدود الناتجة من تحرك القبائل على جانبي الحدود ، ومحاولة خلق نفوذ لها في كردستان والمدن المقدسة ، وكانت ايران تدعي ان الزوار الفرس لمدن النجف وكربلاء وغيرها يلاقون سوء المعاملة • لقد كانت روسيا القيصرية تؤيد ايران وبريطانيا مع الدولة العثمانية «٥٨» ، وبتوسط وضغط من الدولتين البريطانية والروسية عقدت معاهدة ارضروم الثانية عام ١٨٤٧ م لتسوية المشاكل وتعيين الحدود العراقية الايرانية وقد تخلت ايران في هذه المعاهدة عن ادعائاتها في السليمانية مقابل حصولها على مدينة المحمرة والضفة الشرقية لنهر شط العرب «٥٩» ، ومع ان المعاهدة كانت لصالح ايران الا انها استمرت في اطماعها ودسائسها تجاه العراق •

الأحوال الاقتصادية والاجتماعية ١٨٣١ – ١٨٧٠ م :

ادت كارثتا الطاعون والفيضان عام ١٨٣١ الى فقدان العراق لثلثي سكانه تقريباً • ومنذ هذه الكارثة اصبح العراق قليل السكان ، وقد اندثرت مدن وقرى ومزارع كثيرة وانخفض الانتاج الزراعي وتدهورت التجارة وانقرضت حرف ومهن عديدة «٦٠» •

وقد تحسنت الحالة الاقتصادية في عقد الستينات من القرن التاسع عشر واخذ العراق يصدر الحبوب والتمور والجلود والحيوانات «٦١» ، ويستورد السلع الصناعية من اوربا وخاصة من بريطانيا • وكان لدخول المواصلات البخارية الجديدة وتحسن الحالة الامنية اثر كبير في ازدهار التجارة وتوسع نشاط ميناء البصرة

وكان لفتح قناة السويس عام ١٨٦٩ م أثـر كبير في زيـادة التبـادل التجاري بين العراق وبلدان اوربا • وقـد تكررت في هذا العهد ظاهرة مجيء الامراض الوبائيـة كالطاعون والهيضة (الكوليرا) من جهـات ايران والهند وكذلك الفيضانات الكبيرة لنهري دجلة والفرات •

الوالي مدحت باشا ١٨٦٩ – ١٨٧٢ م / ١٢٨٧ – ١٢٩٠ هـ

في عام ١٨٦٩ عين مدحت باشا واليا على العراق ، وكان مدحت من ابـرز دعاة الاصلاح في الدولة العثمانية وزعيم الحركة الدستورية التي ترمي الى الحد من الحكم الفردي للسلطان • وقـد عمل مدحت على القيام باصلاحات كثيرة في مختلف النواحي من اجـل ترسيخ السـلطة العثمانية • وقـد جمع مدحت باشا السلطتين الادارية والعسكرية واهتم بفرض التجنيد الاجباري في المـدن ، اما في المناطق العشائرية وخاصـة في الفرات الأوسط والجنوب فقد جابه التجنيد المقاومة ومع ذلك فقد تضاعفت اعداد القوات العسكريـة العثمانية في العراق وشـكل الفيلق السادس المتألف من المشاة والخيالة والمدفعية «٦٢» •

وقـد قسم مدحت باشا العراق الى ولايتين همـا بغداد وتشـمل المنطقتين الوسطى والجنوبية وولاية الموصل التي تشمل المنطقة الشمالية ، وكل ولاية قسمت الى الوية واقضية ونواحي • وتم اصلاح نظام الضرائب حيث الغيت بعض الضرائب الجائرة ومنعت مصادرة الأموال من قبـل الوالي • وقام مدحت بعدة اصلاحات في بغداد منها انشاء البلدية والمحجر الصحي ومستشفى ومـد خط تراموای بخـاري بـين بغـداد

والكاظمية «٦٣» • كما اسست عدة مدارس ابتدائية وعسكريه ومدرسة الصنائع والتدريس في هذه المدارس باللغة التركية ، وجلبت مطبعة من اوربا وصدرت اول صحيفة عراقية (الزوراء) عام ١٨٦٩ وكانت الزوراء تصدر مرتين بالاسبوع باللغتين العربية التركية • واستوردت عدة بواخر للعمل في نهري دجلة والفرات وبين البصرة والاستانة •

لقد اهتم مدحت باشا بفرض سلطة الدولة على كل نواحي الحياة في العراق وخاصة السيطرة على القبائل فقد قمع ثورات القبائل في الديوانية وغيرها وعمل على استقرار القبائل واشتغالها بالزراعة ولذلك باع اراضي الدولة الى شيوخ القبائل من اجل تحويلهم الى ملاكين اقطاعيين يستغلون افراد عشائرهم ، وبذلك تزداد سلطة الدولة على القبائل وقد انشأت دائرة الطابو من اجل اصدار سندات ملكية الأراضي «٦٤» • وعزل مدحت باشا من ولايته عام ١٨٧٢ م ثم صار صدراً اعظم (رئيس وزراء) ثم عزل من قبل السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٨٧٧ واغتيل في الطائف عام ١٨٨٣ م «٦٥» •

عهد السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦ – ١٩٠٨م / ١٢٩٣ – ١٣٢٦هـ

اتسمت هذه الفترة بتزايد قوة السلطة الحكومية وهدوء العشائر واستقرارها في مناطق محددة واشتغالها بالزراعة وقلت النزاعات فيما بينها كما قلت ثورات العشائر ضد الحكومة واشهر احداث العشائر في هذه الفترة ، هي ثورة امير المنتفك منصور باشا سنة ١٨٨٠ م ولكن قضي على ثورته والغيت الامارة نهائياً «٦٦» ، كما قمعت الثورات

العشائرية في منطقة الفرات الأوسط وكردستان • وفي عام ١٨٧٩ قسم العراق اداريا الى ثلاث ولايات هي بغداد والبصرة والموصل •

ومن الناحية التجارية فقد ازدادت عملية التبادل التجاري مع اوربا وخاصة مع بريطانيا التي صار لها نفوذ سياسي وتجاري واسع في بغداد والبصرة •

وقد ازداد الاهتمام الأوربي بالعراق وفتحت قنصليات روسية وامريكية والمانية في بغداد في العقد الأخير من القرن التاسع عشر وكان هناك تنافس بين الشركات الانكليزية والألمانية من اجل الحصول على امتياز باستثمار النفط • وقد حدث صراع دبلوماسي واسع حول مد سكة حديد من الاناضول الى بغداد فقد وقفت بريطانيا تؤيدها روسيا وفرنسا ضد رغبة المانيا بمد السكة لأن بريطانيا رأت في ذلك تهديد لمصالحها ومع ذلك بوشر بمد سكة الحديد قبيل الحرب العالمية الأولي «٦٧» • اما حركة الاصلاحات في هذه الفترة فقد تباطئت لعدم اهتمام الولاة بالاصلاح نتيجة لاستبداد السلطان عبد الحميد الثاني ومع ذلك طبق التجنيد الاجباري وتحسن نظام الفيلق السادس باشراف ضابط الماني وقد بينت سدة الهندية سنة ١٨٨٩ م لتنظيم مياه الفرات واعيد بنائها سنة ١٩١٣ باشراف مهندس انكليزي «٦٨» •

ومن الناحية الثقافية فقد ازداد عدد المدارس في بغداد والبصرة والموصل وبعض المدن الكبيرة وجلبت المطابع واصدرت صحيفة في كل من الموصل البصرة وكانت نسبة المتعلمين تعليما حديثا عالية بين افراد

الأقليات الدينية وتميزت هـذه الفترة بظهور المجاعات ومجيء الأمراض الوبائية وحدوث عدد من الفيضانات مما أدى الى خسائر بشرية واقتصادية كبيرة • وفي السنوات القليلة التي سبقت الحرب العالمية الأولى دخلت العراق بعض مظاهر المدنية الأوربية مثل السينما والتلفون والسيارات واستوردت مكائن للنسيج والطحين والثلج ومضخات الري «٦٩» • ومع ذلك فقد بقي التخلف سائداً في اغلب جوانب الحياة العراقية •

عهد جماعة الاتحاد والترقي ١٩٠٨ – ١٩١٤م/١٣٢٦ – ١٣٣٢هـ

منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهرت في الدولة العثمانية حركة دستورية تهدف الى اقامة نظام دستوري يكون السلطان مجرد رمز الا ان السلطان عبد الحميد الثاني قضى على الدستوريين واستبد بالحكم كأسلافه واتبع سياسة القمع تجاه المعارضين لنهجه واهتم بجعل الروابط الاسلامية وسيلة لدعم حكمه وجمع شعوب الامبراطورية حول حكمه ، وتهديد الدول الأوربية الطامعة بولايات الدولة العثمانية باشعال حرب اسلامية عليها • وقد اعتمد السلطان عبد الحميد الثاني على التعاون مع المانيا لغرض الوقوف بوجه كل من روسيا وبريطانيا وفرنسا حيث ان هذه الدول احتلت عدة اقاليم عثمانية ولها اطماع في اقاليم اخرى«٧٠»

ان الحكم الاستبدادي للسلطان عبد الحميد والتخلف العام للأمبراطورية وضعفها واستقلال بعض اقاليمها خاصة في البلقان والتهديد الأوربي للدولة العثمانية ، كل هذه الأمور حفزت العناصر المثقفة في تركيا على العمل من اجل اسقاط حكم عبد الحميد الثاني واقامة حكم

دستوري والقيام بأصلاحات عامة تمكــن الدولة العثمانية من الوقوف امــام الأطماع الأوربية • والجدير بالذكر ان رفض السلطان عبد الحميد بيــع فلسطين للحركــة الصهيونية اثار عليــه حقد اليهود في الأستانــة واوربــا «٧١» •

ان القوى المعارضة من كبــار الضباط والموظفين نظمت نفسها في حركة تسمى « الاتحاد والترقي » او جمعية « تركيا الفتاة » • وقد قام اعضاء جمعية الاتحاد والترقي بانقلاب عسكري ضد السلطان عبد الحميد الثاني في تموز ١٩٠٨ ، وقد جرد السلطان من كل سلطاته ولمــا حاول عبد الحميد تنفيذ انقلاب مضاد في نيسان ١٩٠٩ فشل في محاولته وعزل وعين بدله اخوه محمد رشاد وصارت السلطة الفعلية بأيدي كبار الضباط مــن جماعــة الاتحاد والترقــي وخاصة الضباط الثلاثــة انور وطلعت وجمــــال «٧٢» •

ان القادة الجدد تجاهلوا الرابطة الاسلامية التي تجمع اغلب شعوب الامبراطورية العثمانية • وساروا على نهج قومي تركي متعصب ورفضوا منح الحكم الذاتي للقوميات او اتباع سياسة اللامركزية في ادارة ولايات الدولة ، واصروا على اتباع سياسة التتريك اي صهر العناصر غير التركية بالصبغة التركية وبكل وسائل العنف ، وقد اغتالوا وارهبوا الشخصيات المعارضة لنهجم العنصري سواء كان المعارضين من الأتراك أو القوميات الأخرى «٧٣» • وقــد نبذ جماعة تركيا الفتاة التقاليد الاسلامية فــي الحكم وأخذوا يقلــدون الأوربيين في مظاهر الحياة المدنية مثل ترخيص

فتح النوادي ودور الخمر والفساد وغير ذلك من المحرمات في الاسلام «٧٤» •

ان ردود الفعل للحكم الجديد في العراق كانت متباينة فقد ايد المثقفون وهم اقلية ضئيلة ثورة جماعة الاتحاد والترقي على امل القيام باصلاحات اقتصادية واجتماعية والحصول على الحكم اللامركزي للعراق والاقاليم العربية ، واسس هؤلاء المثقفون عدة جمعيات تدعوا الى الاصلاح واللامركزية في الحكم ، كما انشأ فرع لجمعية الاتحاد والترقي في بغداد • وقد اطلقت حرية الصحافة ، فنشطت الصحف في بحث الأوضاع السياسية والاجتماعية • اما عامة الناس من المسلمين فقد استنكروا الحكم الجديد لأنهم اعتبروه تمرد على السلطان عبد الحميد الذي يمثل بنظرهم قيادة العالم الاسلامي ، بينما الانقلابيين تجاهلوا الروابط والتقاليد الاسلامية وسمحوا للاقليات الدينية بالمشاركة في الحياة السياسية والخدمة العسكرية • كما اعتبر عامة الناس العهد الجديد عهد الحاد وفساد ، وفي ١٣ تشرين الأول ١٩٠٨ قام هؤلاء بمظاهرة كبيرة في بغداد للتعبير عن شجبهم وتنديدهم لحكم جماعة الاتحاد والترقي «٧٥» •

لقد اصبح غالبية المسلمين ضد جماعة الاتحاد والترقي ونهجها التركي المتعصب كما ان سياسة التتريك اثارت ردود فعل عند المثقفين العرب من النواب في البرلمان الذي اوجده الانقلابيين وكذلك اثار نقمة الضباط العرب في الجيش العثماني واكثرهم من العراقيين ، وقد شكل هؤلاء

العرب عـدة جمعيات علنية وسرية تدعوا الى الاستقلال الذاتي للعـرب وجعل اللغة العربية لغة رسمية في المدارس والمحاكم والقيام باصلاحات تامة في البلاد العربية • اما المثقفون العرب الذيـن يريدون الاستقلال الكامل فقد كانت نسبتهم قليلة ، ومما لاشك فيه فان الخطر الاستعماري الأوربي والصهيوني جعل اغلب المثقفين العرب من مدنيين وعسكريـين يرغبون ان تحصل الأقاليم العربية على الحكم اللامركزي في ظل الدولـة العثمانيـة •

وفي العـراق تأسست عـدة جمعيات علنية تدعوا الى الحكـم اللامركزي والاصلاح خاصة في مجال الثقافة والصحة ، وكانت البصرة اهـم مراكز الجمعيات المعارضة لحكم الاتحاديين بسبب ضعف السلطة فيها «٧٦» • وعلى العموم فان الاتحاديين فشلوا في احكام سيطرتهم على العراق • ومن اهم ولاة هذه الفترة ناظم باشا ١٩١٠ — ١٩١١ م الـذي قام بعدة اصلاحات منها محاولته منع النزاعات بين القبائل •

ان النهج العنصري لجماعة تركيا الفتاة وابعادهم الضباط العرب من المناصب المهمة في الجيش واضطهادهم للعـرب الذين يطالبون بحكـم لامركزي ، واصرارهم على سياسة التتريك جعل اعضاء الجمعيات العربية السرية والعلنية يفكرون بالاستقلال التام «٧٧» ، والتعاون في سبيل ذلك مع بريطانيا وهذا ماحدث فعلاً في عام ١٩١٦ م بقيام الثورة العربية في الحجاز بقيادة الشريف حسين ضد الأتـراك •

لقد تخبط الاتحاديين في سياستهم الداخلية والخارجية وفشلوا في

محاولتهم المحافظة على وحدة اقاليم الامبراطورية وصد الخطر الأوربي وخاصة بعد فشلهم في الحرب مع ايطاليا في ليبيا خلال سنتي ١٩١١ ـ ١٩١٢ م «٧٨» • ان الأطماع الأوربية في احتلال الولايات العثمانية والتحريض على الثورة ، جعل الاتحاديين يتحالفون مع المانيا التي كانت في حالة تنافس استعماري مع كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا

ولما اندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ بين المانيا والنمسا من جهة وروسيا وفرنسا وبريطانيا من جهة اخرى انضمت الدولة العثمانية الى جانب المانيا على امل المحافظة على سلامة اقاليم الامبراطورية واسترجاع الأقاليم التي احتلتها بريطانيا وفرنسا «٧٩» • الا ان نتيجة الحرب في عام ١٩١٨ كانت هزيمة المانيا وحلفائها مما ادى الى تصفية الامبراطورية العثمانية ووقوع العراق في ظل الاحتلال الانكليزي •

اما موقف العراقيين من الحرب فقد أيد اغلبهم الأتراك لدوافع دينية وشاركوا في الحرب ضد الانكليز الا ان سوء معاملة القادة الأتراك لهم جعل اغلب الناس ينفضون عن المشاركة في الحرب «٨٠» •

احوال مصر خلال الفترة ١٧٩٨ ـ ١٩١٤م/١٢١٣ ـ ١٣٣٢هـ

الاحتلال الفرنسي ١٧٩٨ ـ ١٨٠١ م

بقيت مصر ولاية عثمانية منذ سنة ١٥١٧ م وحتى نهاية القرن الثامن عشر ، تتصف احوالها العامة بالتخلف والجمود العام وعدم الاستقرار السياسي بسبب تنازع قادة المماليك حول الحكم • ان ضعف مصر العسكري وعدم قدرة الدولة العثمانية من حمايتها جعل فرنسا

تطمع باحتلال مصر وذلك لأهمية موقعها الحيوي بين البحرين الاحمر والأبيض المتوسط وكان من اهداف فرنسا قطع خط المواصلات بين بريطانيا والهند واتخاذ مصر قاعدة لانشاء امبراطورية فرنسية في الشرق الاوسط «١» • واما حجة فرنسا في غزو مصر فهي الانتقام من المماليك حكام مصر لأنهم حسب ادعاء الحكومة الفرنسية اضطهدوا التجار الفرنسيين كما ادعت فرنسا بانها تريد تخليص الشعب المصري من ظلم المماليك «٢» •

وقد قاد الحملة الفرنسية البالغ عدد افرادها حوالي ٣٦ ألف رجل الجنرال نابليون بونابرت ووصلت الحملة الى الاسكندرية في حزيران ١٧٩٨ ونزلت الى البر واحتلت الاسكندرية بسهولة وتقدمت الحملة نحو القاهرة والتقت بجيش المماليك في الجيزة قرب القاهرة وجرت معركة الاهرام الحاسمة وخسر جيش المماليك لأنه جيش متخلف من ناحية التسليح والتنظيم العسكري والقيادة • وقد احتل الفرنسيين القاهرة بدون مقاومة «٣» • وفي أول آب ١٧٩٨ حطم الأسطول الفرنسي الرأسي في ميناء الاسكندرية من قبل الأسطول الانكليزي وبذلك انقطع الاتصال بين جيش نابليون وفرنسا مما جعل نابليون يعتمد على موارد مصر الاقتصادية في اعالة جيشه وفرضت الضرائب الباهضة على السكان مما ادى الى تذمر المصريين من الاحتلال •

لقد اتبع نابليون في البداية سياسة المجاملة والتظاهر باحترام التقاليد الاسلامية من اجل تخفيف المقاومة للاحتلال الا ان الضرائب

العالية واهانة الجنود الفرنسيين للاهالي ، واعتبار الفرنسيين كفار واعداء للاسلام ، ادت هذه العوامل الى ثورة اهـل القاهرة في شهر تشريـن الأول ١٧٩٨ م وانضم الى هذه الثورة عدد كبير من الفلاحين والبدو الا ان جيش نابليون استطاع اخماد الثورة بعد ضرب جامع الأزهر بالمدفعية ومقتل عـدة الاف من السكان «٤» •

ان رفض السلطان العثماني سليم الثالث للاحتلال الفرنسي لمصـر واعلانـه الحرب على فرنسا وهجمات المماليك على الحاميات الفرنسـية ادى ذلك الى تصاعد المقاومـة الشعبية للاحتلال • لقـد شعر نابليون بصعوبة موقفه في مصر وحاول احتلال فلسطين الا انـه فشل وعاد الى مصر وانتصر على حملة عثمانية جائت لمحاربة الفرنسيين ، ومع ذلك فان التحالف العثماني الانكليزي والمقاومة الداخلية زاد من حراجـة موقف القوات الفرنسية • وفي اب ١٧٩٩ م عـاد نابليون سـراً الى فرنسـا لاضطراب اوضاعها الداخلية ، وتولى قيـادة القوات الفرنسية الجنرال كليبر الـذي انتصر على القوات التركيـة التي جائت لمحاربته في اذار ١٨٠٠ م واخمد بوحشية انتفاضة سكان القاهرة ، وفي حزيران ١٨٠٠ م اغتيل كليبر على يـد سليمان الحلبي وخلفه الجنرال جاك مينو الـذي اندحرت قواته امام القوات الانكليزية والتركية مما اضطره الى التفاوض مع الدولة العثمانية حول جلاء القوات الفرنسية عن مصر واعادتها الـى فرنسا ، وعقدت اتفاقية العريش حول ذلـك وتـم الجـلاء في ايـلول ١٨٠١ م «٥» • ان نتائج الحملة الفرنسية لهـا اهمية كبيرة في اغلـب

النواحي ، ففي الجانب السياسي ايقظت الشعب المصري من حالة الجمود والتخلف وجعلتـه يشعر بالقوة والنهضة الأوربية وبتميز مصالحـه عن المماليك والأتـراك . وقـد ادى الاحتلال الى اضعاف طبقة المماليك مما أدى الى زوالها فيما بعـد . وفي الناحيـة الثقافية انشأ نابليون عـدة صحف وجلب مطبعة وأسس عدة مستوصفات ونظم ديوان للحكـم في القاهرة شارك فيه اعيان القاهرة وجلب معه عدد من العلماء في مختلف الاختصاصات العلمية والانسانية . وقد درس علماء الحملة مختلف نواحي الحياة المصرية ووضعوا كتاباً ضخماً عن مصر (وصف مصر) كمـا ظهرت عند الفرنسيين فكرة ربط البحرين الأحمر والأبيض المتوسط بقناة توصل بينهما «٦» .

مصر في عهد محمد علي ١٨٠٥ – ١٨٤٨م/١٢٢٠ – ١٢٦٤هـ

كان محمد علي بـن ابراهيم اغـا الباني الأصـل ، وقد ولـد في عام ١٧٦٩ م في مدينة قوله في مقدونيا واشتغل في شبابه بتجارة الدخان ولمـا احتل نابليون مصر صدرت اوامر السلطان العثماني الى حاكـم قولـه بجمع الجنود لارسالهم الى مصر من اجل محاربة الفرنسيين وقـد انضم محمد علي الى الوحدة الألبانية ضمن الجيش العثماني الذاهب الى مصر وبالنظر لشجاعته وكفائته وطموحه ترقى بسرعة وصار قائداً لفرقة البانية تتكون من اربعة الاف رجـل . وعندما انسحب الجيش الفرنسي بقيت في مصر ثلاث قوات هي التركية والانكليزية والمماليك . وقـد حـدث صـراع بـين هـذه القوى حول الحكـم وسانـدت القوات

الانكليزية المماليك ضد الأتراك حيث كان الانكليز يريدون اخضاع مصر عن طريق اعوانهم من بعض المماليك الا ان الجيش الانكليزي انسحب من مصر عام ١٨٠٢ بموجب معاهدة الصلح بين بريطانيا وفرنسا «٧» • وبقي الاتراك والمماليك حيث كانت الدولة العثمانية تريد ارجاع سيطرتها التامة على مصر لذلك اوعزت الى الوالي التركي بابادة المماليك • وقد حدثت حرب عنيفة بين الاتراك والمماليك وانحازت في هذا الصراع الفرقة الألبانية ضمن الجيش التركي الى جانب المماليك مما ادى الى هزيمة الأتراك «٨» • وسيطرت على الحكم في أيار ١٨٠٣ سلطة ثلاثية تتكون من قائدين من المماليك ومحمد علي قائد الفرقة الالبانية • وعاد المماليك الى ممارسة حكمهم المستبد وفرضوا الضرائب الباهضة على المصريين مما ادى الى انتفاضة اهالي القاهرة بقيادة المشايخ والأعيان ضد المماليك وانضم محمد علي وقواته الى جانب المصريين لذلك هزم المماليك «٩» • وقد انتخب مجلس اعيان القاهرة محمد علي نائباً للوالي العثماني خورشيد باشا ، الا ان ظلم الوالي وقواته الانكشارية ادى الى ثورة اهل القاهرة وساند محمد علي الشعب لذلك اختاره شيوخ القاهرة والياً على مصر في ايار ١٨٠٥ م واضطر السلطان العثماني سليم الثالث الى الموافقة على ذلك «١٠» ، لعدم قدرته على ازاحة محمد علي بسبب ضعف الدولة العثمانية وكثرة مشاكلها • وعندما حاول الانكليز غزو مصر في اذار ١٨٠٧ م بقوة خمسة آلاف جندي فشلوا امام قوات محمد علي وانسحبوا من الاسكندرية وبذلك اصبح

محمد علي بطلاً شعبياً «١١» • وترسخت سلطة محمد علي بتخلصه من كافة العناصر المعارضة وخاصة المماليك الذيـن قضى عليهم نهائياً سنة ١٨١١ م في مذبحة غادرة •

لقد اعتمد محمد علي على العناصر غير المصرية من البان واتـراك وجراكسة في ادارة الحكـم وقيادة الجيشـ ولـم يشغل المصريون الا الوظائف الصغيرة ، اما في الجيش فلـم يدخلوا الا كجنود وبعد مـدة طويلة من حكم محمد علي •

ان الثقافة العصريـة الواسعة لمحمد عـلي جعلته يعمل على انهاض احوال مصر من اجل جعلها قوة عسكرية واقتصاديـة قادرة على تحقيق طموحاته في انشاء دولة عصرية تستطيع الدفاع عن نفسها • وكانت سلطة محمد علي تتصف بالاستبداد وتسخير كـل امكانيات مصر في بنـاء امبراطوريـة لـه ولعائلتـه • وكانت مشـكلة محمد عـني في تحقيق اصلاحاته تمكـن في قلة الأفـراد المثقفين والمؤهلين للقيام بالاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية • ان تجربة محمد علي الاصلاحية باقتباس بعض مظاهر الحضارة الأوربية الحديثة وادخالها الى مصر لها اهمية كبيرة في احتكاك مصر بالمدنية الأوربية وتحديث المجتمع المصري •

اصلاحات محمد علي

الجيش :

ان الجانب العسكري كـان محور اهتمام محمد عني فقـد عمـل على انشاء جيش حديث من حيث النظام والسلاح وقادراً على مجابهـة

الجيوش الأوربية الحديثة وتحقيق طموحات محمد علي الأمبراطورية ، وقد استعان محمد علي بالضباط الفرنسيين في تدريب جيشه • وقد انشأت معامل يدوية لتلبية حاجات الجيش المختلفة •

كما فتحت مدارس عسكرية ومهنية لأختصاصات الطب والهندسة والبيطرة ، وبنى اسطولاً في الاسكندرية لحماية السواحل المصرية وكان جيش محمد علي يتألف من الألبان والأتراك والجراكسة ثم جند السودانيين وفي بداية الثلاثينات جند المصريين كجنود وضباط صغار ولم يرقوا الى مرتبة الضباط الكبار ، وقد نجح محمد علي في بناء جيش كبير متقدم نسبياً حقق به انتصارات عسكرية كبيرة ، ومعظم أصلاحات محمد علي كانت لخدمة أغراض الجيش «١٢» •

الزراعة :

لقد حول محمد علي ملكية اغلب الأراضي الزراعية الى ملكية خاصة للدولة ووزعت الأراضي على الفلاحين من اجل زراعتها بالمحاصيل التي تحددها لهم الدولة وتأخذ الحكومة قسم من المحصول كضريبة وتشتري القسم الاخر بأسعار زهيدة وبذلك تكون استفادة الفلاح من زرعه قليلة مما اضعف الحافز الأنتاجي وصارت الحالة المعاشيه للفلاح اسوا من العهود السابقة «١٣» • وقد اقطع محمد علي اراضي واسعة لأقاربه واتباعه وخلق طبقة اقطاعية جديدة تسند حكمه «١٤» • وقد استصلحت اراضي واسعة وشقت القنوات والجداول • وفي عام ١٨٣٣ بدأ العمل بانشاء القناطر على نهر النيل عند رأس الدلتا واكملت القناطر

عام ١٨٦٦ مما ادى الى جعل الزراعة في الدلتا دائمية بدلاً من الموسم الزراعي الواحد في السنة .

الصناعة :

لقد شيد محمد علي العديد من المصانع والمعامل اليدوية لأنتاج السلاح والمنسوجات وغير ذلك ، وقد اعتمد على الأجانب وخاصة الفرنسيين في ادارة المعامل ومع ذلك لم تحدث نهضة صناعية في مصر على غرار الثورة الصناعية في اوربا ويرجع ذلك الى عدم وجود طبقة برجوازية صناعية في مصر ولأن الحكام الذين خلفوا محمد علي لم يسيروا على نهجه ، بالاضافة الى المنافسة الصناعية الأوربية «١٥» .

وقد احتكرت الدولة تجارة الجملة في الداخل واكثر بضائع التصدير الى الخارج وخاصة القطن والبن وفرضت ضرائب باهضة على مختلف الحرف والمهن مما ادى الى انتشار الفقر والجوع والبطالة وقد هرب عدد كبير من الفلاحين الى سوريا للتخلص من الفقر والسخرة والارهاب في مصر «١٦» .

ان اصلاحات محمد علي في المجالات العسكرية والاقتصادية والثقافية تطلبت اعداد كبيرة من الأفراد المتعلمين تعليماً عصرياً ولمختلف الاختصاصات التي يحتاجها الجيش بالاضافة الى حاجة ادارة الدولة للمتعلمين . وقد فتح محمد علي العديد من المدارس للطب والهندسة والصيدلة واللغات والصنائع بالاضافة الى المدارس العسكرية لتخريج الضباط .

وقـد ارسل محمد علي خلال عهده اكثر من ثلثمائةطالب الى اوربا وخاصة الى فرنسا وذلـك للدراسة في مختلف الاختصاصات وخاصـة العسكرية منها • وقـد كان هؤلاء الطلاب عامل مهم في اقتباس مصر لبعض المظاهر الحضاريـة الحديثة في اوربا ، كمـا جلبت مطبعة لطبع الكتب وفي عام ١٨٢٨ صدرت صحيفة الوقائع المصريـة باللغه العربية • وقـد رعى محمد علي اللغة والأدب التركي اكثر من اللغة العربية وذلك يرجع الى ان محمد علي والطبقة الحاكمة كانوا من اصول غير عربية وليس عندهم اي شعور قومي عربي لـذا فان انشاء محمد علي لامبراطوريـة لايرجـع الى الرغبة في تحقيق الوحـدة العربية بـل لخدمـة العائلـة الحاكمة «١٧» •

وفي الناحيـة الادارية انشأ محمد علي مجالس ودواويـن لادارة اجهزة الدولـة منها دواوين لادارة الجيش والمدارس والتجارة ويراس كل ديوان موظف كبير ، وقـد قسمت مصر الى سبع مديريات يحكـم كـل منها مدير • وتتركز السلطة المطلقة بيد الوالي محمد علي الـذي بقى ولائـاً اسمياً للسلطان العثماني ويدفـع الجزيـة البسـيطة للسلطان «١٨» •

حروب محمد علي

الحرب الوهابية :

في بداية القـرن التاسع عشـر سيطر الوهابيون بقيادة آل سعود حكام نجد على الحجاز وتعطلت مواسـم الحج بسبب تعرض الوهابيين

لقوافل الحج ، والوهابيون هم اتباع محمد بن عبد الوهاب الذي عاش في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي والذي دعا الى اعادة الأفكار والتقاليد الاسلامية الى ماكانت عليه ايام الرسول محمد (ص) ونبذ كل ماستجد على العقيدة الاسلامية في العصور التي تلت وفاة النبي محمد (ص) وقد اعتبر الوهابيون كل من لايؤمن بمذهبهم كافراً يستحق العقاب • وقد قام الوهابيون بغارات على اطراف العراق والشام وفشلت الدولة العثمانية وولاتها في العراق والشام في القضاء على الحركة الوهابية • ولما كان والي مصر محمد علي باشا يملك قوة عسكرية واوضاعه الداخلية والخارجية جيدة فقد طلب السلطان محمود الثاني من محمد علي ان يغزو نجد ويقضي على الوهابيين وقد استجاب محمد علي لطلب السلطان وذلك لأن القضاء على الوهابيين سوف يرفع من سمعته في العالم الاسلامي ، كما يتخلص من جنوده غير النظاميين «١٩» • وفي عام ١٨١١ م ارسل محمد علي حملة عسكرية بقيادة ابنه طوسون استطاعت هذه الحملة من احتلال الحجاز الا ان الوهابيين هزموها لذلك اضطر محمد علي في سنة ١٨١٣ ان يأتي بنفسه على رأس قوة كبيرة تمكنت من تحقيق بعض الانتصارات على الوهابيين الذين ينقصهم السلاح والتنظيم العسكري الحديث • وقد استمر الوهابيون في المقاومة العنيدة وعاد محمد علي الى مصر عام ١٨١٥ وتولى ابنه ابراهيم باشا قيادة الجيش وتمكن ابراهيم من الحاق الهزيمة بالوهابيين واحتلال (الدرعية) عاصمتهم في سنة ١٨١٨ وقد اسر

القائـد الوهابي عبدالله بن سعود واعـدم في اسطنبول بأمر السـلطان العثماني «٢٠» •

لقد كانت الحرب الوهابية طويلة وشاقه في بلاد صحراوية واسعة وفقد خلالهـا جيش محمد علي عشرات الالاف من افـراده من جـراء الحرب والجوع والمرض ومع ذلك ادت هـذه الحرب الى توطيد سلطة محمد علي في مصر وارتفاع مكانته في العالم الاسلامي •

فتح السودان ١٨٢٠ – ١٨٢٢ :

بعد الانتهاء من الحرب الوهابية قرر محمد علي فتـح السودان وضمه الى مصر والدافع وراء ذلك البحث عن الذهب والحصول عـلى العاج وريش النعام وتجنيد السودانيين في جيشه «٢١» • وقـد تمكن الجيش المصري بقيادة اسماعيل بـن محمد علي من فتح البلاد بسهولـة لعدم وجود مقاومـة منظمة ولأن اسلحة السودانيين كانت بدائية ولكن اسماعيل قتل ، وقام الفاتحون باعمال سلب ونهب وقتل واسعة كرد على مقتل ابـن محمد علي «٢٢» • وقـد انشأت مدينة الخرطوم كعاصمة للسودان وظل السودان تابعاً للحكم المصري حتى الثورة المهدية عـام ١٨٨١ م • وعندما احتلت بريطانيا السودان عـام ١٨٩٦ م صارت ادارة السودان مشتركة بين بريطانيا ومصر ولكن السلطة الفعلية كانت بأيـدي الانكليز حتى استقلال السودان عام ١٩٥٦ •

حرب اليونان :

كانت بـلاد اليونان تابعـة الدولـة العثمانية وفي سـنة ١٨٢١ م

اندلعت في اليونان انتفاضة وطنية تحررية ، وعجزت القوات التركية من قمع الانتفاضة وطلب السلطان العثماني من محمد علي مساعدته في القضاء على الثورة اليونانية ، وقد لبى محمد علي الطلب وذلك من أجل تعزيز مكانته الدولية وتوسيع امبراطوريته وغادرت الحملة المصرية بحراً بقيادة ابراهيم باشا ونزلت في جزيرة كريت سنة ١٨٢٤ وفي السنة التالية بدات القوات المصرية والتركية العمليات الحربية المشتركة ضد الثوار اليونانيين واحتلت مدينة اثينا عام ١٨٢٧ م وكاد يقضي على الثورة اليونانية «٢٣» ، وفي هذه الأثناء تدخلت كل من بريطانيا وروسيا وفرنسا نتيجة ضغط الراي العام الأوربي المتعاطف مع الثوار اليونانيين ، وقد طلبت الدول الأوربية من الدولة العثمانية منح اليونان الاستقلال الذاتي الا ان السلطان رفض ذلك مما أدى الى قيام الأساطيل الأوربية (الفرنسية والبريطانية والروسية) في تشرين الأول ١٨٢٧ م بمهاجمة الاسطولين التركي والمصري واغراقهما وبذلك انقطع خط الرجعة القوات المصرية . وقد حصلت اليونان على الاستقلال الذاتي عام ١٨٢٩ ثم الاستقلال الكامل بعد ذلك بقليل . وقد عادت القوات المصرية الى مصر في ايلول ١٨٢٨ م بعد ان فقدت حوالي ثلاثين ألف قتيل بالاضافة الى الاسطول الذي اغرق «٢٤» .

الحرب في سوريا ١٨٣١ - ١٨٣٩ :

كان محمد علي يطمح بضم سوريا الى دولته والاستفادة من موارد سورية البشرية والاقتصادية وتأمين حدود مصر الشرقية ، وقد طلب

محمد علي من السلطان العثماني منحه سوريا تعويضاً عن الخسائر المصرية في حرب اليونان الا ان السلطان محمود الثاني رفض ذلك وقد اتخذ محمد علي من هرب ستة آلاف فلاح مصري الى فلسطين وحماية عبدالله الجزار والي عكا لهم ، حجة لفتح سوريا وفلسطين «٢٥» وفي سنة ١٨٣١ م تقدم الجيش المصري بقيادة ابراهيم باشا واحتل اغلب أجزاء سورية بسهولة وتمكن من الانتصار على الجيش التركي في قونية عام ١٨٣٢ م واضطره على الانسحاب الى الأناضول ولما حاول ابراهيم الزحف الى الاستانة ، تدخلت الدول الأوربية الكبرى وخاصة روسيا وبريطانيا من اجل حماية السلطان حيث كانت روسيا تريد السيطرة على المضائق التركية ، كما ان بريطانيا تريد ابقاء طريقها الى الهند تحت سيطرة الدولة العثمانية الضعيفة ولاتسمح بسيطرة دولة قوية على الشرق الأوسط وبتدخل الدول الأوربية الكبرى عقد الصلح بين السلطان العثماني ومحمد علي حيث اقر السلطان حكم محمد علي لمصر وسوريا وكريت والحجاز وسحب جيوشه من المناطق الاخرى «٢٦»

وقد بذل ابراهيم باشا جهوده من اجل تنظيم ادارة بلاد الشام الا ان الضرائب الباهضة التي فرضها على السكان وتجنيدهم في صفوف جيشه ونزع سلاح الاهالي كل ذلك ادى الى قيام ثورات عديدة ضد حكم ابراهيم باشا . وكانت بريطانيا والدولة العثمانية تشجعان الثوار وتمدهم بالسلاح . وانشغل ابراهيم باشا بقمع الثورات خاصة في فلسطين ولبنان . وفي عام ١٨٣٩ ارسلت الدولة العثمانية جيشاً كبيراً

من اجــل استرجاع حكمها على بــلاد الشام ، وقــد جــرت في منطقة نصيبين معركة بــين القوات المصرية بقيادة ابراهيم باشا وبين الجيشــ التركي الذي خسر المعركة وسلم قائــد الاسطول العثماني اسطوله الــى محمد علي ومات السلطان العثماني محمود الثاني في هذه الاثناء «٢٧» ، ان انتصار محمد علي أثار الــدول الكبرى وخاصة بريطانيا وروســيا والنمسا والتي وضعت خطة مشتركة لضرب محمد علي واعادة الحكــم العثماني على الولايــات التي ضمها محمد علي الى امبراطوريته وقــد اتفقت الدول الاوربية المــارة الذكر مــع الدولة العثمانية على توجيــه انذار مشترك الى محمد علي بسحب جيوشه من كافة الأقاليم التي يحكمها ويكتفي بحكم وراثي في مصر . ولمــا كان محمد علي لايملك الامكانيات العسكرية والمادية لمجابهة الدول الأوربية ، لذلك رضخ لتهديدها وسحب جيوشه من الشام والحجاز وعقدت معاهدة لندن عام ١٨٤٠ بخصوص ذلك وقلص جيش محمد علي وأعيــد الاسطول التركي الى الــدولة العثمانية واعترف محمد علي بتبعيته للسلطان العثماني وتعهد بدفع جزية ســنوية كبيرة «٢٨» .

وقد ظل محمد علي واليا على مصر وبالنظر لشيخوخته فقد أصبحت السلطة الفعلية بيد ابنه ابراهيم باشا خلال عقد الاربعينات وتولى ابراهيم الحكم رسمياً عام ١٨٤٨ م ولكنه توفي بعد ثلاثة اشهر . اما محمــد علي فقد توفي في ٢ آب ١٨٤٩ م / ١٢٦٥ هـ وآلت السلطة الى حفيده عباســ باشا بــن طوسون وكــان عباســ باشا على عكــس جــده في

كافة الأمور وابطل والغى معظم اصلاحات جـده «٢٩» •

مصر خلال الفترة ١٨٤٩ – ١٨٨٢م / ١٢٦٥ – ١٢٩٩هـ

النفوذ الاجنبي :

شهدت مصر في هذه الفترة تزايد النفوذ الانكليزي والفرنسي الذي يرمي الى السيطرة على مصـر اقتصادياً والتأثير على الحكم من اجل السيطرة على طريق المواصلات الى الهند • وبالنسبة للنفوذ الفرنسي فقد كان قوياً في عهد محمد علي وابنه ابراهيم وذلك لأن فرنسا كانت تؤيد ولو بشكل غير فعال سياسة محمد علي ضـد الباب العالي (الدولـة العثمانية) وبريطانيا • كما ان محمد علي استعان بعدد كبير من الخبراء والفنيين الفرنسيين من مدنيين وعسكريين وصار لهؤلاء الفرنسيين نفوذ في ادارة جهاز الحكـم ، وكان بعض الرأسماليين الفرنسيين يريدون فتـح قناة عبر السويس الـى البحر الأبيض المتوسط ولكن محمد علي كـان يرفض فتح القناة لمـا تسببه من تدخل اوربي في شؤون مصر «٣٠» •

وفي عهـد عباس باشا ١٨٤٨ – ١٨٥٤ م ضعف النفوذ الفرنسي وذلك لأن هـذا الوالي كان موالياً للسلطان العثماني حليف بريطانيـا يومئذ • وقد سمح عباس باشا للانكليز بمد سكة حديد بين الاسكندرية وميناء السويس لنقل حمولات السفن الانكليزية «٣١» • وصار لهـذا الخط اهمية كبيرة لتجارة وبريد بريطانيا مـع الهند • وقـد اخـذت بريطانيا تعمل على بسط نفوذها السياسي والمـالي على مصر والعمـل

على ابعاد المنافسين الفرنسيين • وفي عهد سعيد باشا ضعف النفوذ الانكليزي بسبب ميول سعيد الى فرنسا ولكن نفوذ بريطانيا ازداد كثيراً في اغلب المجالات في عهد اسماعيل باشا مما مهد الطريق امام بريطانيا لاحتلال مصر عام ١٨٨٢ م •

عهد سعيد باشا ١٨٥٤ – ١٨٦٣ م

كان سعيد باشا بن محمد علي فرنسي الميول والثقافة وفور وصوله الى الحكم منح امتياز حفر قناة السويس الى الرأسمالي الفرنسي (دي ليسبس) • وقد قدمت مصر حوالي نصف رأسمال شركة القناة بالاضافة الى سوق عشرات الالاف من الفلاحين المصريين لحفر القناة بشكل اجباري وبدون مقابل ، وقدمات من جراء العمل الشاق في حفر القناة اكثر من عشرين الف فلاح وهذا ادى الى بغض الأجانب بين الفلاحين المصريين «٣٢» •

وقد بدأ حفر القناة عام ١٨٥٩ وافتتحت للملاحة عام ١٨٦٩ م واصبحت القناة مهمة جداً للمواصلات البحرية بين اوربا وآسيا ، وكانت الحكومة المصرية تملك حوالي نصف اسهم شركة القناة الا ان الخديوي اسماعيل باشا باعها الى بريطانيا بمبلغ زهيد وبذلك تكون مصر قد خسرت كثيراً من الناحية البشرية والمادية وصارت ادارة القناة بأيدي الفرنسيين والانكليز «٣٣» • وفي الناحية الاقتصادية حدثت زيادة في الصادارت وخاصة القطن كما زاد انتاج صناعات النسيج والسكر ، وتطورت الملاحة بزيادة عدد السفن التي ترسوا بالموانيء

المصرية وخاصة ميناء الأسكندرية • وقـد ظلت مصر قطر زراعي يصدر المواد الخام وخاصة القطن الى اوربا الغربية وهذا ادى الى تبعية مصـر اقتصادياً الى دول اوربا الصناعيـة •

وقـد عمل سعيد باشا علي اعادة الاصلاحات ، كما الغى الـرق وتجارة الرقيق واصلح نظـام الملكية الزراعية والضرائب والغى مابقي من نظـام الاحتكارات الذي اوجـده محمد علي وبذلـك اعطى حريـة التجارة «٣٤» • وسمح للفلاح ان يزرع مايريد من الغلات وزاد عـدد أفراد الجيش وسمح للمصريين ان يترقوا الى مرتبة الضباط الكبار «٣٥»

وفي حقل التعليم افتتحت العديد من المدارس الحديثة وزاد عـدد المثقفين وصارت اللغة العربية اللغة الرسمية الوحيدة وانتعشت حركـة دراسة الأدب والتاريخ العربي وصدرت صحف عديدة وزاد عدد المطابع التي أخذت تطبع بعض كتب التراث العربي الاسلامي وصارت مصـر وكذلك لبنان في مقدمة البلاد العربية في مجال نشر التراث الاسلامـي والصحافـة والطباعـة •

عهد اسماعيل باشا ١٨٦٣ — ١٨٧٩ م

لقد واصل اسماعيل بن ابراهيم باشا سياسة عمه في ميوله الفرنسية والقيام بالاصلاحات خاصة في مجال الجيش والتعليم والاعمال العمرانية الا ان هذه الاصلاحات لـم تؤدي الى نهضة حقيقية لأنهـا كانت في اغلبهـا سطحية تهدف الى تكويـن انطباع عند الاوربيين بأن مصـر تسير في طريق المدنية الحديثة • وفي عهـد اسماعيـل حدثت مجاعـة واسـعة

عام ١٨٧٧ م ادت الى موت عدة الاف من السكان • وقـد ادت النفقات الباهضة التي صرفها اسماعيل باشا على الاصلاحات الى اقتراض مبالـغ كبيرة من البنوك الأوربية وبفوائد عاليـة «٣٦» • وعجز اسماعيل عـن ايفاء الديون الاجنبية مما ادى الى التدخل الاجنبي في شؤون مصـر . واضطر اسماعيل في سنة ١٨٧٦ الى القبول بانشاء هيئة رقابة انكليزيـة فرنسية على مالية البلاد وتطورت الرقابة عام ١٨٧٨ الى تعيين وزير بريطاني للمالية وآخـر فرنسي للاشغال ، وهذا يعني نهب موارد مصر وخضوعها الى الاجانب •

وقـد حاول اسماعيـل باشا الوقوف بوجـه التدخل الأوربي في الشؤون الداخلية لمصر «٣٧» ، مما ادى الى غضب بريطانيـا وفرنسا • وقـد طلبت هاتين الدولتين الاستعماريتين من السلطان العثماني عبـد الحميد الثاني خلع الخديوي اسماعيل من منصبه على اساس ان مصـر لاتـزال ولايـة عثمانية وقـد استجاب السـلطان للطلب البريطانـي الفرنسي وخلع اسماعيل عام ١٨٧٩ م بدون ان يبدي مقاومة وخلفه ابنـه توفيق الذي اصبح اداة بأيدي الانكليز •

مصر في عهد الاحتلال البريطاني ١٨٨٢ - ١٩١٤ / ١٢٩٩ - ١٣٣٢ هـ

لقد ادت الديون الاجنبية الى استنزاف اقتصاد مصر ، فقد زادت الضرائب من اجل سد الديون ، وتدهورت الحالة المعاشية لاغلب السكان بما في ذلك افراد الجيش • وقـد ادت هذه الظروف الى ظهور حركـة وطنية خلال اعوام ١٨٧٩ - ١٨٨٢ م بقيادة الضابط احمد عرابي ورفاقه

العسكريين . لقد كانت حركة عرابي تهدف في البداية الى مساواة الضباط المصريين مع الضباط الجراكسة في الرتب والمناصب العسكرية ودفع الرواتب في موعدها «٣٨» .

وقد تحولت حركة الضباط الى حركة وطنية عامة بفعل تدهور الحالة الاقتصادية للبلاد وزيادة تدخل الاجانب في شؤون مصر وكذلك استبداد الخديوي والفئة المساندة له واغلبها من العناصر غير المصرية . وقد وصل قادة الحركة الوطنية الى الحكم في شباط ١٨٨٢ م عندما الف محمود سامي البارودي الوزارة برئاسته كان فيها احمد عرابي وزيراً للحربية «٣٩» . واخذت الحكومة الوطنية تحاول اصلاح الاوضاع الاقتصادية للبلاد . وقد وقف الخديوي توفيق ضد هذه الحكومة الوطنية لأنه اعتبرها تهديد لمنصبه ونزعته المطلقة في الحكم . كما ان الدول الأوربية وخاصة بريطانيا وفرنسا وقفت ضد حركة عرابي واعتبرتها خطراً على مصالحها وديونها . وكانت فرنسا قد تنازلت عن اطماعها في مصر لصالح بريطانيا مقابل تأييد الأخيرة لها في احتلال تونس ، كما ايدت المانيا والنمسا بريطانيا في احتلال مصر ، اما الدولة العثمانية فقد كانت عاجزة امام الاطماع البريطانية . وقد اخذت بريطانيا تخطط لاحتلال مصر بالاتفاق مع الخديوي توفيق من اجل اسقاط الحكومة الوطنية . وقد ادعت بريطانيا ان حياة الاجانب في مصر صارت في خطر وان احمد عرابي متمرد على السلطان العثماني والخديوي توفيق الا ان الاهداف الحقيقية لبريطانيا من احتلال مصر

كانت السيطرة على قناة السويس واستيفاء الديون الأجنبيه • وفي تموز عام ١٨٨٢ بدا الغزو البريطاني بقيام الاسطول الانكليزي بقصف مدفعي لمدينة الاسكندرية وادى القصف الى مقتل عدة الاف من السكان والنزوح الى داخل البلاد «٤٠» •

وقد حاول احمد عرابي تنظيم المقاومة الوطنية والدفاع عن البلاد الا ان الموقف المساند للغزاة الذي وقفه الخديوي والطبقة الاستقراطية بالاضافة الى ضعف الجيش المصري من ناحية التسليح والقيادات الحربية ادى ذلك الى انتصار الجيش البريطاني في معركة التل الكبير شرق القاهرة في ايلول ١٨٨٢ م واحتلت مدينة القاهره وقبض على عرابي وجماعته وحكموا بالاعدام ثم بدل قرار الحكم الى النفي المؤبد في جزيرة سيلان ، وقد رجع عرابي وجماعته من المنفى الى مصر في عام ١٩٠١ وتوفي عرابي في ايلول ١٩١١ م «٤١» •

بعد احتلال الانكليز القاهرة رجع الخديوي توفيق الى حكمه وهو خاضع لمشيئة الانكليز ، وصار القنصل البريطاني اللورد كرومر ١٨٨٣ ـ ١٩٠٧ الحاكم الفعلي للبلاد طيلة ربع قرن • لقد ادعت بريطانيا ان احتلالها لمصر مؤقت وانها ستنسحب عندما سمح الظروف ومن الناحية القانونية ظلت مصر معتبرة ولاية عثمانية • وقد كانت الادعائات البريطانية بالانسحاب من مصر غير صحيحة فقد صارت مصر من الناحية الواقعية مستعمرة لبريطانيا وبقيت المظاهر الخارجية للاستقلال الوطني قائمة ومتمثلة بوجود الخديوي ومجلس وزراء ومجلس نيابي والجيش

والعلم الوطني •

لقـد عملت بريطانيا على استغلال ونهب ثروات مصـر وخاصـة القطن ، «٤٢» كمـا عرقلت النمو الصناعي من اجـل ابقاء مصر سوق لتصريف البضائع الانكليزية • وفي اواخر القرن التاسع عشر صارت مصر ملاذاً للقوميين العرب الهاربـين من بطش السلطات العثمانية في الشام ، وأسس هؤلاء عـدداً من الجمعيات القوميـة العربية التي تهـدف الى استقلال البلاد العربية ، امـا في مصـر نفسها فلم تظهر حركة قوميـة عربيـة •

لقد تميزت السنوات الأولى للاحتلال البريطاني بعدم وجود مقاومة وطنية بسبب سياسة الارهاب والقمـع التي اتبعتها السلطات المصريـة الخاضعة للقنصل البريطاني وكذلـك مسانـدة الطبقات الغنية والمتنفذة للمحتلين الانكليز • وقد عانى اغلب السكان من الجوع والفقر وطغيان السلطة الحاكمـة •

وفي تسعينات القرن التاسع عشر ظهرت حركة وطنية مصرية تهدف الى التخلص من الاحتلال البريطاني • وقد اتخذ زعماء الحركة الوطنية مثل محمد عبده ومصطفى كامل وغيرهـم من الصحافة وسيلة للتوعيـة الوطنية والمطالبة بالجلاء البريطاني عن مصر • وبعد حادثة دنشواي سنة ١٩٠٦ توسعت الحركة الوطنية ، وفي حادثة دنشواي اعدم كرومر القنصل البريطاني عدداً من الفلاحين المصريين لأنهم تجرأوا على رد اعتداء قام بـه بعض الانكليز «٤٣» • وقـد ادت تلك الحادثة الى احتجاج وطني

واسع واستنكار دولي لاستبداد القنصل البريطاني الذي عزل عام ١٩٠٧ م
وقـد برز مصطفى كامل في العمـل الصحفي وصار ابـرز زعماء الحركة الوطنية المصرية التي تهدف الى جلاء القوات البريطانية عن مصر ، والف مصطفى كامل حزباً وطنياً معارضاً للحزب الذي شكله اتبـاع الانكليز من الطبقة الاستقراطية • وتوفي مصطفى كامل عام ١٩٠٨ •
لقد كان لثورة جماعـة الاتحاد والترقي في تركيا عام ١٩٠٨ تأثير على نهوض الحركة الوطنية المصرية ومطالبتهـا بدستور يضمن بعضـ الحريات في البلاد • وفي عام ١٩٠٩ بـدات السلطة الحاكمة بايحاء من الانكليز في اتخاذ اجراءات عنيفة ضـد الحركة الوطنية ، فقـد منعت الصحافة الوطنية وتعرض الوطنيين الى السجن والنفي «٤٤» • وهـذه السياسة القمعية ادت الى اشتداد قبضة الانكليز وقد لجأ بعض الوطنيين الى الخارج بينما عمل بعضهم في النضال السري فاغتالوا بطرس غالـي رئيس الوزراء الموالي للانكليز واستغل الانكليز ذلك في اثارة النزاعات الطائفية بين المسلمين والمسيحيين الأقباط لأن بطرس غالي كان من الأقباط وقـد ظلت مصر خاضعة للاحتلال البريطاني ، ولمـا حدثت الحـرب العالمية الأولى عـام ١٩١٤ م انحازت الدولة العثمانية الى جانب المـانيا ضد بريطانيا لذلك اعلنت الأخيرة حمايتها على مصر وقطع علاقـة مصر بالدولة العثمانية وعزل الخديوي عباس الثاني بن توفيق المتعاطف مـع الأتراك «٤٥» • وقـد اعلنت سلطات الاحتلال البريطاني في مصـر الأحكام العرفية وزجت بالوطنيين في السجون •

وقـد سخرت بريطانيا موارد مصر الاقتصادية وطـرق المواصلات لخدمة مجهودها الحربي ، كما جندت عشرات الالاف من العمال والفلاحين المصريين للعمل في خدمة القوات البريطانية التي تحـارب الأتـراك في جبهة سيناء وفلسطين ومناطق اخرى «٤٦» .

وبعد الحرب العالمية الاولى بدات حركة وطنية قوية اجبرت بريطانيا على اعـلان استقلال مصر في سنة ١٩٢٢ الا ان الاستقلال لـم يكـن تامـاً وبقي للانكليز تفوذ كبير في البـلاد حتى ثورة عـام ١٩٥٢ .

الملامح العامة لعلاقات مصر والعراق خلال القرن التاسع عشر وبدايـة القرن العشرين

في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي كان يحكم العراق ومصر حكام من المماليك ضمن اطار الدولة العثمانية ، وقـد كان المماليك في العراق يحكمون بشكل فعلي ورسمي ، فالوالي واركان حكمـه من المماليك ولكـن سلطة المماليك في العراق كانت ضعيفة وذلك يرجـع الى ثورات القبائـل ومقاومـة الأسـر المحلية الحاكمة وقلـة عـدد المماليك . اما في مصر فقد كان حكم المماليك له جذور قديمة ويحكمون مصر بصورة فعليـة بينما السلطة رسمياً بيد الوالي العثماني الـذي ليس له من السلطة سوى الاسم ، وسلطة المماليك في مصر كانت قويـة وذلك لكثرة عددهم وعدم وجود مقاومة محلية ذات شأن ، ولذلك كان المماليك المصريين اكثر تعصباً وانغلاقاً عن السكان ، بينما المماليك في العراق كانوا اقل تعصباً واكثر انفتاحاً ولهم علاقات جيدة مـع عناصر

عديدة من السكان وخاصة اهل بغداد • والحكام المماليك في كلا القطرين ساروا على نهج اقليمي انعزالي ولم يهتموا بايجاد علاقات اقتصادية او اجتماعية او ثقافية او سياسية بين القطرين ، فقد تجاهل مماليك مصر الغزوات الفارسية للعراق ، كما ان المماليك في العراق في عهد سليمان الكبير لم يهتموا للغزو الفرنسي لمصر عام ١٧٩٨ واكتفى سليمان الكبير بارسال الأموال الى اسطنبول لتصرفها الحكومه العثمانية على اعداد جيش لمحاربة الفرنسيين في مصر «٤٧» • وكان الشعب في كلا القطرين يجهل مايجري من احداث في القطر الاخر على الرغم من ان الفئات الحاكمة كان لها علم محدود بالاحداث الكبيرة كالغزو الخارجي •

لقد ادت الهجمات الوهابية على اطراف العراق الجنوبية وخاصة استباحة مدينة كربلاء عام ١٨٠٢ وكذلك الهجمات الوهابية على قوافل الحج القادمة من العراق والشام ومصر والبلدان الاسلامية الاخرى منذ اوائل القرن التاسع عشر وتعطل الحج ، وقد ادت هذه الامور الى سخط العالم الاسلامي على الوهابيين ، ولما كان السلطان العثماني يعتبر نفسه قائداً للمسلمين فقد اثارته قضية تعطل الحج وحادث كربلاء عام ١٨٠٢ واتخاذ الفرس من ذلك ذريعة للتدخل في شؤون العراق «٤٨» • وقد تطلعت الشعوب الاسلامية في كل انحاء العالم الاسلامي الى السلطان العثماني لمحاربة الوهابيين في نجد ، ولما كانت الدولة العثمانية في حالة ضعف وتجابه ثورات عديدة فقد طلبت من الولاة

المماليك في بغداد ان يغزو الوهابيين في عقر دارهم في نجد ويقضوا عليهم ، وقد جهز هؤلاء الولاة وخاصة سليمان الكبير وخلفه علي باشا عدة حملات انتهت الى الفشل ، وذلك لأن القوات المرسلة لمحاربة الوهابيين كانت في الغالب عشائرية تفتقر الى الانضباط والتنظيم والقيادة الواحدة الكفوءة وينقصها السلاح الحديث والتجهيزات المادية والغذائية اللازمة في حروب الصحراء «٤٩» . كما ان انشغال الولاة المماليك بأحداث العراق الداخلية وخاصة ثورات العشائر ومجابهة الاعتداءات الايرانية جعلهم ـ اي الولاة ـ غير قادرين على وضع حد للغزو الوهابي لاطراف العراق الجنوبية وحماية قوافل الحج .

وازاء عجز المماليك في العراق عن محاربة الوهابيين وبالنظر لاوضاع مصر المستقرة وعدم وجود تهديد خارجي لها ، فقد طلب السلطان العثماني محمود الثاني من والي مصر محمد علي باشا ان يغزو نجد ويضع حد لنشاط الوهابيين . وقد استجاب محمد علي لطلب السلطان لان القضاء على الوهابيين يرفع من مكانته في العالم الاسلامي وفي نفس الوقت يتخلص من قواته غير النظامية ويتاح له المجال لبناء جيش حديث . وبدات حرب محمد علي مع الوهابيين عام ١٨١١ م وكانت في البداية سجالاً بين الطرفين وكانت حرباً متقطعة انتهب في عام ١٨١٨م باحتلال القوات المصرية بقيادة ابراهيم باشا مدينة الدرعية مقر آل سعود زعماء الحركة الوهابية المعادية للحكم العثماني . وقد وسع ابراهيم باشا رقعة الاحتلال الى منطقة الاحساء في شرق الجزيرة العربية

والتابعة لوالي بغـداد داود باشا ، ولـم يقبل داود باشا باحتلال قوات ابراهيم باشا للاحساء ، لذلك طلب من السلطان العثماني محمود الثاني ان يأمر محمد علي بسحب قواته من الاحساء وتـم الانسحاب «٥٠» .

وعندما حدث العـدوان الايراني على العراق في اعوام ١٨٢٠ ــ ١٨٢٣ م طلب السلطان العثماني من محمد علي ارسال قوات عسكريـة لمساعدة داود باشا في صد الغزو الايراني الا ان محمد علي لم يستجب لطلب السلطان وتعلل ببعد المسافـة بين مصر والعـراق وقوة الفرس وانشغاله في الاستعداد لارسال حملة الى كريت .

لقد كانت العلاقة غير ودية بين محمد علي وداود باشا وذلك يرجع لأسباب عديدة منها ابادة محمد علي للمماليك في مصر واحتضان محمد علي لاحـد المعارضين لحكم داود باشا ، كما ان محمد علي ايـد موقف السلطان محمود الثاني المعادي لـداود باشا ولـم يطلب السلطان مـن محمد علي مساعدتـه في محاربة داود باشا لأن موقف محمد علي مـن السلطان لايختلف من الناحية الواقعية عن موقف داود باشا الـذي يهدف الى الاستقلال عن الدولة العثمانية . كما ان التفكير الاقليمي لكل من محمد علي وداود باشا لم يتح المجال لاقامة علاقات ايجابية بين البلدين . وعلى الرغم من ان كلا القائديـن من اصـل غير عربي الا انداود باشا اقـرب الى المنهج القومي العربي الحديث وذلـك لأن داود باشا كـان عالمـاً في الأدب والتاريخ العربي وشجع ادباء اللغة العربية ولـم يدخل العراق كفاتـح على راس جيشـ كما هي الحالـة بالنسبة لمحمد علي ،

وكان داود باشا ايجابياً في تعامله مع عرب العراق وكل السكان ، بينما محمد علي كان يجهل اللغة العربية واعتمد في ادارة دولته وقيادة جيشه على العناصر غير العربية من البانية وتركية وجركسية وتعمد في ابعاد العرب عن المشاركة في ادارة الحكم والقيادات العسكرية ، ومال الى الاداب التركية وتصرفت قواته في سوريا والسودان كما تتصرف قوات الاحتلال الاجنبية .

وبعد سقوط حكم المماليك في العراق عام ١٨٣١ م طلب محمد علي من السلطان محمود الثاني تعيين بكر بك الكركوكلي اللاجيء في مصر والمعارض لداود باشا في منصب والي بغداد الا ان السلطان رفض ذلك وعين علي رضا باشا والياً على العراق . ولما احتل محمد علي الشام عام ١٨٣٢ على اثر هزيمة القوات العثمانية ارسل الى عدد من الأمراء الاكراد وشيوخ القبائل يحرضهم على الثورة ضد الحكم العثماني «٥١». الا ان مساعي محمد علي لم تنجح وتمكن الوالي العثماني علي رضا من فرض حكمه المباشر على انحاء العراق . والجدير بالذكر ان العلامة العراقي الكبير محمود شكري الالوسي انتقد محمد علي باعتباره متمرداً ضد السلطان العثماني الذي يمثل حسب وجهة نظره الحكم الاسلامي . ولما اخذت بريطانيا في الثلاثينات تعمل على انزال باخرتين في اعالي نهر الفرات في شمال غرب الشام الى العراق عارض محمد علي ذلك لأنه يشكل تدخلاً اجنبياً في شؤون حكمه للشام الا ان الضغط البريطاني والعثماني اجبره على السماح لبعثة الكابتن جزني الملاحية

بمواصلة العمل في مسح نهر الفرات .

وبعد استسلام محمد علي عام ١٨٤٠ م وانسحابه من الشام واعترافه بالولاء للسلطان العثماني لـم يحدث بين العـراق ومصر اي اتصال او علاقات سياسية او اجتماعية اما العلاقات التجارية فكانت ضعيفة جداً .

ان الاختلاف في الوضعية السياسية لكلا القطرين هو ان العراق يحكمه والي يتبع السلطان مباشرةً وينفذ كل اوامره ، بينما والي مصر حكمه وراثي وقوي ونفوذ السلطان عليه محدود لذلك كانت مصر شبه مستقلة عن الدولة العثمانية الا انهـا صارت تتعرض للنفوذ الانكليزي والفرنسي ، ومما لاشك فيه فان موقـع مصر الجغرافي بين البحريـن الأبيض المتوسط والأحمر ووجود قناة السويس عبر الاراضي مصر وما لها من اهمية حيوية في المواصلات البحرية بـين اوربا واسيا ، جعل النفوذ الاجنبي فيها قوياً بينما العراق بسبب موقعه الجغرافي البعيد عن اوربا والحكم العثماني المباشر عليه فقد كان النفوذ الاجنبي في العراق اقل بكثير مما في مصر، كما ان موقع مصر القريب من اوربا واستقلالها الفعلي عن الدولة العثمانية ، جعلها تحتك بالحضارة الأوربية الحديثة اكثر من العراق وخاصة في مجال الصحافـة والطباعة والمدارس الحديثة على ان ضعف مصر العسكري والسياسي جعل علاقاتها مع اوربا الغربية لغير صالحهـا بـل لصالح بريطانيا وفرنسا وجعلهـا تتأثر بالنواحي السلبية للمدنيـة الأوربية مثل الملاهي ودور الفساد وسكن حثالات الأوربيين في اراضيها وخاصة في مدينة الاسكندرية «٥٢ » .

لقد اخذ النفوذ البريطاني السياسي والاقتصادي يتصاعد في كلا القطرين وكان في مصر اقوى مما في العراق بسبب وجود قناة السويس والديون الانكليزية ، ووقعت مصر تحت الاحتلال الانكليزي عام ١٨٨٢ م وظلت محتلة الى مابعد الحرب العالمية الأولى • امـا النفوذ البريطاني في العراق في القرن التاسع عشر ولو انـه اكبر من نفوذ ايـة دولة اوربية اخـرى الا انـه اضعف بكثير مما في مصر وذلك لأن العراق بقي تابعاً للدولة العثمانية ، ومع ذلك فان العراق صار هدفاً للاطماع البريطانيـة وبـدا الاحتلال البريطاني للعراق بعد نشوب الحرب العالميـة الأولى ، وبذلك اصبح كـلا القطريـن تحت السيطرة البريطانية في خلال سنوات الحرب العالمية الاولى والسنوات القليلة التي تلتها •

امـا عن علاقة العراق ومصر بالحركة القومية العربية التي ظهرت في اواخر القرن التاسع عشـر والتي كانت تهدف الى تخليص البـلاد العربية من الحكم التركي العثماني وتحقيق الوحدة العربية ، فان الحركة القومية العربية لـم تظهر بداياتها في مصر او العـراق وانما في بـلاد الشام «٥٣» ، وذلك لأن الشام بالاضافـة الى احتفاظها بالتراث العربي الاسلامي فان معاناتها من الحكم التركي المستبد وموقعها الجغرافي على البحر المتوسط مكنها من الاتصال والاحتكاك بالأفكار القومية في اوربا وخاصة في فرنسا ، كل هذه العوامـل ادت الى سبق سورية في ظهور الحركة القومية العربية ، وبالنسبة للعـراق فان عـدم اتصاله بالمدينـة الأوربية الحديثة والافكار القومية بسبب موقعه الجغرافي البعيد وقلة

معاناته من الحكم العثماني والطابع العشائري للمجتمع العراقي ، ادى ذلك الى تأخر العراق عن الشام في نشوء الوعي القومي ، ومع ذلك فان الحركة القومية ظهرت في العراق مباشرة بعد سوريا ، اما مصر فان حكامها غير العرب من اسرة محمد علي الذين ساروا على نهج اقليمي في مختلف المجالات ، وتعرض مصر للاحتلال البريطاني ، جعل الحركة الوطنية في مصر لاتحمل افكار القومية العربية بل تهدف الى التخلص من الاحتلال البريطاني بمساعدة الدولة العثمانية «٥٤» . بينما كان القوميون العرب في الشام والعراق يناضلون ضد الحكم التركي ويأملون بمعونة من بريطانيا في سبيل التخلص من السيطرة العثمانية ، وبناء دولة عربية تضم العراق والشام والجزيرة العربية ولذلك ايد القوميون العرب تحالف امير مكة الشريف حسين مع الانكليز ضد العثمانيين ، وساهم هؤلاء القوميون في الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ وحاربوا في الحجاز والشام ضد القوات التركية . وقد كان العراقيون يشكلون اكبر نسبة من الضباط العرب في الجيش العثماني «٥٥» ، وانضم عدد كبير منهم الى الجمعيات القومية العربية وشاركوا الشريف حسين في الحرب ضد الاتراك .

اما دور المصريين في الجمعيات القومية العربية والثورة العربية عام ١٩١٦ بقيادة الشريف حسين فهو دور محدود ، ومن ابرز المصريين الذين عملوا في الجمعيات القومية العربية هو عزيز علي المصري الضابط في الجيش العثماني ، واصله من الجراكسة القفقاسيين هاجر جده من

البصرة الى مصر «٥٦» • وكان عزيز المصري في البداية مؤيداً للعثمانيين ويأمل بالمساعدة العثمانية في تخليص مصر من الاحتلال البريطاني ، الا ان الخصومة الشخصية بينه وبين بعض زعماء الاتحاد والترقي الحكام الجدد في الدولة العثمانية «٥٧» ، ادت الى فصل عزيز المصري من الجيش العثماني وكاد ان يعدم لولا احتجاج بريطانية والشخصيات العربية ومنها العراقية في الاستانة «٥٨» • ، وقد افرج عنه وعاد الى مصر ، ولما قامت الثورة العربية عام ١٩١٦ م طلب منه الانكليز الاشتراك في الحرب ضد الاتراك وانضم فعلاً الى الشريف حسين في مكة ، الا انه انسحب بعد فترة قليلة بسبب نزاعاته الشخصية مع الشريف حسين «٥٩»، وعدم ايمانه بالثورة ولشكه بنوايا الانكليز • والواقع ان عزيز المصري لم تكن عنده نزعة قومية عربية بل ان الصحافة البريطانية والمصرية وغيرها صورته كقومي عربي بينما هو في الحقيقة لم يكن كذلك ، فقد كان يريد الابقاء على الدولة العثمانية على ان تمنح القوميات المختلفة الاستقلال الذاتي وكان يريد التعاون مع المانيا ، ويبدوا ان عزيز علي المصري كان شخصاً مغامراً له طموحات شخصية محضة «٦٠» •

لقد كانت الصحافة المصرية التي سمح لها الانكليز بنقد الدولة العثمانية تكتب مقالات عديدة عن احوال العراق ، بينما الحكم العثماني لم يسمح بقيام صحافة حرة الا بعد انقلاب ١٩٠٨ ولفترة قصيرة ، لذلك كانت كتاباتها عن احوال مصر قليلة •

وبعد الحرب العالمية الأولى جائت مرحلة جديدة في العلاقات

المصرية العراقيــة تختلف نوعياً عن العصور السابقة فقد اصبــح كــلا القطريــن العراقي والمصري مستقل نسبياً واقيمت العلاقات في مختلف المجالات ، وفي خمسينات القــرن الحالي صار كــلا البلديــن مستقل تماماً وتطورت العلاقات بشكل واســع في كافة النواحي السياســية والاقتصاديــة والثقافيــة والاجتماعيــة .

هوامش الباب الثالث

١ ـ هوامش الفصل الأول

١ ـ دكتور محمد انيس ، الدولة العثمانية والشرق العربي ص١٣ـ١٤

٢ ـ المصدر السابق ، ص١٨

٣ ـ المصدر السابق ص٢٠

٤ ـ المصدر السابق ص٣٦

٥ ـ المصدر السابق ص٤٨ـ ٥ والدكتور عبدالقادر احمد اليوسف، العلاقات بين الشرق والغرب ص٢٤٥.

٦ ـ الدكتور محمد انيس، المصدر السابق ص٥٦ـ٥٨ و د. عبدالقادر احمد اليوسف ص٢٤٨

٧ ـ د. محمد انيس ، ص١٠٦.

٨ ـ محمد عبدالمنعم السيد الراقد ، الغزو العثماني لمصر ونتائجه على الوطن العربي ص٢٣٣

٩ ـ س.هـ. لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمه جعفر خياط ص٣٢

١٠ـ لونكريك ، ص٣٤ـ٣٥ وعباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين الجزء الرابع ص٣٦ـ٣٧

١١ـ لونكريك ، ص٧٣

١٢ـ عباس العزاوي ، تاريخ العراق ، الجزء الرابع ص١٧١ـ١٧٥ ولونكريك ص٧٦

١٣ـ عباس العزاوي ، تاريخ العراق ، الجزء الرابع ص١٧٩ـ١٨٠ ولونكريك ، ص٧٧ـ٧٩

١٤ـ عباس العزاوي ، تاريخ العراق ، جـ٤ ص٢٢٧ـ٢٢٩ ولونكريك ص٩٨

١٥ـ العزاوي ، تاريخ العراق جـ٥ ص٢٤١ـ٢٤٢ ولونكريك ص١٧٥ـ١٧٦

١٦ــ العزاوي ، تاريخ العراق جـ٥ ص٢٦٧ــ٢٦٩ ولونكريك ص١٨٥
١٧ــ محمد عبدالمنعم السيد الراقد ، الغزو العثماني لمصر ، ص١٧٦ــ١٧٧ ومحمد انيس ص١١٢
١٨ــ السيد الراقد ص١٨٨ــ١٩٨ ومحمد انيس ص١١٣ــ١١٤
١٩ــ السيد الراقد ص٣٤١
٢٠ــ المصدر السابق ص٢٧٣ ومحمد انيس ص١٤٦
٢١ــ محمد انيس ص١٥٨ــ١٥٩ والسيد الراقد ص٢٨٩ــ٢٩٠
٢٢ــ جلال يحيى ، مصر الحديثة ١٥١٧ــ١٨٠٥ ، ص١٥٧ والسيد الراقد ص٢٧٩
٢٣ــ السيد الراقد ص٢٩٢ــ٢٩٥
٢٤ــ المصدر السابق ص٢٩٥، و ص٣١٤ وجلال يحيى ، مصر الحديثة ص١٢٠
٢٥ــ السيد الراقد ص٣٤٢ــ٣٤٣
٢٦ــ المصدر السابق ص٤١٦ــ٤١٩
٢٧ــ جلال يحيى ص٢٢٩ ولوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية الحديثه ص٣٠ــ٣١
٢٨ــ جلال يحيى ص٢٤٣ و د. رأفت غنيمي الشيخ ، في تاريخ العرب الحديث ص١٦١ ولوتسكي ، ص٣٧
٢٩ــ جلال يحيى ، ص٢٦٨ــ٢٧٠ و د. رأفت غنيمي الشيخ ص١٦٦. ولوتسكي ص٣٩
٣٠ــ جلال يحيى ، ص٢٤٥ و د. رأفت الشيخ ص١٧٣ــ١٧٤
٣١ــ الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار ، مصر والعراق دراسة في تاريخ العلاقات بينهما حتى نشوب الحرب العالمية الاولى ص٦٦
٣٢ــ المصدر السابق ، ص٦٤

٢ ــ هوامش الفصل الثاني المتعلقة بموضوع العراق (١٧٥٠ــ١٩١٤)

١ ــ د. رأفت غنيمي الشيخ ، في تاريخ العرب الحديث ، ص٦٤

ولونكريك ، اربعة قرون ص١٥٤–١٥٥

٢ ــ علاء موسى كاظم نورس ، حكم المماليك في العراق ١٧٥٠–١٨٣١ ص٢٩

٣ ــ علاء نورس ، المصدر السابق ص٣٠

٤ ــ المصدر السابق ، ص٣٢

٥ ــ العزاوي ، تاريخ العــراق بين احتلالين ، جـ٦ ص٦٥ ولونكريك ص٢٠٧.

٦ ــ علاء نورس ، ص٢١٠–٢١١

٧ ــ العزاوي ، تاريخ العراق ، جـ٦ ص٧٩–٨١

٨ ــ لونكريك ، اربعة قرون مــن تاريخ العــراق الحديث ، ص٢٣٥ وعلاء نورس ص٤٥

٩ ــ لونكريك ، ص٢٤٦ وعلاء نورس ص٤٧

١٠ــ العزاوي ، تاريــخ العــراق ، جـ٦ ص١٣٣ ولونكريــك ص٢٥٩ وعلاء نورس ص٥٤

١١ــ العزاوي ، المصــدر الســابق جـ٦ ص١٤٦ ولونكريــك ص٢٦١ وعلاء نورس ص٥٧ ولوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية الحديث ص٨٠

١٢ــ علاء نورس ص٧٤–٧٥

١٣ــ المصدر الســابق ص٨٠ ولونكريــك ص٢٧٣ والعزاوي ، جـ٦ ص٢٠٠

١٤ــ لونكريك ص٢٨١ وعلاء نورس ص٨٥

١٥ــ الدكتور يوسف عزالدين ، داود باشــا ، ص٤٣–٤٥ ولونكريك ص٢٨٢ وعلاء نورس ص٨٩–٩٠

١٦ــ اونكريك ص٨٩ ويوسف عزالدين ، ص٤٠ و د. عبدالعزيز نوار، داود باشا ص٤٢

١٧ــ يوسف عزالدين ، داود باشا ص٤٢

١٨ـ علاء نورس ، ص٩٣ وعبدالعزيز نوار ، داود باشا ص٦٧
١٩ـ يوسف عزالدين ، ص٤٦ وعبدالعزيز نوار ص٦٧
٢٠ـ العزاوي ، تاريـــخ العـــراق ، جـ٦ ص٢٤٨ و ص٢٦٣ـ٢٦٤
وعبدالعزيز نوار ص١٠٠ ويوسف عزالدين ص٤٧
٢١ـ العزاوي ، جـ٦ ص٢٨٨ وعبدالعزيز نوار ص١١٥
٢٢ـ علاء نورس ، ص١٧٩ـ ١٨ وعبدالعزيز نوار ص١٤٥ـ١٤٦
٢٣ـ علاء نورس ص٢١٤ـ٢٣٧ وعبدالعزيز نوار ص١٧٤ـ١٧٥
٢٤ـ لوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية الحديث ص٩٠ وعلاء نورس ،
ص١٦٧
٢٥ـ العزاوي ، جـ٦ ص٢٤٥ـ٢٤٦ وعلاء نورس ص١٠٦ وعبدالعزيز
نوار ص٨٤ وص١٧٠
٢٦ـ العـــزاوي ، جـ٦ ص٢٨٨ـ٢٨٩ ولونكريـــك ، ص٢٩٧ـ٢٩٨
وعبدالعزيز نوار ص١١٥ـ١١٦
٢٧ـ العزاوي ، جـ٦ ص٢٦٧ وعلاء نورس ص١٠٨ وعبدالعزيز نوار
داود باشا ص٢١٣ـ٢١٤
٢٨ـ لوتسكي ص٨٩ وعبدالعزيز نوار ، داود باشا ص٢١٣ـ٢١٤
٢٩ـ عبدالعزيز نوار ، المصدر السابق ص١١٣
٣٠ـ علاء نورس ، ص٢٣٧ـ٢٣٨ ويوسف عزالدين ص٥٤
٣١ـ علاء نورس ، ص٢٤٢ـ٢٤٣
٣٢ـ المصدر السابق ص١١٣ ويوسف عزالدين ، ص٥٣ـ٥٤
٣٣ـ عبدالعزيز نوار ، داود باشا ، ص٣٢٣ وعلاء نورس ص١٣٢
٣٤ـ يوسف عزالدين ، داود باشا ، ص٥٢ وعلاء نورس حكم المماليك ،
ص١٤١
٣٥ علاء نورس ، ص١٤٣ وعبدالعزيز نوار ، داود باشا ، ص٣١٣
٣٦ـ عبدالعزيز نوار ، المصدر السابق ص١٠١
٣٧ـ يوسف عزالدين ، ص٥٦ وعلاء نورس ، ص٢٥٠

٣٨ـ يوسف عزالدين داود باشا ص٤
٣٩ـ علاء نورس ، ص٢٥٣ وعبدالعزيز نوار ، داود باشا ، ص٢٥١
٤٠ـ علاء نورس ص٢٥٥
٤١ـ عبدالعزيز نوار ، مصدر سابق ص٢٩٩
٤٢ـ المصدر السابق ص٢٦٠ وعلاء نورس ص٢٥٨
٤٣ـ عبدالعزيز نوار ، مصدر سابق ص٢٦٦ وعلاء نورس ص٢٦٢
٤٤ـ لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق ص٣٢٧ وعلاء نورس ، ص٢٦٨
٤٥ـ عبدالعزيز نوار ، مصدر سابق ص٣١٥ وعلاء نورس ص١٤٤
٤٦ـ ا.ج. جرانت وهارولد تمبرلي ، أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين ـ الجزء الاول ترجمة بهاء فهمي ، ص٤١٥ـ٤١٦
٤٧ـ لونكريك ، ص٣٧٨ فما بعد
٤٨ـ العزاوي ، تاريخ العراق : جـ٦ ص٣٢٨ـ٣٢٩ ويوسف عزالدين ص٦١
٤٩ـ العزاوي ، جـ٧ ص٣٨ـ٤٠ ولونكريك ، ص٣٣٤
٥٠ـ العزاوي ، جـ٧ ص٦٦ـ٦٧ ولونكريك ، ص٣٤٥ـ٣٤٦
٥١ـ عبدالعزيز نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص١٥٥ـ١٥٦
٥٢ـ المصدر السابق ، ص٢٤٥ ولونكريك ، ص٣٥١
٥٣ـ عبدالعزيز نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص٢٦١
٥٤ـ لونكريك ، اربعة قرون ، ص٣٥٢ ولوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية ، ص١٧٢
٥٥ـ العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، جـ٧ ص١٥٣ ولونكريك ص٣٥٦ـ٣٥٧
٥٦ـ عبدالعزيز نوار ، مصدر سابق ص٣٠٣ فما بعد
٥٧ـ الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار ، التاريخ السياسي لمشكلة الحدود الشرقية للوطن العربي في شط العرب ص٨٧

٥٨- عبدالعزيز نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ٣٤٣

٥٩- الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار ، ص٧٥ ولوتسكي، ص١٧١

٦٠- لوتسكي ، مصدر سابق ص١٦٩

٦١- لوتسكي ، ص١٧٢ وسعيد عبود السامرائي ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العراقي ، ص٢٢ فما بعد

٦٢- عبدالعزيز نوار ، مصدر سابق ، ص٣٩٠

٦٣- العزاوي ، ج٧ ص٢٤٠-٢٤١ ولونكريك ص٣٥٩

٦٤- العزاوي ، ج٧ ص٢٤٥-٢٥٣ وعبدالعزيز نوار ، ص٣٧٦-٣٧٧

٦٥- لوتسكي ، ص٣٨٠

٦٦- العزاوي ، الجزء الثامن ، ص٥٤-٥٧ وفيصل محمد الارحيم ، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين ، ص٧٠-٧١

٦٧- العزاوي ، ج٨ ص٢٢٣-٢٢٤ ولوتسكي ، ص٣٨٨-٣٨٩ ولونكريك ص٣٨٤

٦٨- العزاوي ، ج٨ ص٢٤٧-٢٤٨ وفيصل محمد الارحيم ص١٦٠

٦٩- الدكتور عبدالله الفياض ، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ، ص٦٨

٧٠- د. محمد انيس ، الدولة العثمانية ، ص١٧٢-١٧٣ وجورج لنشوفسكي ، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية ، الجزء الأول ، ترجمة جعفر خياط ص٤٥-٤٦

٧١- فيصل محمد الأرحيم ، ص٣٣

٧٢- لوتسكي ، ص٤٠٧ وفيصل محمد الأرحيم ص٢٣٤

٧٣- العزاوي ، ج٨ ، ص٢٣٢-٢٣٣ وص٢٣٨-٢٣٩

٧٤- العزاوي ، ج٨ ص١٧٠-١٧١ وفيصل محمد الأرحيم ، ص٢٣٩

٧٥- فيصل محمد الأرحيم ، ص٢٤٠

٧٦- العزاوي ، ج٨ ص٢٤٦ وفيصل محمد الارحيم ص٢٥٢ وعبدالله الفياض ص١١١

٧٧- لوتسكي ، ص٤١٢-٤١٤ وفيصل محمد الارحيم ص٢٥٣
٧٨- لوتسكي ، ص٤٠٦
٧٩- جورج لنشوفسكي ، الشرق الاوسط ، جـ١ ص٧٢
٨٠- عبدالله الفياض ، ص١٥٤-١٥٦

هوامش الفصل الثاني المتعلقة بموضوع مصر ١٧٩٨-١٩١٤

١ - لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ص٤٤-٤٥ والدكتور جلال يحيى ، العالم العربي الحديث ، الجزء الاول ،ص٧١-٧٢
٢ - لوتسكي ، ص٤٦-٤٧ ، وجلال يحيى ، العالم العربي ، ص٧٤، ومحمد عبدالرحمن حسنين ، نضال شعب مصر ١٧٩٨-١٩٥٦ ، ص١١
٣ - لوتسكي ، ص٤٩
٤ - لوتسكي ، ص٥٢ ومحمد عبدالرحمن ، نضال شعب مصر ،ص١٦
٥ - لوتسكي ، ص٥٥
٦ - جلال يحيى ، ص٧٣-٧٥ ودكتور محمد عبدالرحمن البرج ، دراسة في التاريخ العربي الحديث والمعاصر ، ص٣٨
٧ - لوتسكي ، ص٥٨
٨ - لوتسكي ، ص٥٩ ومحمد عبدالرحمن حسين ، مصدر سابق ص٢١-٢٢
٩ - لوتسكي ، ص٦١ ومحمد عبدالرحمن حسين ص٢٤
١٠- لوتسكي ، ص٦٢-٦٤ ومحمد عبدالرحمن حسين ص٢٨-٣٠
١١- لوتسكي ، ص٦٤
١٢- ز.ي. هرشلاغ ، مدخل الى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الاوسط ص١٠٨
١٣- لوتسكي ، ص٧١-٧٢ وجلال يحيى ، ص١٠٠
١٤- لوتسكي ، ص٦٥ وهرشلاغ ، مدخل الى التاريخ الاقتصادي ص١٠٨-١٠٩

١٥- هرشلاغ ، ص١١٨-١١٩

١٦- لوتسكي ، ص٧٢

١٧- د. حسين مؤنس ، مقالة (عودة العربي الى مكانه في التاريخ) في كتاب وماذا بعد اكتوبر ص٦٦

١٨- لوتسكي ، ص٧٢

١٩- جلال يحيى ، العالم العربي الحديث ص٨٤ ولوتسكي ص١٠٢-١٠٣

٢٠- لوتسكي ، ص١٠٦-١٠٧ ومحمد انيس ، الدولة العثمانية ، ص٢٣٣

٢١- لوتسكي ، ص١١٣

٢٢- جلال يحيى ، ص٩٣ ولوتسكي ص١٠٥.

٢٣- لوتسكي ، ص١٢١ .

٢٤- المصدر السابق ص١٢٣

٢٥- هرشلاغ ، مدخل الى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الاوسط ص١٢٣.

٢٦- د. محمد عبدالرحمن البرج ، دراسة في التاريخ العربي ، ص٤٢ ولوتسكي ص١٢٩-١٣٠ ولنشوفسكي ، الشرق الاوسط في الشؤون العالمية جـ١ ص٣٦

٢٧- محمد عبدالرحمن البرج ، ص٤٣ ولوتسكي ص١٣٩.

٢٨- البرج ، ص٤٤ ولوتسكي ، ص١٤٤

٢٩- جلال يحيى ، ص١٠٨ ولوتسكي ص١٨٤

٣٠- هرشلاغ ، ص١٦٨ .

٣١- لوتسكي ، ص١٨٥

٣٢- لوتسكي ص١٨٨ وجلال يحيى ، ص٢٨٦-٢٨٧

٣٣- جلال يحيى ، ص٢٨٩ ولوتسكي ، ص١٩٢

٣٤- لوتسكي ، ص١٩٧ وجلال يحيى ، ص١٠٨-١١٠

٣٥- لوتسكي ، ص١٩٧ ومحمد زايد ، الحركة الوطنية المصرية وتحرير مصر من السيطرة الاجنبية ، ص٢ ، طبع رونيو ، من ابحاث المؤتمر الدولي للتاريخ والآثار بغداد - ١٩٧٣

٣٦- لوتسكى ، ص٢٢٧-٢٣١ وجلال يحيى ، ص٢٩٠-٢٩٣ ومحمد عبدالرحمن حسين ، نضال مصر ، ص٤٠-٤١

٣٧- لوتسكى ، ص٢٤٨ ومارى رولات ، مؤسسو مصر الحديثة ص٢٢-٢٣

٣٨- لوتسكى ، ص٢٤٠-٢٤٣ ومارى رولات ، ص٢٨-٣٠ ومحمد عبدالرحمن حسين ، ص٤٦

٣٩- جلال يحيى ، ص٣١٨ ومحمد عبدالرحمن حسين ،ص٥٤ ومارى رولات ص٤٥

٤٠- مارى رولات ص٧٠ ومحمد عبدالرحمن حسين ص٥٩

٤١- مارى رولات ص١٢٤

٤٢- لوتسكى ص٢٨٢-٢٨٤

٤٣- جلال يحيى ، ص٣٥٤ ولوتسكى ص٢٩١

٤٤- جلال يحيى ، ص٣٥٨ ، ولوتسكى ، ص٢٩٤

٤٥- محمد عبدالرحمن حسين ، ص٨١ ومحمد زايد ، الحركة الوطنية المصرية ، ص١٤

٤٦- محمد عبدالرحمن حسين ، ص٨١-٨٢ ولوتسكى ، ص٤٤٦-٤٤٧

٤٧- د. عبد العزيز نوار ، مصر والعراق ، ص٨٥

٤٨- علاء نورس ، حكم المماليك فى العراق ، ص٥٨

٤٩- علاء نورس ، ص٦٧ ولونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص٢٧٦-٢٧٧

٥٠- عبدالعزيز نوار ، مصر والعراق ، ص١٠٧

٥١- المصدر السابق ص١٥٠-١٥١ ولوتسكى ص١٧٠

٥٢ـ لوتسكي ، ص١٩٦ ومحمد عبدالرحمن حسين ، ص٤٠ وماري رولات ص٢١

٥٣ـ محمد عبدالرحمن البرج ، دراسة في التاريخ العربي الحديث ص٩٢ ومحمد انيس الدولة العثمانية والشرق العربي ص٢٦٦ـ٢٦٧

٥٤ـ محمد انيس ، ص٢٧١ ومحمد زايد ، الحركة الوطنية المصرية ص٧

٥٥ـ محمد انيس ص٢١٨ ولوتسكي ص٤١٢

٥٦ـ مكي حبيب المؤمن ، وزميله ، طلائع يقظة الامة العربية ص٨

٥٧ـ المصدر السابق ، ص٢٢ ومحمد عبدالرحمن البرج ص١٣٨

٥٨ـ مكي حبيب المؤمن ص١٦ والبرج ص١٣٠ـ١٣٩

٥٩ـ مكي حبيب المؤمن ، ص٢٩ـ٣٠

٦٠ـ المصدر السابق ص٨٣

المصادر والمراجع

اولاً ـ مصادر الباب الأول (العصور القديمة)

١ ـ الأحمد ، سامي سعيد : تاريخ فلسطين القديم . بغداد ـ١٩٧٩

٢ ـ ابراهيم ، نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣ (سورية) دار المعارف بمصر ١٩٦٦

٣ ـ اوبنهايم ، ليو : بلاد مابين النهرين : ترجمة سعدي فيضي عبدالرزاق بغداد ـ ١٩٨١

٤ ـ باقر ، طه : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، الجزء الأول طبعة ١٩٥٥ وطبعة ١٩٧٣ ـ بغداد والجزء الثاني طبعة ١٩٥٦ ـ بغداد

٥ ـ بارو ، اندريه : برج بابل ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا . بغداد ـ ١٩٨٠

٦ ـ بريستد ، جيمس هنري : انتصار الحضارة ، تاريخ الشرق

القديم ، ترجمة دكتور احمد فخرى . القاهرة ١٩٦٢
٧ ـ دولابورت ، ل : بلاد مابين النهرين حضارة بابـل واشـور . ـتعريب مارون الخورى ، بيروت ١٩٧١
٨ ـ رشيد ، فوزى : من هم السومريون ، مجلة افاق عربيـة ـ آب ١٩٨١
٩ ـ الرافعى ، عبدالرحمن : الحركة القوميـة فى مصر القديمة . القاهرة ١٩٦٣
١٠ـ الزيبارى ، اكرم : العلاقات بين اقطار الشرق الأدنى فى القرن الرابع عشـر ق.م. مجلـة كليـة الاداب ـ جامعـة بغـداد عدد مايس ١٩٨٠
١١ـ ساكز ، هارى : عظمة بابـل . ترجمـه د. عامر سـليمان . بغداد ١٩٧٩
١٢ـ سعد ، احمد صادق : فى ضـوء النمط الاسيوى للانتـاج ، نشأة التكوين المصرى وتطوره ، القسم الاول . مجلة دراسات عربية . بيروت عدد تشرين الثانى ١٩٨١
١٣ـ سوسة ، احمد : حضارة العـرب ومراحـل تطورهـا عبـر العصور . بغداد ١٩٧٩
١٤ـ عبدالله ، عبدالكريم : الاصول العربية فى حضارة الهكسوس. مجلة كلية الاداب جامعة بغداد . عدد شباط ١٩٧٩
١٥ـ عبدالواحد ، فاضل . اقدم حـرب تحرير فى التاريخ . مـن ابحاث المؤتمر الدولى للتاريخ والآثار ، بغداد ١٩٧٣
١٦ـ عرض اقتصادى تاريخى (جامعة باتريس لومومبا للصداقة بين الشعوب ـ موسكو) الجزء الاول ، مكتبة التحرير بغداد
١٧ـ العزيز ، حسين قاسم : عوامل التفـاعل الحضارى فى المجتمع العبودى . القسم الثـانى . مجلـة الثقـافة ـ بغداد عـدد شباط ١٩٨٣

١٨- فالكنشتاين ، ادم : سوريا فى الالف الثانى ق.م. مجلة كلية الاداب جامعة بغداد – قسم البحوث المترجمة العدد ١١
١٩- فخرى ، احمد : مصر الفرعونية. الطبعة الثانية ١٩٦٠ (القاهرة)
٢٠- الفرحان ، وليد صالح : الصراع الدولى فى الشرق الادنى بين القرنين الخامس عشر والثالث عشر ق.م. مجلة اداب الرافدين – جامعة الموصل . عدد كانون الاول ١٩٧٩
٢١- الفتيان ، مالك احمد : موجز التاريخ السياسى للامبراطورية البارثية ، مجلة كلية الاداب – جامعة بغداد – عدد شباط ١٩٧٨
٢٢- كريمر . س.ن : هنا بدا التاريخ . ترجمة ناجية المراني. بغداد ١٩٨٠
٢٣- الماجدى ، خزعل : رسالات العرب الى العالم . مجلة افاق عربية – بغداد – عدد تشرين الثانى ١٩٧٩
٢٤- ن.ى. ، تاريخ توت عنخ أمون وتاريخ عالم الفراعنة (وهو كتاب يتناول الجوانب المختلفة للحضارة المصرية القديمة والكتاب خالى من اسم المؤلف الواضح وكذلك مكان وزمان الطبع)
٢٥- الهاشمى ، رضا : العرب فى ضوء المصادر المسمارية . مجلة كلية الاداب – جامعة بغداد – عدد شباط ١٩٧٨
٢٦- ويلسن ، جون : الحضارة المصرية . ترجمة دكتور احمد فخرى – القاهرة ١٩٥٥

ثانيا : مصادر الباب الثانى (العصور الوسطى الاسلامية)

١ ـ ابن الاثير ، عزالدين أبو الحسن على ت ٦٣٠هـ : الكامل فى التاريخ ، الجزء الثامن ، بيروت ١٩٦٧

٢ ـ ابن تغرى بردى ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف ت ٧٨٤هـ: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . الجزء الخامس . نسخة مصورة عن طبعه دار الكتب المصرية

٣ ـ ابن الكازونى ، ظهير الدين على بن محمد ت ٦٩٧هـ : مختصر التاريخ . تحقيق الدكتور مصطفى جواد . بغداد ١٩٧٠

٤ ـ ابو سعيد ، حامد غنيم : العلاقات العربية السياسية فى عصر البويهيين . القاهرة ـ ١٩٧١

٥ ـ حسن ، على ابراهيم : مصر فى العصور الوسطى . القاهرة ـ ١٩٦٤

٦ ـ الخربوطلى ، على حسين : تاريخ العراق فى ظل الحكم الاموى . دار المعارف بمصر ١٩٥٩

٧ ـ الخضرى ، الشيخ محمد : تاريخ الامم الاسلامية . جزئين . مصر ١٩٦٩

٨ ـ الخالدى ، فاضل : الحياة السياسية فى العراق فى القرن الخامس الهجرى بغداد ١٩٦٩

٩ ـ خصباك ، جعفر حسين : العراق فى عهد المغول الايلخانيين . بغداد ١٩٦٨

١٠ـ الراوى ، ثابت اسماعيل : العراق فى العصر الاموى . النجف ـ ١٩٧٠

١١ـ ريسلر ، جاك.س : الحضارة العربية ، ترجمة غنيم عبدون . الدار المصرية للتاليف والترجمة

١٢ـ الزبيدى ، محمد حسين : العراق فى العصر البويهى . القاهرة ١٩٦٩

١٣ـ سرور ، محمد جمال‌الدين : الدولة الفاطمية في مصر .
القاهرة ــ ١٩٦٦
١٤ـ سرور ، محمد جمال‌الدين : سياسة الفاطميين الخارجية . دار
الفكر العربي ١٩٧٦
١٥ـ سليمان ، احمد سعيد : تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الأسر
الحاكمة ، جزئين . دار المعارف بمصر ١٩٦٩
١٦ـ طلفاح ، خيرالله : اعداء العرب التقليديون . بغداد ١٩٨١
١٧ـ عاشور ، سعيد عبدالفتاح : تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب
في العصور الوسطى . بيروت ١٩٧٢
١٨ـ عاشور ، سعيد عبدالفتاح : مصر والشام في عهد الأيوبيين
والمماليك بيروت ١٩٧٢
١٩ـ عبد السيد ، حكيم امين : قيام دولة المماليك الثانية .
القاهرة ــ ١٩٦٧
٢٠ـ العزاوي ، عباس : تاريخ الأدب العربي في العراق . الجزء
الأول . بغداد ١٩٦٠
٢١ـ العزيز ، حسين قاسم : موجز تاريخ العرب والاسلام .
بيروت ١٩٧١
٢٢ـ العلي ، صالح احمد وزملائه : تاريخ الحضارة العربية الاسلامية .
وزارة التربية . بغداد ١٩٧٣
٢٣ـ الغياثي ، عبدالله بن فتح‌الله : تاريخ الغياثي . الفصل الخامس
٦٥٦ـ٨٩١هـ/١٢٥٨ـ١٤٨١م تحقيق طارق نافع الحمداني
بغداد ــ ١٩٧٥
٢٤ـ فلهاوزن ، يوليوس : تاريخ الدولة العربية ، نقله عن الالمانية
دكتور محمد عبدالهادي ابو ريدة . القاهرة ــ ١٩٦٨
٢٥ـ فهد ، بدري محمد : تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير .
بغداد ــ ١٩٧٣

٢٦- فوزى ، فاروق عمر أ - الخلافة العباسية فى عصر الفوضى العسكرية . بيروت - ١٩٧٧
ب - العباسيون الاوائل . جزئين . بيروت ١٩٧٠-١٩٧٣
٢٨- الكندى ، عمر بن محمد بن يوسف : فضائل مصر . تحقيق ابراهيم احمد العدوى وعلى محمد عمر . القاهرة ١٩٧١
٢٩- الماجد ، عبدالمنعم : التاريخ السياسي للدولة العربية . الجزء الثانى . القاهرة - ١٩٧٦
٣٠- الماجد ، عبدالمنعم : الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى . القاهرة ١٩٧٣
٣١- متز ، ادم : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى . مجلدان ، نقله عن الالمانية دكتور محمد عبدالهادى ابو ريدة . بيروت ١٩٦٧
٣٢- المسعودى ، علي بن الحسين ت ٣٤٦هـ : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، اربعة اجزاء . تحقيق محمد حميد محيالدين . المكتبة التجارية بمصر
٣٣- الهمدانى ، ابن الفقيه : بغداد مدينة السلام . تحقيق د. صالح احمد العلى بغداد -١٩٧٧
٣٤- آل ياسين ، محمد مفيد : الحياة الفكرية فى العراق فى القرن السابع الهجرى . بغداد ١٩٧٩
٣٥- اليوسف ، عبدالقادر احمد : العلاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر . بيروت ١٩٦٩ م

ثالثا : مصادر الباب الثالث (العصور الحديثة)

١ ـ الارحيم ، فيصل محمد : تطور العراق تحت حكم الاتحاديين . الموصل ـ ١٩٧٥
٢ ـ انيس ، محمد : الدولة العثمانية والشرق العربي . القاهرة
٣ ـ البرج ، محمد عبدالرحمن : دراسة في تاريخ العرب الحديث والمعاصر . القاهرة ـ ١٩٧٤
٤ ـ جرانت وتمبرلي : اوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين . الجزء الاول ترجمة بهاء فهمي . القاهرة ١٩٦٧
٥ ـ جب و بوون : المجتمع الاسلامي والغرب . جزئين ترجمة د. احمد عبدالرحيم مصطفى . القاهرة ١٩٧١
٦ ـ حسين ، محمد عبدالرحمن : نضال شعب مصر ١٧٩٨ـ١٩٥٦ . القاهرة ١٩٧٠.
٧ ـ خصباك ، جعفر حسين وزميله عبدالأمير محمد امين : تاريخ العالم العربي الحديث . وزارة التربية بغداد ـ ١٩٦٨
٨ ـ رولات ، ماري : مؤسسو مصر الحديثة . بيروت ١٩٦٤
٩ ـ زايد ، محمد : الحركة الوطنية المصرية وتحرير مصر من السيطرة الاجنبية (طبع رونيو) من أبحاث المؤتمر الدولي للتاريخ والاثار . بغداد ١٩٧٣
١٠ـ السيد الراقد ، محمد عبدالمنعم : الغزو العثماني لمصر ونتائجه على الوطن العربي . الاسكندرية ـ ١٩٦٨
١١ـ الشيخ ، رافت غنيمي : في تاريخ العرب الحديث . القاهرة ـ ١٩٧٥
١٢ـ العزاوي ، عباس : تاريخ العراق بين احتلالين . الاجزاء ٤ـ٥ـ٦ـ٧ـ٨ بغداد ١٩٤٩ـ١٩٥٦
١٣ـ عزالدين يوسف ، داود باشا ونهاية المماليك . بغداد ـ ١٩٧٦
١٤ـ الفياض ، عبدالله : الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ .

بغداد ١٩٧٤
١٥ـ القيسي ، عبدالوهاب عباس : محاضرات في تاريخ الدولة العثمانية والشرق الأدنى الحديث ، (طبع رونيو) كلية الاداب ـ جامعة بغداد ـ ١٩٧٥
١٦ـ لوتسكي ، فلادمير : تاريخ الاقطار العربية الحديث . ترجمة د. عفيفة البستاني دار التقدم ـ موسكو ١٩٧١
١٧ـ لنشوفسكي ، جورج : الشرق الاوسط في الشؤون العالمية . الجزء الاول ترجمة جعفر خياط . بغداد ١٩٦٤
١٨ـ لونكريك ، س.هـ : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر خياط . مكتبة التحرير ـ بغداد الطبعة الخامسة
١٩ـ مؤنس ، حسين : عودة العربي الى مكانه في التاريخ (مقالة في كتاب وماذا بعد حرب اكتوبر) القاهرة ١٩٧٤
٢٠ـ المؤمن ، مكي حبيب وزميله علي عجيل منهل : طلائع يقظة الامة العربية ـ بغداد ـ ١٩٨١
٢١ـ النجار ، عبدالقادر مصطفى : التاريخ السياسي لمشكلة الحدود الشرقية للوطن العربي في شط العرب . البصرة ـ ١٩٧٤
٢٢ـ نوار ، عبدالعزيز سليمان : داود باشا والي بغداد . القاهرة ١٩٦٧
٢٣ـ نوار ، عبدالعزيز سليمان : تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا . القاهرة ١٩٦٨
٢٤ـ نوار ، عبدالعزيز سليمان : مصر والعراق دراسة في تاريخ العلاقات بينهما حتى نشوب الحرب العالمية الأولى القاهرة ١٩٦٨
٢٥ـ نورس ، علاء موسى كاظم : حكم المماليك في العراق ١٧٥٠ـ١٨٣١ بغداد ـ ١٩٧٥

٢٦ـ هرشلاغ ، ز.ى : مدخل الى التاريخ الاقتصادى الحديث للشرق الاوسط ، نقله الى العربية مصطفى الحسينى . بيروت ١٩٧٣

٢٧ـ يحيى ، جلال : مصر الحديثة ١٥١٧ـ١٨٠٥ . الاسكندرية ـ ١٩٦٩

٢٨ـ يحيى ، جلال : العالم العربى الحديث . الجزء الاول . الاسكندرية ـ ١٩٧٤

جـــدول الخطـــأ والصـــواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤	٥	كـل	كـلا
٢٠	١٨	منقسم	منقسمة
٢٤	١٩	٤٠٠	٥٠٠
٢٦	١٨	تضاف كلمة المثال قبل فان	
٣٠	١٧	عرفية	عرقية
٣٩	٨	تضاف كلمة قيام قبل علاقات	
٤٤	١٠	تضاف كلمة صارت قبل دول	
٤٨	١٨	القوة	القسوة
٥٠	١٨	٥٣٥ ق.م — ٩٦٤٠	٥٣٩ق.م—٦٤٠م
٥٠	٢٠	تضاف كلمة بقيادة في أول السطر	
٥١	٦	انصف	اتصف
٥١	١٠	بعطر	بخطر
٥٦	١٢	٢٤٤م	٢٢٧م
٥٨	٢	تضاف كلمة على قبل حكم	
٦٠	٢	الهامش «٩» طه باقر ، مقدمة ج٢. ص٤٢—٤٣	
٧٣	١٧	تضاف كلمة غير قبل مشروع	
٩٠	١٠	طفيج	طفج
٩٧	١١	مرتزقون	مرتزقة
١٠٦	٨	في الأرض	من الأرمن
١٢٨	٨	اعداء	عداء
١٦٥	١٢	حقيقة	حقيقته

الفهرست

رقم الايداع : ١٢٢٤ : في المكتبة الوطنية – ببغداد – لسنة ١٩٨٤

السعر ديناران ونصف

طبع بمطبعة الجامعة ش المتنبي ت : ٤١٦٥١٣٠

